✠

رحلتي
من الإسلام إلى المسيحية

لماذا أيقنت أن
المسيح هو الطريق والحق والحياة ؟

فيرونيكا

☸ ☸ ☸ ☸ ☸ ☸ ☸ ☸ ☸ ☸ ☸

الفهرس

صفحة

مقدمـــــــة		3
الفصل الأول	: النشأة	5
الفصل الثاني	: بداية رحلتي نحو النور	9
الفصل الثالث	: قطع الشك باليقين	19
الفصل الرابع	: الإسلام.. صدمات ومفاجأت وإكتشافات	28
الفصل الخامس	: الأخطاء العلمية والتاريخية واللُغوية في القرآن	46
الفصل السادس	: المسلمون بعد مُحمد	58
الفصل السابع	: لماذا أيقنت أن المسيح هو الطريق والحق والحياة	66
الفصل الثامن	: بين لاهوت المسيح وناسوته	73
الفصل التاسع	: المسيحية والمعجزات	81
الفصل العاشر	: لماذا سيعود المسيح في آخر الزمان؟	85
الفصل الحادي عشر: الروح القدس، هل هو محمد أم الرب المُحيي؟		87
الفصل الثاني عشر : وماذا بعد؟		89

مقدمة

كثيرًا ماأتساءل كيف تحولت من تلك الفتاة التي سجدت شكرا لله يوم الحادي عشر من سبتمبر فرحًا بهزيمة من ظنتهم بالكافرين دون أدنى قدر من التأثر لمقتل آلاف الأبرياء .. لتلك المرأة التي تصلي إلى الله كل يوم كي يتمجد من خلالها السيد المسيح وتصبح جزءًا من خطة الله لخلاص نفوس الكثيرين . كيف تحولت من فتاة تحلم بأن تكون داعية إسلامية .. إلى امرأة تتمنى أن يجعلها الله مبشرة بنورالمسيح وتتوق شوقًا لليوم الذي تجتمع معه في الملكوت السماوي حيث الراحة الأبدية .. متمنية أن يفتخر بها الرب في هذا اليوم لاختياره لها لتنال النعمة الأعظم .. نعمة الإيمان والمعمودية والخلاص بدم الرب يسوع المسيح .

هل هي فترة مراهقة فكرية؟ أم حالة تردد؟ أم لعلها حالة من عدم الإتزان النفسي تجعل من شخص ما ينقلب من النقيض إلى النقيض؟ لا , لم تكن أبدا أيًا من ذلك .. ففترة التحول استغرقت نحو أربع عشرة سنة من التساؤلات والبحث والدعاء طلبًا لإرشاد الله، وتجارب حياتية وصدمات ومفاجآت قادت جميعها في النهاية لقرار مصيري للدنيا والآخرة .. قرار لم تتخيل يومًا أن تقوم باتخاذه، وربما لم ترغب في أن تتخذ مثله وهي تعلم جيدًا مدى خطورته وحساسيته في مجتمع إسلامي لا يتقبل للحظة فكرة ترك الإسلام إلي دين أو معتقد آخر .. لكن ورغم ذلك فهي تشعر بفرح وسلام لم تختبرهما من قبل وعدم خوف من أية عواقب قد تحدث لها نتيجة لهذا القرار لأنها باتت تؤمن تمامًا بقول السيد المسيح له كل المجد "لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم" (متى 10) . فمن يختبر لذة الإيمان بالسيد المسيح وفرح الامتلاء من الروح القدس سيمتلك من القوة مايجعله قادرًا على مواجهة تحديات العالم أجمع إيمانا بأنه: "إن كان الله معنا فمن علينا " (رومية 8) . و "إن عشنا فالرب نعيش وإن متنا فالرب نموت، فإن عشنا وإن متنا فالرب نحن" (رو 14). فلماذا قررت أن أترك الإسلام لأتبع المسيح وأنا في الثالثة والثلاثين من عمري؟

إن للقصة بداية ومراحل لابد من ذكرها لتتضح الصورة كاملة . فكيف وجدت الطريق والحق والحياة؟ أو بالأحرى كيف عثر الله عليَّ في الظلمة وأشرق عليَّ بنور المسيح وفتح ليَّ أبوابًا لم أتخيل يومًا أن تُفتح؟ وأرشدني لخيوط وحقائق ودلائل لم تخطر يومًا على بالى .. فعندما تحب الله من كل قلبك وتطلب منه بصدق أن يرشدك لطريقه ثق بأنه لن يتركك ولن يضيعك ولن يضلك أبدًا طالما أنك تبتغي رضاه وتسعى لمبتغاه ومستعد لأن تبذل حياتك وتفقد أي شيء في سبيل إتباع طريقه الحق . وبكل صدق أقول إنني ومنذ قراري أمام الله بالإيمان بالرب يسوع المسيح مخلصًا منذ مايقرب من الأربع سنوات و حتى الآن لم أشعر للحظة واحدة بذرة ندم رغم مروري ببعض الضيقات والتجارب لكنني مستعدة لأن أموت شهيدة على اسم المسيح إن كانت هذه هي إرادة الله ليَّ، لكنني في الوقت نفسه أتمنى أن أحيا لأربح الكثير من النفوس له ولأكون أداة في يمين الله لتغيير حياة الكثيرين ليروا النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان وأشارك معلمنا بولس الرسول في رغبته التي أعلنها في الإنجيل " لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذلك أفضل جدا ولكن أن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم ." (فيلبي 1). أتمنى من كل قلبي أن يكون اختباري هذا سببًا في خلاص النفوس وليتمجد الرب يسوع من خلال عمله في حياتي وحياة

الملايين الذين يدخل حياتهم يوميًا . كما أتمنى أن أجيب من خلال هذا الكتاب عن تساؤلات البعض، بل وأطرح تساؤلات جديدة ربما لم تخطر على بال الكثير من إخوتي المسلمين، بل وأيضًا اليهود أوالملحدين الذين أصلي أن يلمس اختباري هذا قلوبهم . فمن يذق السلام والفرح الحقيقي يتمنى أن يعيشهما كل إنسان بحق خاصة في وقت التجربة الصعبة التي تمر على العالم أجمع .. فما أحوجنا جميعًا لملك السلام حتى ينعم علينا بمحبته وسلامه الذي يفوق كل العقول . وسلام المسيح يكون مع جميعكم. آمين

الفصل الأول

النشأة

كانت نشأتي في أسرة تنتمي للطبقة المتوسطة العليا، غير ملتزمة دينيًا لكنها تؤمن بالإسلام كدين . قام والداي بأداء فريضة الحج وأنا في عمر صغير. وكنا معتادين على صوم شهر رمضان كطقس ديني وحيد فلم نكن نلتزم بأداء الصلوات الخمس إلا في أحيان قليلة غالبًا ماتكون في شهر رمضان . لكن والدي كان يحرص على أداء صلاة الصبح باستمرار، وكانت أمي تحاول كل عدة سنوات أن تلتزم بالصلاة لكنها تفشل ولم يحاول أحد منهم أن يدعوني للالتزام بها، لكن ربما لرؤيتي التزام أصدقائي وأسرهم بأداء الصلوات بانتظام كنت أحاول منذ صغري أن أؤديها في بعض الأوقات خاصة في أوقات الإمتحانات، ربما طلبا لمرضاة الله وخوفًا من غضبه عليَّ في هذا الوقت الحرج . لكنني سرعان ماكنت أفشل في الانتظام بها لأكثر من عدة أيام . منذ صغري كانت بداخلي رغبة عميقة في الإقتراب من الله وإرضاءه رغم أنني لم أكن أعرف الكثير عنه.. ففي منزلنا لم يكن يدور أي حديث عن الله أو الحلال والحرام، وكنا أسرة تلتزم بالأخلاق العليا والعادات والتقاليد كنوع من الاحترام وليس خوفًا من النار أو طمعًا في الجنة . ولحبي للقراءة واعتيادي على زيارة المكتبات بصحبة والدي منذ صغري كنت كثيرًا ماأقوم بشراء كتب دينية تتحدث بشكل خاص عن علامات الساعة وعذاب القبر . كانت تستهويني مثل هذه الموضوعات ربما لما بها من طابع تشويقي لكنها كانت تبث بداخلي مخاوف من الموت أو قيام الساعة وأنا غير مستعدة لها وغير ملتزمة بأداء الصلوات أو ارتداء الحجاب . وكانت بداخلي مكانة خاصة لمحمد الذي كثيرًا ماكنت أدعو الله بأن أراه في المنام حيث كنت أحب أن أستمع كثيرا لقصص من رأوه وهم يؤكدون مقولته:[من رآني في المنام فقد رآني حقا فإن الشيطان لا يتمثل بي]. فكنت أحاول قبل نومي أن أفكر به كثيرًا وأتخيل ملامحه أملاً في الحصول على رؤيا حقة أقصها على الجميع . كانت خالتي هي الوحيدة في العائلة التي تحدثني في أمور الدين وتشجعني على الإلتزام وتهديني بعض الكتب الدينية من الطابع الذي أحبه لكنني أحيانا ماكنت أصاب بالكوابيس التي تمتليء بظلمة القبر والثعبان الأقرع، فكان والديَّ يغضبان منها لما تقدمه ليَّ من كتب ومعلومات لا تتناسب وعمري الصغير . لكنني كنت أزداد تعلقًا بخالتي هذه، خصوصًا وأنها تتمتع بطيبة القلب والحنان وتمتليء بمحبة آل البيت والتصوف حتى أنها كانت تنتمي لإحدى الطرق الصوفية . وفور دخولي المرحلة الإعدادية بدأت تحثني على ضرورة ارتداء الحجاب باعتباره فرضا على كل مسلمة وهو الأمر الذي كان يضايق والديَّ بشدة فرغم أن والدتي كانت ترتدي الحجاب لكنها اضطرت إلى ذلك بعد أداء فريضة الحج حيث قالت لها الكثيرات أن عليها المحافظة على ارتداء الحجاب وإلا سيكون حجها ناقصًا وتوبتها غير كاملة . كنت أقول لخالتي أنني مستعدة لإرتداء الحجاب ولكن بشرط أن أرى النبي محمد في المنام ووقتها سأفعل ذلك دون تردد . وفي أحد الأيام وأنا في الثالثة عشر من عمري فوجئت بزيارة منها وهي سعيدة ومستبشرة وأخبرتني بحماس شديد بأنها رأتني في رؤيا وأنا أجلس بجوار محمد وهو يقوم بتعليمي في الدين . فرحت كثيرًا بتلك الرؤية لكنني تشككت بعض الشيء في أن

تقوم خالتي بتأليف قصة هذه الرؤية لحثي على ارتداء الحجاب حيث قالت لي وقتها أن الله استجاب لما طلبته وأن عليَّ الآن ارتداءه فورًا . لكنني وبعد أن أخبرت والديَّ، طلبا مني عدم الالتفات لكلامها، حيث أنني لازلت صغيرة على هذا الموضوع . ولم يكن بداخلي أصلاً حماس كبير وقتها لهذا الأمر، فلم أكن أعرف أية فتاة في مثل عمري ترتدي الحجاب , فكان من المعتاد أن المتزوجات هن فقط من يرتدين الحجاب , وفي الريف والطبقات البسيطة كان يمكن لصغيرات السن ارتداءه . لكن ماكان يؤرقني حقا هو عدم قدرتي على الإلتزام بأداء الصلوات الخمس فكنت أحاول في بعض الأحيان أداءها بالإضافة لقراءة القرآن . كما كان والديَّ يرسلاني في بعض الأحيان في الإجازة الصيفية للمسجد المجاور لحفظ بعض السور من القرآن لشغل وقتي بشيء مفيد ليس أكثر . في ذلك الوقت كنت أعلم أن ليس الجميع مسلمون مثلنا فهناك من يسمونهم بالمسيحيين وهم ينتمون لدين آخر وكانت البعض من صديقات والدتي مسيحيات وكنت ألعب مع ابناءهن وأحيانا كنا نسافر سويا . وبعض أصدقاء والدي كانوا أيضا من المسيحيين الذين كثيراً ماكان أبي يمتدح لطفهم وحرصهم على أداء الواجب . ولم أسمع يومًا في منزلنا أي انتقاد للمسيحيين , لكنني - وكلما كنت أكبر - وازداد اختلاطي بزملائي خاصة في المدرسة كنت أسمع الكثير من التعليقات السلبية عن المسيحيين بأنهم يعبدون ثالثة آلهة وأن رائحتهم كريهة وأن ليس لديهم محرمات فهم يشربون الخمور باستمرار ويقومون بعلاقات محرمة دون زواج وهم مثل الأجانب الذين نراهم في الأفلام الأمريكية ، لا أخلاق لهم .

كانت ومازالت للأسف هذه الصورة السلبية عن المسيحيين منتشرة بين الكثير من المسلمين في مجتمعنا الذين لا يحاولون البحث عن حقيقة الدين المسيحي أو يسألون المسيحيون أنفسهم عن معتقداتهم أو عن حقيقة مايشاع عنهم . وكلما ازداد المجتمع التزاماً بالطقوس الإسلامية إزداد تعصباً تجاه المسيحيين وازدادت الحوادث الطائفية التي لم تكن تحدث في هذا المجتمع قبل سنوات ليست بالبعيدة , خاصة بعد تصاعد التيار السلفي وحدوث نهضة إسلامية وظهورموجة الدعاة والدروس الدينية وانتشار ظاهرة ارتداء الحجاب والحرص على أداء الصلوات في المساجد والالتزام بالمظهر الإسلامي في اللحية وارتداء العباءات خاصة بين أبناء الطبقات الوسطى والعليا التي كان معروفًا عنها ابتعاد ابناءها عن الطقوس الدينية . في ذلك الوقت كنت في المرحلة الثانوية وانجذبت مع الملايين لتلك الموجة الجديدة التي أشبعت حلمي القديم في الاقتراب من الله ونجحت لأول مرة وأنا في الخامسة عشرة من عمري في الإلتزام بأداء الصلوت الخمس ثم قررت ارتداء الحجاب كما قيل لنا في دروس الدين وكما فعلت الكثيرات من بنات الطبقة الراقية زميلاتي في المدرسة اللواتي كن يحرصن على توزيع الكتيبات الدينية الصغيرة التي تتحدث عن هذا الفرض الهام والأساسي والذي بدونه سنعلق جميعًا من شعورنا في النار . فكان السؤال الترهيبي الأبرز في تلك الأيام والذي يوجه لغير المحجبات هو: [ماذا لو أتاكي ملك الموت الآن أو في أية لحظة قريبة؟ وتوفيتي وأنت سافرة؟ هل تعلمين أن الله سيقوم بتعليقك من شعرك هذا في جهنم إلى الأبد عقابًا لك على ترك تلك الفريضة الأساسية ؟]

كان هذا الحديث يتحول لمخاوف ليلية تطبق عليَّ قبل النوم خوفًا من تحققها بالفعل . فواجهت أهلي برغبتي في ارتداء الحجاب لكنهم اعترضوا بشدة مؤكدين أنني لازلت صغيرة ومندفعة ومتأثرة بهذه الموجة من الصحوة الدينية التي كان والدي متخوفا منها بشدة لأنها في رأيه ستقود لموجة من الإرهاب . فكان يعارض رغبتي الدائمة في الذهاب للمساجد لحضور الدروس الدينية وهو ماتسبب في حدوث الكثير من المشكلات بيننا لأنني لم أتفهم وقتها سبب تخوفه من اقترابي من الله وحرصي على الإلتزام بالدين الذي يؤكد هو أنه يؤمن به . فكيف سيكون هذا الدين مصدر خطر علي ؟ كنت أرى أن عدم التزامه الديني

هو السبب وراء ذلك فكنت أقوم بمهاجمته لعدم التزامه بالصلوات الخمس والذهاب للمسجد وقراءة القرآن رغم أنني كنت أعلم معرفته التامة وتعمقه من قبل في النصوص الدينية . كنت أخشى كثيرًا من أن يموت وهو غير ملتزم فيكون مصيره إلى جهنم كما كان يقال لنا أن " من يترك الصلاة عمدا فقد كفر " ومن يموت على الكفر فمصيره جهنم وبئس المصير . لم يكن والدي يصر على عدم الالتزام بالعبادات تهاونًا أو تكبرًا، لكنه كان يؤمن بأن الله ليس تاجرًا يطلب منا القيام بمجموعة من الفروض مقابل بضع حسنات أو قصور في الجنة . كانت هذه رؤيته لله منذ أن كان طفلاً صغيرًا رغم تلقيه تعليمًا دينيًا، ونشأته في بيئة ريفية ملتزمة دينيًا وهو ماكان يعرضه للكثير من السخط والمشكلات نتيجة هذه الآراء التي إزدادت حدتها مع حرصه على القراءة الموسعة والثقافة غير دينية حتى بات يصف نفسه بأنه مسلم علماني يؤمن برحمة الله الواسعة غير المشروطة لكل البشر .

ولأكثر من عام باءت كل محاولاتي مع أهلي بالاستعطاف والاستجداء والصراخ أحيانا كثيرة والتهديد بأن الله سيعاقبهم على حرماني من أداء فريضة الحجاب .. حتى جاء اليوم الذي فتحت فيه نفس الموضوع كعادتي دون كلل أو ملل مع والدي ففوجئت به يقول لي بمنتهى الهدوء " افعلي ماتشاءين لكن تحملي مسؤولية قرارك ". لم تسعني الفرحة وذهبت إلى والدتي التي جاءت إجابتها " انتي حرة ولكن إن ارتديتي الحجاب فلن أسمح لك بخلعه ثانية فهذه ليست لعبة وأنا أعلم أنك لازلت غير ناضجة وكنت أتمنى أن تؤجلي هذا القرار لما بعد زواجك ." فأخبرتها بمنتهى الثقة والحماس أنني متأكدة تماما من رغبتي في ارتداء الحجاب بشكل نهائي ولن أتراجع عن هذا القرار ماحييت . وشعرت بفرح بالغ ولم أنم ليلتها وأنا أستعد لأول يوم سأرتدي فيه الحجاب وأذهب للمدرسة ويراني الجميع ويعرفون بهذا القرار . وساعدني الحجاب على استكمال طريق الالتزام الديني فحرصت على أداء صالة الفجر والسنن وورد يومي للقرآن والأذكار والتعمق في القراءات الدينية , حيث توقفت تمامًا عن قراءة الروايات التي كنت أحبها كثيرًا ورأيت أن عليَّ معرفة ديني بشكل كامل وعميق وليس فقط الاكتفاء بحضور الندوات الدينية . وبالفعل قرأت تفسير ابن كثير للقرآن الذي استغرق مني نحو العام . وسيرة محمد وأحاديث البخاري ومسلم , وحرصت على تعلم التجويد وحفظ القرآن وبدأت في ارتداء العباءات وجاهدت للتوقف عن سماع الأغاني والذهاب إلى السينما لكنني لم أستطع التوقف تماما عنهما . والتحقت بالجامعة وكنت أفكر أنني ربما بعد الانتهاء من دراستي الجامعية قد أقوم بالالتحاق بمعهد إعداد الدعاة لأصبح داعية إسلامية وربما أدعو غير المسلمين للإسلام .

كنت أسعد كثيرا بقراءة وسماع قصص المسلمين الجدد وأدعو الله أن يستخدمني لنصرة الإسلام . وفي يوم الحادي عشر من سبتمبر فوجئت وأنا أتابع التلفاز بمشاهد مباشرة للهجمات الانتحارية على مركز التجارة العالمي في نيويورك . لم أتمالك نفسي وقتها من الفرحة حيث شعرت بأن هذا انتصار إلهي للمسلمين ضد أمريكا الكافرة التي تحارب الإسلام وتدعم إسرائيل التي تربيت على كراهيتها كدولة مغتصبة لأرض فلسطين الشقيقة وكنت أحلم كالكثير من المسلمين بتحرير المسجد الأقصى من احتلال اليهود الذين يصفهم القرآن بأحفاد القردة والخنازير . وجدتني أسجد لله شكرًا وتتساقط دموعي على الأرض فرحًا بهزيمة من اعتبرتهم من الكافرين ولم أفكر للحظة بتلك الأرواح البشرية البريئة التي قُتلت دون ذنب سوى تواجدها في ذلك المبنى وانتماءها لأمريكا حتى وإن كانوا لا دخل لهم بالسياسة الأمريكية ولم يقوموا بإيذاء مسلم واحد أو أي إنسان , ولم أفكر حتى أنه ربما يكون من بين الضحايا مسلمين - وهو ماحدث بالفعل - لم أفكر في كل ذلك .. فقط فكرت بأننا ألحقنا الهزيمة بهذه القوة الأمريكية

المتغطرسة دون التفكير في أية اعتبارات أخرى . استيقظ والدي من قيلولته فهرولت لإعطاءه البشارة بالحدث السعيد لكنني فوجئت به يتجهم ويستنكر بشدة ما حدث , وعندما تعجبت من موقفه أخبرني بأنني لا أدرك شيئًا وبأن ماحدث هو كارثة ليس فقط على هؤلاء البشر وإنما سيكون المسلمون هم أول من سيلحق به الأذى لأن أمريكا ستنتقم لما حدث أشد انتقام وسيقع آلاف الضحايا من الأبرياء نتيجة لتلك الكارثة . ومنذ اللحظات الأولى كان الحديث عن أن هذا الهجوم هو عمل انتحاري يحمل الصبغة الإسلامية وهو ماتأكد مع بيان زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن الذي كانت تلك هي المرة الأولى التي أسمع فيها باسمه لكنني انبهرت بما اعتبرته العمل البطولي له وبنبرته الواثقة وبإيمانه القوي الذي استشعرته من استشهاده بالآيات القرآنية والآحاديث التي تدعم تماما اعتداءه على هؤلاء " الكُفار " في عقر دارهم باعتبارهم أعداء للإسلام ولله ولرسوله. ومنذ تلك اللحظة ولسنوات أصبح أسامة بن لادن البطل الإسلامي المغوار الذي انتشرت صوره وتفاخر به الكثير من المسلمين الذين كانوا يفكرون وقتها من نفس المنطلق الذي فكرت منه . لكن حمدا لله الذي بدأ بكشف حقيقة هذا الرجل للكثيرين مع انتشار العمليات الإنتحارية التي كانوا يطلقون عليها " استشهادية " ليس فقط في دول الغرب بل وحتى في الدول التي يفترض أن غالبيتها من المسلمين . وقتها بدأت أشعر بالحيرة وعدم الفهم , فما هو الأساس الذي يستند عليه من كنا نسميهم بالمجاهدين ؟ وكيف يقوم أحد الأشخاص الذي يفترض أنه مسلم بتفجير نفسه وسط أحد الأسواق أو الساحات في دولة عربية أو إسلامية فيتسبب في قتل جماعي عشوائي لمئات أو عشرات الأشخاص يكون من بينهم عادة أطفال ونساء وكبار في السن . وعندما كنت أستطلع أحد المواقع الإلكترونية التابعة لهم فوجئت بما يعتبرونه تبريرا لما يقومون به من هجمات عشوائية معتبرين أن تلك الدول لا تقوم بتطبيق الشريعة الإسلامية كما يجب وأن حكامها خونة وضد الإسلام وحتى شعوبها خانعة ولا تثور على حكامها من أجل تطبيق الشريعة بحد السيف ! ويستشهدون بالآيات القرآنية التي تقول " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم " الفاسقون " وفي آية أخرى" الظالمون" وفي آية أخرى " الكافرون " مبررين بذلك استباحتهم لدماء أي كائن بشري حتى وإن كان ينتمي لنفس دينهم وهو الإسلام !

وللمرة الأولى بدأت أشعر بالنفور و الحزن الحقيقي لتساقط آلاف الأبرياء في هذه الهجمات التي انتشرت في العديد من الدول , كما فقدت حماسي وشعوري بالإنتصار مع أي هجمات على الغرب خاصة بعد تحقق ماتوقعه أبي يوم الحادي عشر من سبتمبر من تضرر للمسلمين على مستوى العالم أجمع بعدما اعتبرهم الكثيرون إرهابيين وطالتهم العنصرية وبعض الهجمات أيضًا . كما حدثت الحرب على أفغانستان والتي راح ضحيتها آلاف الأبرياء.

كانت هذه هي البداية لنور خافت بدأ يسطع لينير الظلام الحالك الذي امتلأت به روحي . بدأت في كراهية العنف والقتل , وفي تلك الفترة شاء الله أن يخبرنا أحد الزملاء بالجامعة عن داعية إسلامي ذاع صيته في العالم لقدرته على إجراء المناظرات وإفحام النصارى, حتى أنه نجح في إدخال الآلاف منهم في الإسلام . كانت هذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها بإسم " أحمد ديدات " الذي استخدمه الله بطريقة عجيبة غير متوقعة ليحول حياتي و ليكون طرف الخيط الذي سيخرجني من الظلمة إلى النور .

الفصل الثانى

بداية رحلتى نحو النور

رغم عدم نشأتي في بيئة متعصبة تجاه المسيحيين أو أصحاب الديانات الأخرى إلا أنني وجدت نفسي تلقائيا كلما قطعت شوطا كبيرا في طريق الإلتزام تزداد بداخلي كراهية أي شخص غير مسلم وبالأخص المسيحيين واليهود . وهو الأمر الذي يستحق التوقف عنده .. فلست وحدي من وقع في ذلك لكنها تجربة عامة يلاحظ فيها كراهية من يفترض بأنهم " أهل الكتاب " أكثر من أصحاب الديانات الأخرى أو حتى الملحدين . هناك حالة من النفور والغضب حتى وإن كان غير معلن بشكل كبير تجاه المسيحيين واليهود تحديدا في ظل قناعة عجيبة عند غالبية المسلمين بأنهم يعلمون تماما أن الإسلام هو الحق لكنهم يرفضون اتباعه استكبارا منهم ليس أكثر. ولا عجب إن كان القرآن نفسه يقول : " ود كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق ". (البقرة 9) وفي آية أخرى " ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون " (البقرة 101) و " لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم " (البقرة 120) و " ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض . ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين " (المائدة 51) وغيرها من الآيات التي ترسخ حاجزا نفسيا بداخل كل مسلم يحرص على قراءة القرآن باستمرار . هي علاقة طردية بين التعمق في الإسلام وكراهية أهل الكتاب , وهو الأمر الذي تشبعت به تماما خلال السنوات التي حرصت فيها على أن أكون مسلمة ملتزمة , فكنت أشعر بحالة من النفور والضيق عند رؤيتي لأي رجل دين مسيحيا كان أم يهوديا سواء وجهاً لوجه، أم في التلفاز .. كنت أشعر أن هؤلاء هم أئمة الضلال الذين يعرفون الحق ويرفضون اتباعه بل ويضلون اتباعهم بإخفاءهم الكتب الحقيقية غير المحرفة ويحتفظون بالآيات التي تؤكد نبوة محمد بعيدا عن متناول العامة حتى لا يدركون ضلال عقائدهم المنحرفة.

حتى جاء اليوم الذي شاهدت فيه أول مناظرة للشيخ أحمد ديدات " قاهر النصارى " كما يطلق عليه بعض المسلمين وشعرت بسعادة بالغة وأنا أراه يطرح تساؤلات صعبة على أحد القساوسة ويتمكن من إحراجه . كنت أرى انتصار الإسلام وسط دوي التصفيق في القاعة . ثم قررت استخدام محرك البحث على الإنترنت لأبحث عن المزيد عن هذا البطل المغوار ولدهشتي وجدت مقالاً كتبه شخص يدعى " خالد عبد الرحمن " فظننته مسلما بالطبع لإسمه . لكنني فوجئت به يرد على أحمد ديدات ويؤكد له أنه قادر على أن يثبت له أن القرآن نفسه هو المحرف وليس الكتاب المقدس كما يدعي ! كانت دهشتي كبيرة ولم أتمكن من فهم كيف لهذا المسلم أن يهاجم شيخا مسلما مثله يدافع عن الإسلام بل ويؤكد أن هناك تحريفا في القرآن . فاتجهت للصفحة الرئيسية للموقع لأجده بعنوان " الرد على الإسلام " ووجدت مقالاً آخراً لهذا الشخص يروي فيه قصته وتحوله من الإسلام إلى المسيحية رغم كونه دارسا للشريعة الإسلامية . كانت المرة الأولى التي أقرأ فيها قصة أحد المتنصرين وفي ذلك الوقت كانت قناة الحياة التي أسسها القمص زكريا بطرس قد بدأت في عملها التبشيري الذي لقى هجوما واسعا وكنت قد طالعت جزءا صغيرا من برنامج له ووجدته يشن هجوما لاذعا على محمد وهو ماأثار غضبي وقتها بالطبع فلم أرغب في الإستماع لما يقوله . وسمعت أن هناك منظمات تبشيرية تعمل في إفريقيا وبعض المناطق الفقيرة في

العالم لتنصير المسلمين الفقراء الجهال من خلال إغوائهم بالمال . فكانت هذه هي فكرتي الوحيدة عن هؤلاء الذين يتركون الإسلام . لكن قصة ذلك الشخص المدعو خالد عبد الرحمن والتساؤلات التي طرحها في صلب العقيدة كانت الصدمة الأولى لي حيث وجدت شخصا يدعي معرفته بالشريعة والفقه الإسلامي إلا أنه قرر ترك الإسلام بكامل إرادته واقتناعه دون أية ضغوطات أو إغراءات . لكنني بالطبع سرعان ماقررت التشكك في قصته وشخصيته واعتبرت أن هذه القصة هي ولابد من اختراع بعض النصارى الذين يرغبون في بث سمومهم وشكوكهم في نفوس المسلمين . لكنني شعرت بفضول للبحث عن المتنصرين ومعرفة ماوراءهم فلم أكن أتخيل أن هناك شخصا قد عرف الإسلام جيدا واقترب من الله ومارس الفروض الدينية وقرأ سيرة محمد ثم يقرر بكامل عقله وإرادته أن يترك هذا الدين ويرتد إلى عقيدة النصارى الضالة الفاسدة كما كنت أعتبرها في ذلك الوقت . ولصدمتي وجدت العشرات من القصص لمن يسمون أنفسهم بالعابرين أو المتنصرين الذين يقصون حكاياتهم ودوافعهم لترك الإسلام واعتناق المسيحية . ووجدت من يدعي أنه من إيران وآخر من السعودية وأخرى من مصر أو تركيا أو الكويت وغيرها من الدول التي لم أكن أتخيل أن يوجد بها مثل هؤلاء .

في البداية أصبت بحالة من التشكك والرفض القاطع لأن تكون هذه القصص أو الشخصيات حقيقية واعتبرتها مؤامرة صليبية على الإسلام لإظهار أن هناك من يتركه بملء إرادته . ثم سرعان ماأصابني الفزع والغضب معا وتساءلت : [ماذا لو كانت هذه القصص حقيقية بالفعل وماذا لو كان البعض ممن يروون معجزات حدثت معهم أو توقفوا أمام عشرات التساؤلات في الإسلام والمسيحية لا يكذبون ؟ خاصة وأن هناك بعض النقاط التي تم ذكرها تبدو منطقية بشكل يرفض عقلي أن يفكر به حتى مجرد التفكير أويطرحه لأي نقاش ولو داخلي . واعتبرت أن اكتشافي لهذا الأمر يستلزم أن أقوم بأي فعل لإيقاف هذا الخطر المحدق بديني العزيز وفكرت بأن علي أن أرسل مثل هذه القصص لكبار الدعاة والشيوخ ليردوا على ماجاء بها وليضعوا حدا لهذه المهزلة . أتذكر أنني كنت على وشك البكاء حزنا على هؤلاء المرتدين الذين ضلوا طريقهم وكنت أفكر كيف لشخص أن يضل بعد أن منَّ الله عليه بنعمة الإسلام ؟ كيف يجرؤ على ارتكاب مثل هذه الجريمة الشنعاء التي تستحق القتل في الدنيا والإلقاء في نار جهنم في الآخرة إلى أبد الآبدين ؟ !

وجدني أبي وأنا في حالة من التأثر الشديد وعندما أخبرته بما اكتشفت، طلب مني عدم الدخول لتلك المواقع أو قراءة تلك القصص مجددا كي لا تؤثر عليَّ . فتعجبت من مجرد تخوفه أن تترك مثل هذه القصص أي تأثير يُذكر عليَّ . وهل يمكن أن أجن يوما ما وأفكر مجرد التفكير في أن أرتد عن الإسلام وأتركه إلي دين آخر وبخاصة الدين المسيحي ؟ أنا التي كنت أدعو الله ليل نهار أن يلحقني بمحمد في الفردوس الأعلى لأن هذا هو الفوز الأكبر !

لكن ماحدث بالفعل أن بعض النقاط التي مررت عليها كانت قد أضاءت مصابيح صغيرة داخل عقلي المعتم وبدأت في الشعور بأن بعضها منطقيا خاصة مايتعلق بحقوق المرأة وتعدد الزوجات واستباحة الجواري والغنائم والحروب باسم الجهاد ومأذُكر عن وجود أخطاء لغوية وعلمية وتاريخية وجغرافية في القرآن وهي أمور لم أجد لنفسي حتى إجابات منطقية عليها . لكنني خفت حتى من مواجهة نفسي بمنطقية كل مايقال فقررت التوقف فورا عن تصفح مثل تلك المواقع التي أصبحت في تلك الفترة هي شغلي الشاغل . وبدأ الخوف يتسرب إلى قلبي نتيجة مجرد تفكيري في بعض ماقرأت فاستغفرت الله سريعا وطلبت منه أن يسامحني على تلك الخواطر الصغيرة التي تسللت خلسة إلى عقلي . وفكرت وقتها

بأن هذا قد يكون مدخلاً للشيطان للإيقاع بي في براثن الشكوك وزعزعة إيماني القوي .. فالشيطان لن يتركني أنعم بالسلام وسيحاول إبعادي عن الطريق القويم بشتى الطرق لكن هيهات فلن أترك له الفرصة وسأبتعد تماما عن كل ماقد يثير بداخلي أي ذرة شك أو تساؤل قد يثير علي غضب الله الذي لن أحتمله .

لكن الله كان قد بدأ في قلبي عملاً يحركه بخطة دقيقة أتعجب كثيرا عندما استرجعها . فبعد قراري هذا وعودتي للتركيز على طقوسي الدينية المعتادة وقراءاتي الإسلامية التي قررت التوسع فيها لأقضي على أية ذرة متبقية من تلك الشكوك .. كنت أتناقش مع والدي ذات يوم حول أمر ما عن اليهود ففوجئت به يقول لي " هل ترغبين في قراءة التوراة ؟ " فأجبت " ولم لا ؟ ولكن هل لديك نسخة منها ؟ " فأخبرني بأنه يمتلك نسخة قديمة ولكن في شقته الأخرى التي يستخدمها كمكتب وأنه كان قد حصل عليها من أحد الأصدقاء . فطلبت منه أن يحضرها لي لأقرأها لأتعرف أكثر على عقيدة اليهود فقط لإشباع فضولي عنهم .

بعد بضعة أيام وجدت أبي يمد يده إليَّ بكتاب يبدو قديما وعلى غلافه الرئيسي صليب .. فقط صليب محفور في الغلاف دون أية كتابة عليه . وعندما فتحته وجدت مكتوبا بداخله " الكتاب المقدس " ووجدته مقسوما لجزئين جزء كتب عليه " العهد القديم " والجزء الأصغر يسمى " العهد الجديد " وأدركت أن هذا الكتاب يضم التوراة والإنجيل سويا، فشعرت بسعادة كبيرة لأن بداخلي كانت هناك رغبة في التعرف عن قرب على الإنجيل وقراءة آياته خاصة التي كنت أسمع عنها وأيضا ماقرأته في قصص بعض هؤلاء المتنصرين .. كان بداخلي شوق ممتزج بالفضول نحو هذا الكتاب وقلت لنفسي ربما أراد الله أن أقرأه في ذلك التوقيت لأكتشف بنفسي الأجزاء المُحرّفة وأتمكن من نقده حتى لا تداخلني مجددا أية شكوك أخرى , بل ومن الممكن أن أتمكن من دراسته لأقوم بمجادلة المسيحيين وربما إقناعهم بخطأ عقيدتهم . وبالفعل اتخذت تلك النية قبل أن أبدأ بالقراءة وكان من المفترض أن أبدأ منذ البداية بالتوراة وكتب العهد القديم لكنني وبعد عدة أيام وكنت لا زلت في سفر التكوين وجدت أن فضولي يزداد لكي أصل إلى العهد الجديد أو الإنجيل , فقررت بالفعل أن أتوجه مباشرة إليه دون استكمال كتب العهد القديم التي بدت طويلة جدا وستستغرق مني الكثير من الوقت .

بدأت بإنجيل متى وهو أول كتاب من كتب العهد الجديد وكان شعوري غريبا يختلط فيه التوجس بالفضول , ووصلت للإصحاح الخامس حيث كان السيد المسيح يخاطب جموعا كانوا يتبعونه ويلقي عليهم تعاليمه التي كنت قد سمعت بالقليل منها من قبل مثل " من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الآخر أيضا . " لم أكن أعرف أن هذا الجزء يطلق عليه " موعظة الجبل " وأن به خلاصة التعاليم المسيحية لكنني شعرت بمتعة عجيبة وأنا أقرأ بنهم شديد وتأثر جعلني أدمع من فرط رقي وجمال هذه التعاليم التي لا يمكن إلا أن تكون سماوية . وداخلني إدراك يصل لحد اليقين بأن هناك تعارضا كبيرا بين هذه التعاليم والتعاليم الإسلامية بشكل واضح وغير مبرر . فكيف يكون الاثنان من ذات المصدر لكنهما يجيئان بتعاليم متناقضة ؟

آمنا في الإسلام بأن السيد المسيح هو نبي من أولي العزم من الرسل ومن أبرز الأنبياء الذين كرمهم القرآن وكرم والدته السيدة مريم العذراء وامتدح تقواه فلماذا يقول مثال " سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن أما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا " . في حين يقول القرآن : " العين بالعين والسن بالسن والجروح قصاص . فلماذا يبدل الله أحكامه ؟ بل وأيهما أفضل أن يسود التسامح وعدم أخذ الثأر أم المعاملة بالمثل والقصاص الذي يدخل البشر في كثير من الأحيان في دوامة لا تنتهي من الصراع؟ ولماذا

يأمر السيد المسيح أتباعه بالصلاة في بيوتهم قائلا : " ومتى صليت فلا تكن كالمرائين فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس . الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم . وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق عليك بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية " . أما الإسلام فيحث على صلاة الجماعة بشكل حاسم , وحتى عندما أتى شخص أعمى يستأذن محمدا في أن يصلي بمنزله لأنه لا يرى الطريق ولا يجد من يقتاده إلى المسجد فكان رده عليه " لا أجد لك رخصة " ! وهو حديث يدل على فقدان أبسط معاني الرحمة لمن يوصف بأنه رحمة للعالمين . وتوقفت عند الصلاة التي علمها لهم السيد المسيح وكنت قد سمعتها من قبل لكنها في تلك المرة لمست قلبي بشكل قوي " أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأتي ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض . خبزنا كفافنا أعطنا اليوم . واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا . ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين . " ووجدتني أشعر بعدم استهجان لوصف الله بالأب وهو الأمر الذي كان يثير حفيظتي وحفيظة كل المسلمين لأن القرآن يقول : " وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه , بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء " (المائدة 18) فهل أخطأ السيد المسيح بوصفه الله بالأب وطلبه من أتباعه اعتباره كذلك وهو أمر واضح في الإنجيل ككل ؟ ولم لا نعتبره أبا ؟ أليس هو مصدر وجودنا وهو من يعتني بنا ويرزقنا ويحبنا أكثر من الأب الحقيقي ؟

لا أدري لماذا تعلقت كثيرا بفكرة أن يكون الله أبي وشعرت بأنها مصدر فخر واطمئنان وراحة أن أعتبر الله كأب سماوي يرعاني ويحبني . ووجدتني أتعمق في قراءة الصلاة الربانية أكثر من مرة مستمتعة بكل كلمة بها . وبالنسبة للطلاق، فقد وجدت أن السيد المسيح قد حرّم الطلاق إلا في حالة واحدة قائلاً : " قيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق . وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزني ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني " (متى 5 : 31 – 32 ..) في الوقت الذي أحل فيه الإسلام الطلاق دون قيد أو شرط وهو ماتسبب ولا يزال في تفكك ملايين الأسر . ناهيك بالطبع عن تشريع تعدد الزوجات وهو الأمر الذي كان دائما مايثير ضيقي فلم أكن أتخيل أن أوافق يوما ما على أن أكون ضُرة لأي امرأة أخرى أو أقبل بأن يتزوج زوجي عليّ لأي سبب كان . كنت أشعر بأن في هذا الوضع ظلم كبير لأي امرأة لا تقبل بفطرتها السليمة أن تشاركها امرأة أخرى في زوجها مهما كانت الأسباب.. فالطلاق قد يكون أهون بكثير من قبول وضع كهذا . ولدهشتي وجدت أن السيد المسيح يؤكد على أنه " منذ بدء الخليقة ذكرا وأنثى خلقهما الله . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه وليتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا . إذن ليسا بعد اثنين بل جسد واحد . فما جمعه الله لا يفرقه إنسان " (مرقس 10 : 6 – 9)

ياألله، ماكل هذا الرقي في الحديث عن علاقة الرجل والمرأة ؟ ماهذا التقديس لرباط الزواج ؟ أوليس من المفترض أن تكون العلاقة على هذا النحو من القداسة وليست كما يقول القرآن : " فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم (النساء 3) على الرغم من أنه يؤكد في آية أخرى : " ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم "(النساء 129) ورغم ذلك أباح التعدد بل وأباح إقامة علاقات غيرمحدودة مع الإماء فهن لا يُحسبن من ضمن الزوجات الأربع. كنت أشعر بأن تعاليم السيد المسيح هي الأقرب للرحمة والتسامح والإنسانية والفطرة السليمة لكنني كنت أحاول الهرب من هذه القناعة رغم أنني لم أجد بداخلي إجابة مقنعة لتلك التساؤلات .

أما الأمر الذي أثر فيَّ بل وصدمني بشكل كبير ماعرفته من إصابة الداعية أحمد ديدات بالشلل الكامل لمدة تسع سنوات قبل وفاته حيث فقد القدرة على النطق والحركة . وقد يرى البعض أن هذا ابتلاء عاديا من الله والمؤمنون يبتلون بالكثير من الأمراض وأن هذا ليس دليلا على غضب أو عقوبة من الله .. لكن مالا يعرفه الكثير من المسلمين أن الشيخ أحمد ديدات في إحدى مناظراته التي سمعتها ورأيتها بنفسي قد خاطب الله قائلاً "إن كنت أنطق بالباطل فليشل الله لساني . " وهو ماقد حدث بالضبط . فهل يعرف المسلمون الذين يتباهون به هذه القصة ؟ وماتفسيرهم لذلك ؟ فوقتها لم أجد تفسيرا بالفعل لما حدث لكن كان من الواضح أن الله استجاب له و أراد إرسال رسالة واضحة للجميع ليميز الحق من الباطل . وبعدما انتهيت من قراءة الأناجيل الأربعة " متى ومرقس ولوقا ويوحنا " اكتشفت أن قصة صلب المسيح هي نفسها في الأناجيل الأربعة ولم تكن مجرد قصة تم اختلاقها فيما بعد، لكنها كانت الأساس الذي بنيت عليه المسيحية . فصلب المسيح وقيامته هما جوهر الإيمان الذي بشر به تلامذته في العالم أجمع بل وتحملوا جميعا العذاب والاضطهاد في سبيل الدعوة إليه . ومن يقرأ الإنجيل سيكتشف أن السيد المسيح نفسه أخبر تلاميذه قبل حادثة الصلب أكثر من مرة بأنه أتي ليتمم نبوءات العهد القديم بشأن صلبه وقيامته في اليوم الثالث وأن مهمته الأساسية التي أتى من أجلها إلى الأرض هي الفداء والخلاص للبشرية . وقد حضر واقعة الصلب تلميذه يوحنا وأمه السيدة مريم وتحدث معهما حيث أوصاه بأمه قائلاً " يابني هذه أمك " وخاطب أمه قائلاً : " هوذا ابنك " وبالفعل ضمها القديس يوحنا إليه منذ ذلك الوقت " (يوحنا 19 : 26, 27)

كما رفع السيد المسيح عينيه إلى السماء وسط آلام صلبه مخاطبا الآب السماوي : " ياأبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون " (لوقا 23 , 34) وخاطب اللص الذي كان عن يمينه وآمن بأنه ابن الله وطلب منه أن يكون معه في الملكوت قائلاً له : " اليوم تكون معي في الفردوس (لوقا 23 : 43 .) فهل كل هذه الوقائع تم اختلاقها ؟ وهل سمح الله بأن تقوم الديانة المسيحية منذ نشأتها على كذبة ؟ بل وانتظر لستمائة عام حتى يرسل نبيا آخر ليكشف حقيقة ماحدث ويفند كل ماآمن به المسيحيون جميعا على مدار ستمائة عام ويخبرهم بأن من صلب وقتل لم يكن المسيح بل مجرد شبيه له ؟ فكيف يسمح بمثل هذه المسرحية الهزلية ويخفي كل الحقائق حتى عن أم المسيح نفسها وأتباعه وجميع المؤمنين ثم يظهر الحق بعدها بستة قرون ؟

أما الأمر الآخر الذي توقفت عنده وقتها، فكان: إذا كان القرآن يؤكد أن الله أنزل كتاب يسمى الإنجيل على السيد المسيح فلماذا لجأ تلامذته ثم الكثير من المؤمنين فيما بعد لكتابة أناجيل متعددة يحمل كل منها اسم كاتبه فهناك إنجيل متى وإنجيل لوقا ويوحنا ومرقس وهناك الكثير غيرهم , لكن تم اختيار هذه الأناجيل الأربعة لدقتها والتأكد من مصداقية من كتبوها واستبعاد الأناجيل الأخرى المجهولة . والمقصود بكلمة الإنجيل البشارة او الأخبار السارة وهي الفداء . ولم يذكر أي مسيحي على مر التاريخ أن هناك كتاب أنزل على السيد المسيح أثناء حياته وإلا فأين ذهب ؟ هل تم إخفاؤه أو ضياعه بشكل كامل ؟ وكيف لم يحافظ عليه التلاميذ أو المؤمنون ؟ ولماذا لجأوا لكتابة العديد من الأناجيل إن كان هناك كتابا مقدسا أعطاه لهم السيد المسيح بنفسه ؟ و هل يعقل أن يختفي مثل هذا الكتاب الهام ويتجرأ المؤمنون على تأليف كتاب مقدس بأنفسهم ليستبدلوا به كلام الله ؟ فالتحريف المذكور في القرآن يقصد به تبديل بعض الآيات وليس إخفاء الكتاب بالكامل واستبداله بكتب أخرى . وإذا كان هناك شخص أو مجموعة من الأفراد أو طائفة من الطوائف قد تعمدت التحريف فهل سمح لها بذلك كل المؤمنين المتواجدين في ذلك الوقت ؟ ألم يوجد مؤمن واحد يتصدى لهذا التحريف ويحافظ على النسخة الأصلية ؟ وهذا ينطبق بالمثل

على التوراة التي يطلب القرآن من المسلمين الإيمان بها مؤكدا أن الله : " أنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس " (آل عمران 3,2). بل ويخاطب اليهود والمسيحيين قائلا : " قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة و الإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم (المائدة 68) فكيف يطالبهم بالإلتزام بكتب محرفة ؟ بل ويصف التوراة قائلاً : " إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون " (المائدة 44) وفي آية أخرى يتحدث عن الإنجيل : " وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور " (المائدة 46) فلم يذكر هنا أي تحريف بل امتدح التعاليم الموجودة في الكتابين باعتبارهما تعاليم إلهية . وهناك آية توقفت عندها حيث يقول القرآن على لسان السيد المسيح : " ومصدقا لما بين يدي من التوراة " (آل عمران 50) وهذا صحيح فالسيد المسيح لم يذكر أبدا أن التوراة قد تم تحريفها بل على العكس كان دائما مايستشهد بآياتها , كما أوصى الناس قائلا : " فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهي تشهد لي " (يوحنا 5 : 39) وقال أيضا : " ماجئت لأنقض بل لأكمل " (متى 5 : 17) والمسيحيون حتى الآن يؤمنون بنفس التوراة وكتب العهد القديم التي يؤمن بها اليهود حتى اليوم بنفس النصوص تماما .فإذا كانت التوراة قد حرفت فمتى حدث ذلك ؟

كان صوت تلك التساؤلات المنطقية يعلو في ذهني يوما تلو الآخر لكنني كنت أسكتها بسؤال استنكاري واحد " وهل سيكذب النبي محمد ؟ " فلم أكن أستطيع أن أشكك في نبوة محمد أو أقواله حتى وإن كانت هناك دلائل قوية تستحق التوقف عندها والبحث فيها . فقط حاولت البحث على الإنترنت عن إجابات لبعض هذه التساؤلات في مواقع مخصصة للرد على مايسمونها " بالشبهات " لكنني لم أجد أية إجابة منطقية لتساؤلاتي . تلك الشكوك أصابتني بحالة من الخوف الشديد خشية أن يكون الشيطان هو من يرغب في إبعادي عن طريق الحق ومن أن الله بلاشك سيغضب مني لشكي في دينه الحنيف.

فقررت أن أصلي صلاة توبة وأستغفر الله وأعاهده على عدم التفكير في مثل هذه " الشبهات " وقررت أن أعمل على تقوية إيماني والتركيز على عباداتي خاصة وأننا كنا وقتها في شهر رمضان الذي تتسلسل فيه الشياطين . فطلبت من الله أن أرى رؤيا لمحمد لأنني كنت في أشد الإحتياج إليها في ذلك الوقت لتقوية إيماني وإزالة أية شكوك من نفسي . وأتذكر أنني ألححت على الله في الدعاء في أيام العشر الأواخر التي يفترض المسلمون أن الله يستجيب فيها للدعاء أكثر من أي وقت آخر لوقوع ليلة القدر بها . وفي ليلة محددة ألححت كثيرا على الله بهذا الطلب وبعدما نمت رأيت أنني أقف وأمامي السيد المسيح بلباس أبيض وعن يساره السيدة مريم العذراء بلباس أبيض أيضا وأنا أقف أمامهما أتحدث إليهما وهما منصتان في صمت ثم نهضت من نومي . كنت في حالة عجيبة .. فبين شعور باليقين من أن هذه رؤية حقة وليست مجرد أضغاث أحلام حيث كنت متأكدة من أنني رأيت السيد المسيح والسيدة مريم العذراء وياله من شرف ! لكنني في الوقت ذاته شعرت بخيبة أمل كبيرة وتعجب فلم يكن هذا إطلاقا هو ماأردته بل على العكس كنت أريد رؤية محمد لأنسى تعلقي بالسيد المسيح فإذا بي أرى مالم أتمنى فلم يارب ؟ هل تقصد أن تزيد من حيرتي ؟ ألا ترغب في أن أتخلص من تلك الشكوك وأستعيد إيماني وسلامي وأعود تلك المسلمة التقية ؟ لكنني في الوقت نفسه شعرت بفرح وشرف أن يمن الله علي بهذه الرؤية فأنا أعلم أنني غير مستحقة لمثلها .

إلا أنني قررت أن أقنع نفسي بأن هذه الرؤية ربما تكون من الشيطان لأنه يرغب في تشويش أفكاري وإبعادي عن الحق . فمن غير الممكن أن أعتمد على مجرد حلم لأبني عليه قرارات مصيرية . وكان قراري بإغلاق هذا الملف والعودة لحياتي السابقة . لكنني كلما قرأت القرآن أجدني أتوقف عند

بعض الآيات التي أثارت شكوكا لم أتمكن من القضاء عليها . فقللت قراءاتي ووجدتني تدريجيا أفقد حماسي لأداء صالة الفجر أو أداء صلوات السنن الإضافية أو الذهاب للمسجد لحفظ القرآن . واكتفيت بأداء الفروض والتوقف عن التفكير في أية أمور إيمانية.

شعرت بفجوة تتسع مع الإسلام خصوصا مع ماكنت أراه من تصاعد لموجة العنف والإرهاب الإسلامي في العالم ورغم ذلك كان البعض يتسابقون لتبرئة الإسلام من هذا العنف بدعوى أن هؤلاء الإرهابيين لا يعرفون صحيح الدين السمح المسالم وأن هذه الأفكارهي لبعض الشيوخ المتشددين الذين شوهوا حقيقة الإسلام . متجاهلين أن فقه هذه الجماعات قائم بالأساس على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وسيرة السلف وتاريخ الغزوات والبطولات . فكل ماقام ومايقوم به أتباع تلك الجماعات التي بدأت من بعد سقوط الخلافة الإسلامية له أساس ديني قوي وأعلم ذلك جيدا بحكم اطلاعي على هذا الفكر لفترة طويلة فهؤلاء هم من يطبقون الإسلام بحق وليس دعاة الإسلام الوسطي الجميل الذين يرغبون في إخفاء الحقائق لنفي تهمة الإرهاب عن الإسلام . فهل أخطأ أتباع جماعة الإخوان المسلمين والجهاد الإسلامي والقاعدة وأبوسياف وجماعة الشباب الصومالية وتنظيم القاعدة وجيش النصرة وبوكو حرام وحزب الله وتنظيم داعش في فهم صحيح الدين والاطلاع عليه؟ !

كنت أشعر بالنفور الشديد خصوصا مع المآسي التي كنا نسمع عنها مع حكم تنظيم داعش لأجزاء من سوريا والعراق وتطبيقهم للشريعة وحدودها من قطع للأيادي وسبي للنساء . فلم أكن أتمنى أن أشارك هؤلاء جنتهم المزعومة يوما ما إن كان الله حقا سيقرر إدخالهم إليها . كنت أمر بمرحلة من النضج الفكري خاصة بعد انتهاء دراستي الجامعية وتوسعي في القراءات , فبدأت أميل لتقبل جميع الديانات والأفكار ووصلت لقناعة بأن لكل شخص الحق في اختيار أي طريق للوصول إلى الله وأنه سيتقبل حتما أي أحد طالما يبتغي مرضاته ويظن أنه على الطريق الحق لأن الله يهتم بالنوايا والقلوب والأفعال الحسنة والخير أكثر من العبادات والأديان . ظللت على تلك القناعة لسنوات اعتبرت نفسي فيها متفتحة مبتعدة عن التعصب وتكفير الآخرين وصنفت نفسي كمسلمة " معتدلة " لا تحكم على أحد . فالله هو من سيحاسب الجميع في الآخرة ولسنا بديلا له لحساب الناس على الارض .

كانت الأفكار التي بقيت في قلبي وعقلي من خطبة الجبل قد أصبحت شيئا فشيئا هي الأساس لقناعاتي , فكنت أؤمن بتعاليم السيد المسيح وأراها الأسمى والأكثر قدرة على خلق واقع تسمو فيه قيم السلام والتسامح والمحبة لكنني في الوقت نفسه كنت أؤمن بالعقيدة الإسلامية البسيطة والواضحة بعيدا عن فكرة الثالوث التي كانت العائق الأكبر بالطبع أمام فهمي واقتناعي بالمسيحية . لكنني رغم ذلك لم أنعم بالسلام الداخلي أبدا فكنت أشعر بفجوة وبعدم تصديق لما أدعيه من أن كل الطرق تؤدي إلى الله . آمنت بأنه لابد وأن يكون هناك طريق واحد حق وأن علينا البحث عنه واتباعه مهما كلفنا ذلك . وأن فكرة بقاء كل شخص أسيرا للدين الذي رباه عليه والداه أو وجده مكتوبا في شهادة ميلاده أو بطاقته هي فكرة خاطئة تماما . وأن علينا جميعا عندما نصل لمرحلة من النضج أن نقرأ في كل الكتب المقدسة ونبحث عن الحق دون تحيز والأهم أن نسأل الله أن يهدينا لطريقه فهو وحده من يعلمه . وإن اعتمدنا على عقولنا وحدها أو مايخبرنا به المجتمع والأسرة كحقيقة مُسلّم بها فربما نجد أنفسنا على أعتاب جهنم الأبدية دون أمل في الخلاص . وقتها سيسألنا الله عن سبب تقصيرنا وعدم بحثنا عن طريقه وطلب معونته وهدايته دون خوف أو استكبار . فقررت أن أقرأ بنهم في كافة المعتقدات اليهودية والمسيحية والهندوسية والبوذية والبهائية وعن الدروز والصابئة وعن الشيعة والمتصوفة . ووجدتني أنجذب للصوفية باعتبارها

تتبنى مباديء التسامح والمحبة وحب الله لذاته وجلاله وليس طمعا في الجنة أو خوفا من النار وهي المباديء الأقرب للمسيحية منها الإسلام مع الحفاظ على العقيدة الإسلامية وهو ماكان يتوافق وتفكيري في ذلك الوقت .

لكنني شعرت بأن شيئا ما خاطئا خاصة وأن الفكر الصوفي يخالف بعض أحكام وتعاليم الإسلام بشكل واضح وهو مايأخذه عليهم السلفيين أو الملتزمين دينيا . فلا يمكن أن نختار من الإسلام مايعجبنا ونترك مانرفضه ثم نأخذ من دين آخر تعاليم أخرى . فالقرآن نفسه يستنكر ذلك قائلا : "أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض " ؟ لذلك كنت أشعر بداخلي بحالة من التخبط والخوف من أن أموت في أي وقت وأنا على هذا الحال . ورغم حرصي على أداء الصلاة والصيام وارتداء الحجاب لكنني كنت أشعر بعدم انتماء حقيقي للإسلام وتعلق شديد بالسيد المسيح مع خوف من الإيمان بالعقيدة المسيحية وفزع مما قد يحدث لو اخترت طريقا خاطئا . فكنت أدعو الله ألا أموت وأنا على هذا الحال وأطلب منه أن يرشدني للحق أنا وأسرتي . لم يكن يحركني فقط الخوف من عذاب النار وإنما كان بداخلي منذ الصغر حب لله ورغبة في إرضاءه فلم أكن أريده أن يغضب عليَّ أبدا . كنت أشعر بحبه لي وقربه مني دائما واستجابته كثيرا لدعواتي في أمور صعبة لكنها حتما لا تصعب عليه . كنت أشعر بلطفه يسبق قدره وبأبوته الحقيقة لي ولذلك أحببت كثيرا الصلاة المسيحية حتى كنت أقولها أحيانا وأناجي بها الله بعد انتهائي من صلاتي الإسلامية ! لم أكن أشعر بأن الله سيغضب عليَّ إن اعتبرته أبي السماوي , وهل أخطأ السيد المسيح عندما علم أتباعه تلك الصلاة الوحيدة وطالبهم دائما باعتبار الله أباهم السماوي الرحيم ؟ وهي الصورة التي أحببت أن أتخذها عن الله خالق الكون . فمبدأ العبودية الذي يقوم عليه الإسلام في تصوير العلاقة بين الإله والبشر أراه يؤسس لعلاقة ذات فجوة واسعة لا تسمح بوجود علاقة شخصية بيننا وبين الله . علاقة تقوم على الثواب والعقاب وليس على المحبة . وربما هذا هو أكثر ماجذبني للمسيحية . فحتى عندما كنت شديدة الإلتزام بالإسلام لم أكن أحب سماع الخطب التي تتحدث عن عقاب الله , لم أحب أبدا أسلوب الترهيب والحديث عن عذاب القبر والنار وغضب الله .. كان هذا الإسلوب يصيبني بالنفور والخوف ويبعدني أكثر عن الله . كنت أحب كثيرا سماع من يحدثني عن حب الله لعباده وحرصه على الاقتراب منهم وكان الحديث القدسي الأحب إلى قلبي " من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا , ومن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة " . وحديث " أن الله أرحم بعباده من الأم بولدها " وأن الله يباهي بنا الملائكة عندما نجتمع لذكره ويقول لهم " أشهدكم ياملائكتي أني قد غفرت لهم . "

وذات يوم قررت الذهاب لزيارة منطقة تاريخية تضم مساجد وكنائس أثرية يزورها عادة السياح وأهل البلد مسلمين ومسيحيين , وكان هدفي من تلك الزيارة أن أشبع فضولي بالتواجد داخل كنيسة , وبالفعل ذهبت وحدي متخذة الهدف السياحي ذريعة لاستكشاف المكان وبمجرد دخولي واستغراقي في التطلع للأيقونات وإشعال شمعة كما كان يفعل بعض المتواجدين .. شعرت بسلام وفرح ورغبة في البقاء داخل هذا المكان المريح لكنني خفت من إثارة الشكوك ولم أجد ماسأفعله حيث قص علي أحد المرشدين تاريخ الكنائس المجاورة فقمت بزيارتها لأمتليء من هذا الفرح العجيب.

وأكملت طريقي على هذا المنوال حتى تقدم لي زميل عمل وكنت أفكر وقتها هل سيتم الأمر أم لا ؟ .. وذات ليلة حلمت بامرأة لا أعرفها لكنني أدركت على الفور أنها مسيحية وأن الله قد أرسلها لي . وأخبرتني بأن الله يقول لي أن الضيق الذي أجتاز به سينتهي قريبا - وكنت بالفعل أمر وقتها ببعض المشكلات - وأثناء الحلم فكرت بأنها إذا كانت قادمة من عند الله فستعرف ممن سأتزوج وعندما سألتها

أخبرتني بأنني مخطوبة للمسيح ! وعندما استيقظت شعرت بالفعل أنها رؤية من الله لأنني تذكرت تفاصيلها جيدا وهو ما لا يحدث لي عادة لكنني تعجبت كثيرا لهذه الجملة الأخيرة التي قالتها لي .. فماذا تعني بأنني مخطوبة للمسيح ؟ وكنت قد قرأت ذات مرة بأن الراهبة تعتبر مخطوبة للمسيح ولذلك لا تتزوج على الأرض لأنها ستكون عروسا للمسيح في السماء . والمقصود كما فهمت فيما بعد هو الارتباط الروحي وليس الجسدي بالطبع , فالزواج هو رباط مقدس والمسيحيون يرتبطون رباطا أبديا بالمسيح . لكنني وقتها تحيرت من تفسير معنى الحلم , فهل يعني ذلك أنني لن أتزوج وسأصبح راهبة يوما ما ؟ فقررت أيضا التشكك في هذا الحلم وقلت ربما هي أضغاث أحلام وانشغال داخلي بالمسيحية أو شيء من الشيطان ليزيدني ارتباطا بها . و كنت قد قررت بأنني لن أعتمد على الأحلام لتقرر لي ماهو الطريق الصواب.

وتم الزواج بالفعل بعدها بأشهر قليلة فاعتبرت أن هذا الحلم كان حتما نوعا من الخيال وأن الله اختار لي زوج مسلم وملتزم كرسالة منه حتى أنسى أي شيء يتعلق بالمسيحية أو بالشك في الإسلام . وقررت أن أبدأ حياة جديدة مع زوجي على أساس طاعة الله والإلتزام الإسلامي دون تشدد فلم يكن زوجي متشددا بل على العكس كان محافظا على الفرائض دون مبالغة. وبدأنا حياتنا بصلاة الجماعة التي قررنا الحفاظ عليها سويا قدر الإمكان ليبارك لنا الله في زيجتنا , وكنا أحيانا نجلس لنقرأ سويا في القرآن . ثم أنجبنا ولدا بعد عام , وكنت أحرص على إسماعه آيات القرآن منذ صغره . لكنني كنت أعلم جيدا أنني أقاوم شيئا ما زرع بداخلي قبل سنوات وأصبح الهروب منه مستحيلاً .

وكنت كلما مررت بكنيسة أو رأيت صليب أو أيقونة مسيحية أشعر بحالة من السعادة الغريبة . والعجيب أن الحي الذي كان يعيش به زوجي قبل زواجنا يتميز بوجود غالبية مسيحية وعدد كبير من الكنائس , وكانت المرة الأولى التي أزور فيها هذا الحي بعد ارتباطنا فانبرهت بهذا الطابع المسيحي الطاغي . وعندما استيقظت في أول ليلة قضيتها هناك كان صوت قرع أجراس الكنائس هو الذي أيقظني للمرة الأولى . فاستيقظت في سعادة وتعجب من عمل الله العجيب في حياتي . وعندما بدأ إبني يعي الأشياء ويبدأ في طرح التساؤلات وجدته يوما يسألني عن ماهية هذا المبنى الذي تعلوه علامة الصليب .. فأخبرته أن هذا دارعبادة لله مثله مثل المسجد وأنه يسمى كنيسة . وشاء الله أن نذهب في رحلة للمرة الأولى لأحد الأديرة برفقة مجموعة أغلبها من المسلمين . كنت شديدة الحماس والفرح , فتواجدي في أي مكان مسيحي كان يبعث بداخلي بهجة أعجز عن مداراتها , وكانت المرة الأولى التي يدخل فيها إبني الصغير لمكان مقدس حتى قبل أن يزور المسجد . وكنت ألح على زوجي من وقت لآخر بأن نقوم بزيارة لأحد الكنائس الأثرية معربة عن استمتاعي بزيارة مثل تلك الأماكن رغم أنني لم أكن أطلب منه أن نزور أي مسجد أثري أو أثر تاريخي . ولنشأته المنفتحة على المسيحيين لم يكن يعترض على ذلك لكنه بعد فترة بدأ يشعر بالضيق من تكرار هذه الرغبة وبدأ في الرفض فآثرت ألا ألح عليه خوفا من إثارة شكوكه.

وذات ليلة بينما كنا أنا وابني نائمان سويا في منزل والداي حلمت بأننا نائمان في نفس الوضع وأمامنا باب الغرفة مفتوح وفوجئت بإبني ينادي علي بحماس شديد : " أمي أمي انظري .. يسوع المسيح أتي إليك في منزلك " فنظرت فوجدت السيد المسيح واقفا بلباسه الأبيض أمام باب الغرفة , واستيقظت على الفور من النوم ونظرت بالفعل باتجاه الباب لكن لم يكن هناك سوى ظلام تام . إلا أنني شعرت بسعادة بالغة وكأنني لم أكن أحلم , خاصة وأن الحلم كان على نفس الوضع الذي كنا فيه . وشعرت وكأن السيد المسيح قد أتى لزيارتنا بالفعل لكنه كان واقفا على الباب ولم يدخل إلى الغرفة فلم أفهم السبب

, لكنني بعدها بسنوات قرأت الآية التي يقول فيها السيد المسيح : " هأنذا واقف على الباب وأقرع . إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي " (رؤيا 3 : 20) ففهمت أن معنى هذا الحلم على الأغلب أن السيد المسيح كان ينتظر قبولي له ودعوتي إليه للدخول إلى حياتي لهذا ظل واقفا على الباب ولم يدخل لأنني حتى ذلك الوقت لم أكن قد سمحت له بذلك . وظللت لسنوات أدعو بشكل يومي أن يرشدني الله لطريقه الحق وألا أموت على حالة الحيرة هذه . وفكرت في أن نقوم أنا وزوجي برحلة حج أوعمرة إلى مكة . كنت أشعر أن هذه الرحلة ستكون حاسمة وأنني سأتمكن من معرفة الحقيقة هناك .. فإما سأجد الله في مكة أو سأترك الإسلام نهائيا . وسعينا بالفعل أكثر من مرة للقيام بهذه الرحلة لكن الله لم يشأ لنا القيام بها فقد كان له تخطيط آخر.

فذات يوم فوجئنا بدعوة لزيارة روما في رحلة عمل , وكان المكان الأول الذي صممت على زيارته في يومنا الأول هناك هو الفاتيكان . وجدنا أنفسنا داخل أهم رمز ومعلم مسيحي تاريخي والوجهة الأولى لمسيحيوا العالم للحج . فبدلاً من مكة وجدنا أنفسنا نحج إلى الفاتيكان ! أتذكر جيدا وقوفي داخل كنيسة القديس بطرس المهيبة بزخارفها وأيقوناتها البديعة وحضورها المهيب وسط آلاف من الحجاج المسيحيين من كافة أنحاء العالم . ووقفت أسأل الله بداخلي لماذا يارب أحضرتنا لهذا المكان نحن المسلمين الذين عجزنا عن زيارة مكة ؟ ربما كنا وقتها المسلمين الوحيدين هناك . ولم نقض وقتا طويلاً حيث التقطنا بعض الصور التذكارية وغادرنا سريعا . لكنني شعرت بأن الله هو الذي رتب لنا هذه الزيارة التي عمقت بداخلي الشعور بأن هناك خطة لله في حياتي لا أستطيع إيقافها أو تغييرها ولم أكن أعلم بالضبط في هذا الوقت إلى أين ستقودني تحديدا لكنني كنت على يقين من أن الله لن يضيعني أبدا .

الفصل الثالث

قطع الشك باليقين

بعد رحلتنا إلى روما بعام واحد، وجدنا أنفسنا بترتيب إلهي آخر في بلد أوروبي لم نتوقع يوما أن نقوم بزيارته وهناك التقينا بأحد أصدقاء زوجي الذي يعيش هناك منذ سنوات طويلة وتعرفت على زوجته الأجنبية التي أخبرتني بأنها مسيحية متدينة تحرص على الذهاب إلى الكنيسة هي وابنتها رغم أن المجتمع هناك بعيد تماما عن كل مايتعلق بالدين وأن الغالبية من اللاأدريين الذين لا يعتنقون دينا معينا ولا يعرفون ماإذا كان هناك إلها لهذا الكون أم لا بل لا يهتمون كثيرا بالأمر . شعرت براحة نفسية تجاهها وانطلقنا في تبادل الأحاديث حتى أخبرتها بأنني قرأت الإنجيل وأحببت الكثير من تعاليمه وتعلقت كثيرا بالسيد المسيح لكن هناك مالم أستطع فهمه أو تقبله في العقيدة المسيحية فإذا كان السيد المسيح هو ابن الله بالفعل - مع عدم قدرتي على تقبل مثل هذه النظرية حتى ذلك الوقت - فلماذا يحضره الله إلى الأرض ويجعله يصلب ويتعذب ويموت فقط ليخلص البشر الذين سيؤمنون به من عذاب جهنم ؟ فإذا كان الله يحب البشر إلى هذا الحد وهو وحده بيده أن يغفر لهم أو يعذبهم فليغفر لهم إذا ببساطة ودون حاجة لمخلص يموت صلبا ويتعذب من أجلهم ! كانت هذه هي مشكلتي الكبرى مع المسيحية حيث لم أستطع حتى ذلك الوقت فهم ضرورة الفداء . فالإسلام يقول بأن من يؤمن ويعمل صالحا وتغلب حسناته سيئاته سيغفر له الله ويدخله الجنة وهو أمر منطقي وبسيط وقابل للاستيعاب على عكس عقيدة الفداء والصلب . انتظرت منها أن تشرح لي لكنها فاجئتني بالقول : " اقرأي العهد القديم واطلبي من الله أن يرشدك للحق . " أخبرتها أنني بالفعل أدعو الله يوميا أن يرشدني لطريقه وبأنني قرأت العهد الجديد كاملا منذ سنوات وكنت أحرص على قراءة خطبة الجبل من وقت لآخر لإعجابي الشديد بها لكنني ومنذ أن بدأت قبل سنوات في قراءة سفر التكوين ثم تحولت لقراءة العهد الجديد لم أعد مجددا لقراءة العهد القديم . وأخبرتها بأنني سأفعل ذلك بمجرد عودتي إلى بلدي رغم أنني لم أفهم وقتها ماالذي يمكن أن أجده في العهد القديم ليجعلني أتقبل فكرة الفداء والصلب . أليست هذه العقيدة مسيحية وغير موجودة عند اليهود ؟ وبعد عودتي بوقت قصير انتهيت من صلاتي ذات يوم وجلست لأتحدث إلى الله .. أخبرته بأنني لا أريد أن أكمل حياتي على هذا النحو وأنني أريد معرفة طريقه الحق والإقتراب منه أكثر والعيش له وإرضاءه حتى ألقاه في اليوم الأخير وهو راضٍ عني . وأنني هذه المرة سأبحث بجد ولن أترك هذا الأمر حتى أصل ليقين وطلبت منه أن يساعدني ويرشدني لأصل إليه لأنه هو وحده من يعلم الحق وقادر على أن يرشدني إليه و ألا يدع للشيطان سبيلا لخداعي وأن يرشد أهلي وأسرتي معي للحق . وعاهدته على أن أتبع طريقه وأثبت عليه حتى وإن وجدته في المسيحية فسأعلن ذلك مهما لاقيت في سبيل هذا الإعلان .. حتى وإن تخلى عني الجميع أو حرمت من إبني أو تعرضت للإعتقال أو القتل فهدفي هو الآخرة الباقية وليس الدنيا الفانية . وقررت أن أتبع نصيحة هذه المرأة فأخرجت الكتاب المقدس ووضعته بجوار سريري وبدأت في قراءته يوميا , فلاحظ زوجي ذلك وكان يعلم من قبل أن لدي الكتاب المقدس لكنه تعجب من حرصي على القراءة فيه يوميا ووضعه بجوار سريري بهذا الشكل . فأخبرته بأنني لم أكن قد قرأت بعد العهد القديم وأرغب في قراءته . لم أخبره بالطبع بما دار بيني وبينها أو بشكوكي وتساؤلاتي على مدار السنوات الماضية فقد كنت أنتظر أن أصل أولا لإجابة عن الكثير من تساؤلاتي حتى أتمكن من فتح الموضوع معه بشكل واضح وصريح وأكون قد وصلت لقرار أو صورة واضحة . وكنت أعلم بالطبع بأن هذا الموضوع

الشائك سيكون مفصليا في علاقتنا وتخيلت سيناريوهات عديدة لما قد يحدث بعد معرفته بالموضوع لكنني كنت قد عاهدت الله على أنني مستعدة لمواجهة أي شيء في سبيل إيجاد الحق , كما كنت لا أزل على أمل بأن أصل إلى أن الإسلام هو الحق وبأن أجد إجابات للتساؤلات التي أرقتني لسنوات وتنتهي رحلة الشك المرهقة نهاية سعيدة وأعود لسلامي الداخلي ولعباداتي الإسلامية وربما نذهب للحج أنا وزوجي احتفالا بانتهاء هذه المرحلة الصعبة . كانت سيناريوهات متعددة تدور داخل رأسي في تلك الأيام وأصبح إيجاد الطريق هو شغلي الشاغل . وذات يوم وبينما كنت أتناقش أنا وزوجي حول داعش والإرهاب أخبرته بكل صراحة بأن المشكلة تكمن في أنهم يعرفون الإسلام جيدا ويستندون على أدلة قوية من القرآن والسنة وبأنني لا أستطيع أن أفهم كيف يدعو الله لقتال غير المؤمنين ولسبي النساء غير المسلمات ؟! ووجدتني أقول له أن داعش هي ضحية لهذا الفكر وأن عامة المسلمين هم من لا يعرفون صحيح الدين وليست داعش ! وسألته : " ماذا لو كنا على خطأ وماذا لو لم يكن الإسلام هو الدين الحق وأننا قد نكون في طريقنا إلى جهنم بسبب عدم بحثنا في باقي الأديان . فلماذا لا نبحث ونسأل الله أن يرشدنا للحق ؟ " جاء رد فعله بصراحة غير متوقعا بالنسبة لي فلم أجد الثورة التي كنت أنتظرها بل وجدت استعداده لمشاركتي رحلة البحث لكنه طلب مني أن نبدأ أولا من الإسلام ونبحث في النقاط التي لا أتمكن من فهمها أو تشكل إشكالية كبيرة بالنسبة لي على أن نذهب لأحد رجال الدين لمناقشته فيها والحصول على إجابات على تلك التساؤلات فوافقته لكنني لم أجد مانعا من استكمال قراءة العهد القديم في نفس الوقت الذي كنت أبحث فيه داخل القرآن والأحاديث النبوية . وبدأنا بالفعل البحث في الجوانب الشائكة في الإسلام وأهمها الغزوات والسبي والكثير من الإشكاليات من أبرزها الناسخ والمنسوخ ونقاط أخرى سأتطرق لذكرها تفصيليا بعد قليل . وبعد أن قطعت شوطا طويلا في قراءة كتب العهد القديم لاحظت تشابها كبيرا جدا بين أحكام الشريعتين اليهودية والإسلامية , ووجدت أمرا من الله لليهود بقتال غير المؤمنين .. فقلت لنفسي فلماذا إذا ألوم على الإسلام أمره للمؤمنين بالجهاد وقتال غير المؤمنين واعتباره للمسلمين كخير أمة أخرجت للناس كما اعتبرت التوراة اليهود شعب الله المختار؟ وهاهي أحكام الشريعة اليهودية تكاد تتطابق مع مثيلتها الإسلامية من أمر بالطهارة ومبدأ العين بالعين والسن بالسن وحتى طريقة أداء الصلوات بل وصوم الإثنين والخميس وتحريم لحم الخنزير . فلماذا يتهم الإسلام بالتشدد والعنف ؟ بدأت أشعر بالراحة النفسية وأنا أصل لتلك التصورات معتبرة أنني قد أكون قاربت على نهاية رحلة شكي وربما تكون تلك هي مشيئة الله وأحكامه ونظامه الذي علينا طاعته دون جدال أو تفكير عميق . لكنني في نفس الوقت كنت أبحث على الإنترنت عن إجابات لتساؤلاتي في الإسلام فأزداد حيرة ورفضا لكل التبريرات وأشعر بداخلي بأنه حتى وإن كان هناك تشابها كبيرا بين الإسلام واليهودية من جهة خوض الحروب والقتال وأحكام الشريعة إلا أنني لم أفهم لماذا أوقف السيد المسيح العمل بتلك الأحكام وأتى بثورة حقيقية واستبدل العهد القديم القائم على تطبيق الناموس أو الشريعة بعهد جديد يقوم فيه خلاص الإنسان على قبوله بهدية الله المجانية بتقديم السيد المسيح نفسه ذبيحة لخلاص البشر , فلاحاجة بعد إذا لتطبيق الناموس أو الشريعة والقيام بفرائض محددة لتجنب عقاب الله أو نيل رضاءه . فلماذا سيعود الله مرة ثانية في الإسلام ليفرض أحكام الشريعة ويبطل فداء المسيح ؟!

وكانت المفاجأة الحقيقية التي اكتشفتها وأنا أقرأ العهد الجديد أن وجدت الإجابة أخيرا عن التساؤل الذي أرقني لسنوات وهو .. إذا كان الله يحب البشر حبا جما ويرغب في إنقاذهم من عذاب جهنم .. وإذا كان السيد المسيح هو ابنه الوحيد كما يقول الإنجيل , فلماذا يلزم الله ابنه الوحيد بأن يقتل صلبا ويعذب ويهان من أجل أن يخلص البشر ؟ لماذا لا يعفو عنهم هو ويغفر لهم برحمته مباشرة دون الحاجة لتقديم ابنه

كذبيحة ؟ وجاءتني الإجابة واضحة بين سطور وآيات العهد القديم الذي يؤكد منذ بدايات سفر التكوين وطوال الكتاب أن الله قد أسس مبدأ للغفران منذ بداية تعامله مع البشر وهو ضرورة تقديم قربان ليخلص به الإنسان الخاطيء من ذنوبه وهو ماحدث في قصة قايين وهابيل التي ذكرها القرآن أيضا بنفس التفاصيل حيث قدم كلا منهما قربانه كفارة لله فتقبل الله ذبيحة هابيل ولم يتقبل من قايين وهو ماأثار حسده وغيرته وغضبه فقرر قتل أخاه هابيل . وإذا استكملنا قراءة العهد القديم سنجد أن مبدأ القربان أو الفدية كان هو السائد في العلاقة بين الله والبشر . فكما قال بولس الرسول " كل شيء تقريبا يتطهر حسب الناموس بالدم وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة (عبرانيين 9 : 22). ففي الشريعة اليهودية حدد الله ذبائح بأوصاف خاصة لتكفير ذنوب وخطايا محددة . كما كان إبراهيم على استعداد لتقديم ابنه ذبيحة إرضاء لله , لكن الله كان يختبر طاعته وإيمانه فأخبره بأنه هو نفسه " الله " من سيقدم الذبيحة .

ولستة أشهر كاملة كان شغلنا الشاغل أنا وزوجي هو قراءة العهد القديم والعهد الجديد والقرآن وسماع مناظرات وقراءة تجارب حياتية وتجارب اقتراب من الموت والبحث عن إجابات من خلال المواقع الإسلامية والمسيحية على الإنترنت والدعاء بإلحاح إلى الله ليرشدنا للحق . وفوجئنا بفيض من الدلائل والاكتشافات التي كانت جميعها تقودنا إلى حقيقة واحدة ألا وهي أن السيد المسيح هو وحده الطريق والحق والحياة وأنه إبن الله الوحيد المولود غير المخلوق الذي تجسد في صورة بشرية ليصنع الفداء ويصالح البشر على الله ويهبنا القدرة على النجاة من عذاب جهنم الأبدية التي نستحقها جميعا نتيجة خطايانا لنفوز بصحبته في الملكوت الأبدي بالنعمة الإلهية وليس بأعمالنا البشرية الناقصة التي مهما تعبنا فيها فلن تمكننا أبدا من استحقاق الفوز بمثل ذلك النعيم الأبدي الذي لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان .. ذلك الذي أعده الله للذين يحبونه .

وسأحاول في الصفحات القادمة أن أذكر كل ماتوصلت إليه ليس فقط على مدار الستة أشهر التي سعيت فيها بكل جهدي للوصول إلى الحق ولكن على مدار سنوات طويلة أرشدني فيها الله - الذي لا يسمح لأحد يسعى لمعرفة طريقه بأن يضل أو يهلك - إلى العشرات من النقاط الواضحة.

وأبدأ من العهد القديم الذي كان كلمة السر لفهم عقيدة الفداء والصلب ولماذا يقرر الله أن يرسل ابنه الوحيد ليفدي العالم من الموت الأبدي أو عذابات جهنم ويقدم له خلاصا مجانيا للفوز بالملكوت السماوي . وسأذكر خواطري التي كتبتها أثناء بحثي في هذه النقاط الأساسية :

في سفر التكوين لاحظت ذكر التاريخ البشري وقصص الأنبياء بشكل مرتب منذ قصة الخلق وخطيئة آدم وحواء وغواية الحية " إبليس " لهما ثم ذكر نسلهم ونسل نسلهم بشكل مفصل وواضح . وقصص الأنبياء مرتبة ترتيبا تاريخيا ومكتملة , على عكس القرآن الذي لا يذكر أي قصة من قصص الأنبياء بشكل كامل سوى قصة يوسف , بل ونرى تكرارا لبعض القصص والمواقف في أكثر من سورة بنفس المحتوى دون مبرر للتكرار . ومن الأمور التي توقفت عندها والتي يتخذها بعض المسلمين ذريعة لمهاجمة العهد القديم هي ذكر خطايا أو ذنوب كبيرة للكثير من الأنبياء . فإبراهيم كذب على فرعون مصر وأخبره بأن ساره أخته وليست زوجته عندما أعجب بها لأنه خشي أن يقتله الملك ويأخذ زوجته ساره لنفسه . وبعدها بسنوات تكرر الموقف نفسه مع أبيمالك . لكن الله هو الذي كان ينجي سارة في المرتين رغم ضعف إبراهيم وتصرفه الخاطيء . فالكتاب المقدس ينفي مبدأ عصمة الأنبياء ويؤكد بشريتهم الناقصة وهذا في رأيي دليل على عدم تحريفه لأن اليهود كانوا يحترمون الأنبياء كثيرا خاصة إبراهيم الذي يلقبونه بأبوالآباء لكنهم في الوقت نفسه لا يجرؤون على تحريف قصته أو إخفاء كذبه . على عكس

القرآن الذي يحاول دائما تقديم أفضل صورة للأنبياء وإطلاق لقب " سيدنا " على أي نبي تكريما له حتى بات المسلمون يصورون الأنبياء في صورة شديدة القداسة لا يمكن أن ترتكب مثل هذه الأخطاء التي ذكرت في العهد القديم . فداوود الملك الذي يعتبر من أهم الشخصيات التي لها مكانة خاصة في التراث اليهودي والمسيحي وصاحب "مزامير داوود " رأى امرأة شديدة الجمال فأعجب بها لكنه علم بأنها متزوجة ورغم ذلك زنى معها ثم أمر بإخراج زوجها على رأس الجيش ليقتل وهو ماحدث بالفعل لكي يأخذ امرأته . لكن الله غضب عليه غضبا شديدا نتيجة مافعل رغم أنه اختاره للمُلك دونا عن إخوته السبعة وأيده ونصره . لكنه تاب وندم وتذلل أمام الله قائلا " : لقد أخطأت جدا فيما فعلت . والآن يارب أزل إثم عبدك لأني انحمقت جدا " (صموئيل الثاني 24 : 10) فقبل الله توبته لكنه عاقبه عقوبة أرضية . كما أن سليمان ورغم ماأعطاه الله له من حكمة ومُلك، انقاد لشهوة النساء وتزوج بأكثر من سبعمائة امرأة من الأمم الوثنيين فأضلوه حتى طلبوا منه بناء معبد لآلهتهم وهو ماأغضب الله منه غضبا شديدا رغم توبته في أيامه الأخيرة .

كما وجدت تشابها كبيرا بين أحكام الشريعتين اليهودية و الإسلامية كأحكام الطهارة والكفارة والصلاة والصيام وحجاب المرأة ونجاسة المرأة وقت الحيض وتحريم تناول لحم الخنزير وصوم يومي الاثنين والخميس وغيرها . جميع الأنبياء الذين أتوا بعد إبراهيم جاءوا من نسل إسحق . حيث قال الله لإبراهيم : " بإسحق يدعى لك نسل " (تكوين 21 :12) وقصة الذبيح في التوراة تحدثت بشكل واضح عن إسحق وليس عن إسماعيل كما يعتقد المسلمون . ففي ذلك الوقت كان إسماعيل قد رحل بصحبة والدته هاجر وكان إسحق هو الذي تربى في حضن أبيه إبراهيم . ومادُكرعن إسماعيل في التوراة هو ماخاطب به الله إبراهيم قائلا : " وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . هاأنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثني عشر رئيسا يلد , وأجعله أمة كبيرة . ولكن عهدي أقيمه مع إسحق الذي تلده لك ساره في هذا الوقت في السنة الآتية " (تكوين 17 : 20 , 21) . إذا فقد ميز الله إسحق عن إسماعيل رغم كون إسماعيل الابن البكر وأقام عهده مع نسل إسحق وليس مع نسل إسماعيل . ولم يذكر القرآن شيئا عن تفاصيل نبوة إسماعيل أو تمتعه بأية علاقة خاصة مع الله بل على العكس وصفته التوراة بأنه : " يكون إنسانا وحشيا يده على كل واحد ويد كل واحد عليه " (تكوين 16: 12) .

يذكر القرآن أن إبراهيم بنى مع إبنه إسماعيل الكعبة كأول بيت للعبادة رغم أن التوراة تؤكد بوضوح أن أول من فكر في بناء هيكل ثابت للرب بدلا من خيمة الشهادة المتنقلة هو داود لكن الله وعد داود بأن يكون البناء في عهد إبنه ووريثه سليمان الذي تذكر كتب العهد القديم أنه بدأ العمل في بناءه في السنة الرابعة من حكمه واستغرق العمل فيه سبع سنوات وستة أشهر . واشتغل آلآف اليهود والفينيقيين في قطع الأخشاب وقطع الصخور ونقلها من لبنان إلى أورشليم فوق جبل المُريا . وكان خشب السطح والأبواب من الأرز وخشب الأرض من السرو والكل مغطى بالذهب . وتصف كتب العهد القديم تفصيليا هذا الهيكل الذي كان مركزا للعبادة اليهودية وحتى قدوم السيد المسيح الذي كان يجلس في الهيكل منذ صغره يناقش رجال الدين اليهود ويعظ بنفسه هناك .

ويذكر العهد القديم الهيكل في مواضع عديدة كأقدس مكان للرب في الأرض ثم يأتي المسلمون ليصفونه بالهيكل المزعوم ! ويصرون على اعتباره مسجدا لهم وثالث أقدس مكان طبقا لقصة الإسراء والمعراج . فلم يذكر العهد القديم أي شيء عن مكة أو بناء يدعى الكعبة أو أن إبراهيم ذهب إلى هناك يوما ما .. فمنذ قدومه من العراق إلى فلسطين ثم سفره إلى مصر وعودته إلى أرض فلسطين مرة أخرى

لم يغادر إلى أي مكان . فلو كان إبراهيم قد ذهب إلى مكة بالفعل أفلم يكن من المنطقي أن تذكر تلك القصة في التوراة و الإنجيل وكان اليهود والمسيحيون سيذهبون إليها للحج ؟ ولماذا نرى أن تقديس الكعبة قبل الإسلام كان مرتبطا بالوثنيين الذين كانوا يضعون في ساحتها الأصنام حيث لم تكن على الإطلاق مكانا مقدسا لأي من اليهود أو المسيحيين بل على العكس ارتبطت بالوثنية . والدليل أنه في بداية فرض الصلاة كانت القبلة باتجاه بيت المقدس حيث أراد محمد أن يستميل إليه اليهود بتأكيد قداسة أورشليم ثم عندما وجد رفضا قاطعا منهم في المدينة للإيمان به عاد وحوّل القبلة باتجاه الكعبة وهو ماأثار الكثير من الجدل والاستهجان وقتها نتيجة لهذا التغيير فجاء رد القرآن : " سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم " ! (البقرة 142) و " قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ومالله بغافل عما يعملون " (البقرة 144 .) إذا فالمفترض أن يكون الله قد قرر نقل القداسة من أورشليم إلى مكة فقط إرضاء لهوى محمد ! أما أورشليم فقد وصفها السيد المسيح بـ "مدينة الملك العظيم " والمقصود بالملك " الله" . كما وصف الفردوس أو المكان الذي سيسكن فيه المؤمنين إلى الأبد مع الله بـ " أورشليم السماوية " فلماذا لم نر أحدا من الأنبياء قبل محمد يذكر مكة أو يشير لقداستها ؟ وسوف أتحدث عن طقوس الحج ومكانة الكعبة عند العرب في الجزء الخاص بالقرآن والإسلام .

من يقرأ كتب العهد القديم سيلاحظ فرض الشريعة وأمر الله لبني إسرائيل بقتال الأمم وتعدد الزوجات وإباحة الطلاق ورجم الزاني والزانية .. وهو الأمر الذي توقفت عنده وتساءلت في بداية قراءتي : فلماذا يلام الإسلام أو القرآن عندما يأمر بنفس تلك الأمور؟ ولبعض الوقت وانا أقرأ كنت أشعر بالراحة النفسية عندما أكتشف التشابه مابين اليهودية والإسلام لكن ماكان يجعلني أعود وأشعر بعدم الفهم هو ماجاء به السيد المسيح من تعاليم جديدة واستبدال للعهد القديم بعهد جديد يقوم على تقديم نفسه ذبيحة من أجل الخلاص وليس تطبيق أحكام الشريعة . وإلغاء فكرة القصاص والحروب واستخدام السيف مؤكدا أن " كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون " (متى 26 : 52) فإذا كانت الأديان الثلاثة من عند الله بالفعل فلماذا سيفرض الله بعض الأحكام في اليهودية ثم يقرر إيقاف العمل بها مع قدوم السيد المسيح ثم يعود ثانية لفرضها في الإسلام ؟ !

وعندما بحثت عن السبب لأمر الله لبني إسرائيل بقتال الأمم وأخذ أرضهم وجدت ردودا منطقية بأن الله أرسل لهم على مدار قرون أنبياء يدعونهم لعبادته وترك عبادة الأصنام لكنهم أصروا على رفض الإيمان به , فأرسل الله بني إسرائيل لقتالهم عقابا لهم . كما كان وعد الله لإبراهيم قبل قرون " لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات " (تكوين 15 : 18) وكان لابد لله أن ينفذ وعده وإن بعد مئات السنين . وهو ماحدث بالفعل , وهو الأمر الذي توقفت عنده أيضا وجعلني أعيد النظر في الكثير من مسلماتي . فكمسلمة تربيت على فكرة اغتصاب اليهود لأرض فلسطين العربية الإسلامية وكنت أراني صاحبة حق في هذه الأرض باعتباري مسلمة , فهي أرض للمسلمين لمجرد أن نبي الإسلام أسري به إليها , وقام المسلمون في عهد عمر ابن الخطاب باحتلالها فأصبحت بذلك ملكا للمسلمين إلى يوم الدين . وكما يرى المسلمون أنفسهم أنهم أصحاب الحق في الأرض طبقا لنصوصهم المقدسة , فمن نفس المنطلق يرى اليهود أنهم أصحاب الحق في الأرض إلى يوم الدين حيث وعد الله إبراهيم قائلا " : لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ". وقال له أيضا : " وأقيم عهدي

بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك . وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا وأكون إلههم " (تكوين 17 : 7)

ولنقرأ جيدا هذه الآية من سفر حزقيال 26 " : فقل لبيت إسرائيل هكذا قال السيد الرب ليس لأجلكم أنا صانع يابيت إسرائيل بل لأجل اسمي القدوس الذي نجستموه في الأمم حيث جئتم . فأقدس اسمي العظيم المنجس في الأمم الذي نجستموه في وسطهم , فتعلم الأمم أني أنا الرب يقول السيد الرب حين أتقدس فيكم قدام أعينهم . وآخذكم من جميع الأراضي وآتي بكم إلى أرضكم وأرش عليكم ماء طاهرا فتطهرون من كل نجاستكم ومن كل أصنامكم أطهركم . وأعطيكم قلبا جديدا وأجعل روحا جديدة في داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم . وأجعل روحي في داخلكم وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامي و تعملون بها . وتسكنون الأرض التي أعطيت آباءكم إياها وتكونون لي شعبا وأنا أكون لكم إلها " ألم تتحقق هذه النبوءة بعد آلآف السنين في أيامنا هذه ؟ وألم يقل القرآن : " فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا " ؟ (الإسراء 7)وبغض النظر عن رفض أو دعم دولة إسرائيل فإن الكل يستند لنصوص مقدسة تعطيه الحق في امتلاك هذه الأرض . وقد نصر الله بني إسرائيل على الأمم وأعطاهم الملك والسيادة على هذه الأرض لقرون عدة حتى قرر الله عقابا لهم أن يخرجهم منها ويشتتهم في الأرض لكنه وعدهم بإعادتهم من الشتات مرة أخرى عندما يعودون لحفظ وصاياه . وأظن أن أحكام الشريعة المتشددة والحرفية كانت في بعض الأوقات اختبارا من الله لبني إسرائيل للطاعة . فقد كانوا كثيري المجادلة والوقوع في الخطأ والبعد عن الله وإغضابه في الكثير من الأحيان بشهادة كتب العهد القديم نفسها التي كتبها أنبياء بني إسرائيل بأنفسهم وهذا دليل آخر على عدم التحريف . فمن يقرأ تلك الكتب يجد نقدا شديدا من جانب الله لبني إسرائيل فلو كانوا قد قاموا بالتحريف فكان من باب أولى أن يحذفوا كل الآيات التي تهاجمهم وتذكر الخطايا الرهيبة التي ارتكبوها في حق الله . وقد انتقدهم الله في أكثر من موضع قائلاً : " كان الرب قد قال لموسى قل لبني إسرائيل أنتم شعب صلب الرقبة " (خروج 33 : 5) وفي موضع آخر : " لا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب وإثمه وخطيئته " (التثنية 9 : 27) وفي آية أخرى قال الرب لي " لحزقيال " يابن آدم أنا مرسلك إلى أمة متمردة قد تمردت علي هم وأباؤهم عصوا علي .. والبنون القساة الوجوه وأصلاب القلوب (حزقيال 2 : 3) "وكلم الرب موسى وهارون قائلاً : حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علي " (العدد 14 : 26 , 27) فلو كان اليهود قد قرروا تحريف كتبهم أفلم يكن من باب أولى أن يقوموا بحذف كل مايشينهم أو يدينهم أو ينتقص منهم ؟ !

كما وجدت تناقضا بين بعض القصص أو الوقائع التي ذكرت في التوراة والقرآن . فقصة إبراهيم التي ذكرت في التوراة تختلف في الكثير من التفاصيل عن القصة التي ذكرت في القرآن . وكذلك قصة لوط وقصة نوح وقصة سليمان , وقصة السامري حيث أن نفس القصة ذكرت في التوراة لكن لم يكن هناك شخص يدعى بالسامري معهم لأنه لم تكن هناك مدينة بعد تسمى بالسامرة بل كان هارون هو من صنع العجل الذهب ليرضي بني إسرائيل وهو ماتسبب في غضب الرب عليه وقرر أن يهلكه لكن موسى تشفع من أجله . كما أن قصة الخضر التي ذكرت في القرآن لا نجد لها أثرا في التوراة . على الرغم من أن التوراة ذكرت تفصيليا قصص الأنبياء . وماتوقفت عنده أيضا أن كل الأنبياء في العهد القديم حتى الذين لم يذكرهم القرآن كان الله يتواصل معهم بصورة مباشرة وليس عن طريق الملائكة إلا في أحيان قليلة وهو مالم يحدث مع محمد الذي لا يُذكر أن الله خاطبه مباشرة ولا مرة واحدة بل كان يظن أن الملاك

جبريل هو الذي يوحي إليه برسائل الله . فإذا كان محمدا " سيد المرسلين " كما يقولون فلماذا لم يخاطبه الله مباشرة كما خاطب نوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وإيليا وإشعياء وغيرهم ؟!

كما لاحظت أثناء قراءتي للعهد القديم عدم ذكر أي شيء يقول أن العزير أو العازر هو ابن الله كما يقول القرآن " وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله" (التوبة 30) فاليعازر كان ابنا لهارون وأصبح كاهنا ولم يلقبه اليهود أبدا بإبن الله .. ولا أعلم من أين استقى محمد هذه المعلومة الخاطئة .

أما أهم وأخطر ماورد في العهد القديم فهو النبوءات التي تبشر بالسيد المسيح كمخلص للبشر من خطاياهم خاصة نبوءة إشعياء النبي في الإصحاح 53 " : محتقر ومخذول من الناس , رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا . محتقر فلم نعتد به . لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا . وهو مجروح لأجل معاصينا , مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبخبره شفينا . كلنا كغنم ضللنا , ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا . ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه . كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه . من الضغطة ومن الدينونة أخذ . وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء أنه ضرب من أجل ذنب شعبي . وجعل مع الأشرار قبره , ومع غني عند موته . على أنه لم يعمل ظلما ولم يكن في فمه غش . أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن أن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح . من تعب نفسه يرى ويشبع , وعبدي البار بمعرفته يبرر الكثيرين وآثامهم هو يحملها . لذلك أقسم له بين الأعزاء , ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصي مع أثمة , وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين".. فهل يعجز أي قاريء لتلك الآيات عن فهم المقصود بتلك النبوءة ؟ فإذا لم يكن السيد المسيح فمن ياترى ؟ هل ذكر التاريخ شخصا آخر غير الرب يسوع المسيح حدثت معه هذه الأمور بكل تلك التفاصيل وقيل عنه أنه جعل نفسه ذبيحة إثم , وحمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين ؟ ولا أدري كيف يقرأ اليهود هذه الآيات حتى اليوم ولا يؤمنون بأن يسوع هو المسيح الذي تنطبق عليه حرفيا هذه الآيات وغيرها الكثير ؟ فعندما قرأت تلك الآيات وكنت لا زلت مسلمة أصابتني دهشة حقيقية لأنني لم أكن أتخيل أن هناك نبوءات لما سيحدث للمسيح قبلها بمئات السنوات على صفحات العهد القديم .

إذا فقصة الفداء والصلب لم تكن اختراعا مسيحيا كما أوهموننا . بل هناك عشرات النبوءات التي لا تنطبق سوى على السيد المسيح لتكون دليلا لليهود ولغير المسيحيين الذين سيشككون في الروايات المسيحية . أتذكر أن أول صدمة استوقفتني كانت في مزامير داود المزمور الحادي عشر الذي يقول فيه : " قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك " . وتوقفت عند وصف داود لشخصين بلفظ " رب " وعندما بحثت عن تفسير هذا المزمور وجدت استشهاد السيد المسيح به في العهد الجديد في إنجيل متى عندما سأل اليهود وهو يعلم في الهيكل : " كيف يقول الكتبة أن المسيح ابن داود ؟ لأن داود نفسه قال بالروح القدس : قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك . فداود نفسه يدعوه ربا فكيف يكون ابنه ؟ " (متى 22 : 41 – 44) . هكذا أراد الرب يسوع أن يلفت أنظار اليهود إلى مكانة المسيح الذي كانوا ينتظرونه معتبرين فقط أنه سيكون من نسل داود . لكن السيد المسيح أراد أن يشير لوصف داود له بالرب . إذن لم يستنكر السيد المسيح وصف أحد له بالربوبية , ولم يبتدع المسيحيون لقب " يسوع ربنا " بل وصفه داود نفسه بالرب ولم يستنكر السيد المسيح ذلك الوصف بل على العكس أراد لفت انتباه اليهود لمكانته .

وفي المزمور الثاني يتنبأ داود عن المسيح بالروح قائلا : " إني أخبر من جهة قضاء الرب قال لي انت ابني أنا اليوم ولدتك . إسألني فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصي الأرض ملكا لك تحطمهم بقضيب من حديد مثل إناء خزاف تكسرهم . فالآن ياأيها الملوك تعقلوا تأدبوا ياقضاة الأرض . اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة . قبلوا الإبن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق لأنه عن قليل يتقد غضبه طوبى لجميع المتكلين عليه " .

والمفاجأة الأخرى كانت أن أرى كلمة " ابن الله " في التوراة في أكثر من موضع . فقد كان أكثر مايثير غضبي وغضب المسلمين تجرأ المسيحيين على نسب إبن لله . فالقرآن هاجم بشدة من يفعلون ذلك قائلاً : " وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئا إدا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا. أن دعوا للرحمن ولدا وماينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا . إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا " (مريم 88 – 93) وكانت فكرة بنوة المسيح لله هي العائق الأكبر الذي جعلني لسنوات أنفر من فكرة اعتناق المسيحية ولا أتخيل نفسي قد أقبل شركا واضحا مثل ذلك . فالمسيحيون يفترون على الله وينسبون له ولدا .. سبحانه مااتخذ صاحبة ولا ولدا بحسب وصف القرآن .

ولكن مهلاً ..من قال أن الله اتخذ زوجة أو صاحبة أنجب منها .. حاشاه . وهل علمنا كمسلمين معنى أن يكون يسوع هو ابن الله ؟ وهل ذكر المسيحيون في أي موضع أن الله اتخذ زوجة وأنجب منها ؟ أؤكد تماما أن المسلمين - وقد كنت واحدة منهم لمدة ثلاثة وثلاثين عاما - لا يفهمون أبدا حقيقة المعتقد المسيحي . وهم على حق في عدم قدرتهم على تقبل ما لا يفهمونه أو وصل لهم بشكل مشوه لأن الإنسان عدو مايجهل . وسأتطرق بالتفصيل فيما بعد لمفهوم بنوة الرب يسوع لله ومفهوم ألوهيته ولكن الآن أذكر فقط مااستوقفني وفاجأني من ذكر نفس المفهوم في التوراة أيضا , فلم أكن أتخيل أن أجد مايؤكد موقف المسيحيين ولكن في التوراة وليس في الإنجيل . وهو ماجعلني أشعر بأن الغشاوة قد بدأت بالفعل تتكشف من على عيني خاصة وأن هناك العديد من الآيات الأخرى كما ذكر في سفر إشعياء بشكل واضح وصريح على لسان الله نفسه : " لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه , ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام " (إشعياء 9 : 6) إذا فالله نفسه يعد بأنه سيولد له ولد على الأرض ويدعى " إلها قديرا " . وقتها تساءلت ولأول مرة .. ماذا لو كان لله ولدا بالفعل ؟ ولم لا ؟ ماذا لو أراد هو أن يكون له ولد ؟ هل سنحكم نحن بقدرتنا البشرية على الله باستحالة أن يكون له ولد ؟ وبما أن الله ليس كمثله شيء وهو لا يشابه البشر فلماذا لا يكون ابنه في صورة لا ندركها نحن بقدراتنا العقلية المحدودة ؟ فلا اليهودية ولا المسيحية ادعت أن الله عز وجل قد تزوج يوما أو أنجب . وعندما نقرأ العهد الجديد سيتضح أكثر أن ابن الله هو " كلمة الله " وليس بمفهوم الإبن البشري . فتلك العقيدة منعتني لسنوات من مجرد التفكير في اعتناق المسيحية والتي - وحتى بعد إيماني بالسيد المسيح - كانت الإشكالية الأكبر أمامي وأمام الكثيرين لفهمها والإيمان بها بكامل اقتناع . لكنني وبالصلاة الحارة إلى الله ليقودني لفهم حقيقتها وجدت الفيض الإلهي يتدفق لشرح هذه العقيدة الصعبة والتي لا يمكن لأحد أن ينكر مدى صعوبتها حتى على بعض رجال الدين المسيحيين الذين قد يعجزون في الكثير من الأحيان عن شرحها للمؤمنين ولغير المؤمنين , وهي التي تشكل العائق الأكبر أمام الكثيرين لاعتناق المسيحية . ولن أدعي أنني وصلت لفهم كامل لعقيدة الثالوث لكنني سأذكرتفصيليا ماقادني إليه الرب القريب مجيب الدعوات الذي يسمع لدعواتنا وصلواتنا ويستجيب بشكل عجيب وبطرق تذهلني وتؤكد لي يوما تلو الآخر أنه وبحق الآب السماوي القريب من أبناءه الذين يطلبون منه، والذي لا يخذل أبدا من يريد معرفته عن

قرب والاقتراب منه أكثر وهو مافعله معي أنا الإنسانة الضعيفة الخاطئة التي كانت يوما ما تمتليء بالكراهية والتعصب لكن الله غمرني بمحبته وبنعمته التي حولت كل ظلمة بداخلي إلى نور.

الفصل الرابع

الإسلام .. صدمات ومفاجآت واكتشافات

لسنوات عديدة - عندما كنت في مرحلة الالتزام الديني بالإسلام -لا أذكر أنني فكرت أو اعترضت على أية نقطة من نقاط الدين ولم يثرعندي أي تساؤل استنكاري لأحد الأحكام أو لاحظت أمرا يثير ضيقي أو اعتراضي .. كنت مسلمة بحق ومؤمنة بالسمع والطاعة لأي شيء يقال أنه من عند الله أو من عند كبار الفقهاء .. كنت أؤمن تمامًا بمبدأ " لا تناقش ولا تجادل ياأخ علي " .. ألم يقل القرآن : " وماكان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم . ومن يعص الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً مبينًا " (الأحزاب 36.) . لم تكن عندي أية مساحة للتفكير أو لبحث مايعرض علي من أمور دينية .. فقط كان عليَّ الالتزام والتصديق .

حتى بدأت في اكتشاف قصص المتنصرين والاستماع إلى المناظرات بين الشيوخ والقساوسة. فبدأت بداخلي رحلة التساؤلات التي لم تتوقف بل أخذت في التصاعد على مدار أربعة عشر عاما . لكن رحلة بحثي الحقيقية استمرت بشكل مكثف على مدار ستة أشهر، قرأت خلالها الكتاب المقدس كاملاً في نفس الوقت الذي كنت أقرأ فيه القرآن وأبحث في الأحاديث والكتب الفقهية وأحاول البحث عن إجابات أو ردود لعلماء الدين عن تساؤلاتي . لكن كانت كل هذه الإجابات تزيدني بُعدًا ونفورًا وعدم اقتناع بما يقال . وسأحاول أن أفصل كل التساؤلات والاكتشافات التي وصلت إليها بشكل عجيب للغاية خاصة خلال الستة أشهر التي سبقت قراري النهائي باعتناق المسيحية . فما اكتشفته في الإسلام خاصة من كم مذهل هي أمور أتمنى أن يتوقف عندها كل مسلم ومسلمة ويفكرون بها بشكل منطقي وعقلاني دون تحيز أو خوف من أي تفكير أو من عواقب أي اكتشاف . والأهم هو الاستعانة بالله والدعاء بأن ينير بصيرتي ويرشدني لكامل الحق .. هذا الدعاء هو الذي فتح ليَّ الأبواب، وجعلني أصل لخيوط لم تكن يوما في حسباني . وأصبت بالذهول وأنا أكتشف كل يوم كوارث حقيقة كنت في غفلة شديدة عن التفكر بها أو حتى معرفتها . ولولا صدق نيتي وعزمي على الوصول للحقيقة مهما كلفني ذلك، لما كنت قد وصلت إلى ربع مااكتشفته في هذه الفترة الزمنية القصيرة .

ربما تكون المرة الأولى التي تثار بداخلي تساؤلات استنكارية بشأن أمر ديني، هو ماحدث من تصاعد للعمليات الإرهابية في العالم في الفترة التي أعقبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر , حيث تبنى تنظيم القاعدة تنفيذ عدة تفجيرات وعمليات انتحارية ليس فقط في الدول الغربية غير المسلمة وإنما أيضًا داخل دول إسلامية، أسفرت عن مقتل آلاف الرجال والنساء والأطفال والشيوخ . ورغم سعادتي بما حدث يوم الحادي عشر من سبتمبر وقتها، إلا أنني لم أستطع أن أتقبل فكرة استهداف مدنيين عزل من الأبرياء في دول إسلامية. وكنت أعجز عن فهم المبرر الديني الذي يستندون عليه لتبرير قتل المدنيين العزل خاصة من المسلمين . وذات يوم قمت بالدخول لأحد مواقعهم الإلكترونية فوجدتهم يبررون ذلك بأن هؤلاء المدنيين يعيشون في دول يفترض أنها ذات غالبية مسلمة لكنها لا تطبق الشريعة الإسلامية , كما أن مواطني تلك الدول أنفسهم لا يثورون على الحكام الذين لا يطبّقون الشريعة ويرضخون للأمر الواقع وبالتالي يحق قتلهم وأن الأطفال منهم أو الأبرياء تمامًا إذا قتلوا في تلك العمليات فسيكون مصيرهم الجنة ! إذا فهم يسهلون دخول المذنبين إلى جهنم والأبرياء إلى الجنة .. فيالها من مهمة سامية !

أصابني الذهول بالطبع وأنا أقرأ مثل تلك التبريرات التي تنطبق عليها مقولة [عذر أقبح من ذنب]. ولم أستطع أبدًا إيجاد مبرر لمثل هذا القتل العشوائي الوحشي .. وحتى قتل غير المسلمين بدأت في النفور منه مع تكرار الهجمات الإرهابية فسعيت أيضا إلى البحث عن مبرراتهم لأجد، ليس فقط بعض الأحاديث أو الآراء الفقهية المتشددة، وإنما وجدت العديد من الآيات القرآنية الصريحة التي تعطيهم الذريعة بل والدافع لقتل غير المسلمين . ومن أبرز تلك الآيات الآية الخامسة من سورة التوبة : " فإذا انسلخ الأشهر الحُرُم، فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم " . أتذكر أنني عندما كنت أقرأ تلك الآية - وأظن أن الكثير من المسلمين سيشتركون معي في هذا التصور - كنت أظن أنها تتحدث عن وقت محمد ولا علاقة لنا بها اليوم . لكن من يقرأ تفسير تلك الآية - خاصة من أصحاب الفكر الجهادي - سيعلم جيدًا خطورتها وأهميتها لفهم مايتعلق بمفهوم الجهاد . فالكثير من الفقهاء والمفسرين يطلقون على هذه الآية " آية السيف " التي يقولون إنها نسخت 124 آية أخرى من الآيات التي تدعو للسلم ومهادنة " الكفار ". وتعتبر التيارات السلفية أن هذه الآية هي التي تحدد العلاقة بين المسلم وغير المسلم , مؤكدين أنها تدعو لقتال غير المسلمين في أي مكان وزمان ! لذلك فآيات مثل : " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم " وآية " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " و " إن جنحوا للسلم فاجنح لها " و " من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " .. يفترض أنه قد تم نسخها بآية السيف . وبالطبع ينكر أصحاب الفكر الوسطي " الجميل " ذلك التفسير ويحبون اللجوء أكثر للآيات التي تظهر تسامح الإسلام واعتداله مع عدم الحديث عن مثل تلك الآيات التي تدعو للقتال مؤكدين أن لها زمانها وتبريراتها، وهو ماكنت أنا شخصيا مقتنعة به حتى وقت ما , لكنني عندما كنت أقرأ القرآن بانتظام كنت أشعر بتناقض بين الآيات التي تدعو للسلم وحرية الإعتقاد وتلك التي تدعو لقتال المشركين " كافة ". وعندما كنت أبحث لأفهم، كنت أفاجأ بعشرات التفسيرات .. فكل يرى من منظوره الخاص ومن المنطلق الفكري الذي يؤمن به , وهو ماقادني إلى تساؤل آخر شديد الأهمية عن التناقض بين الكثير من الآيات وفكرة الناسخ والمنسوخ .. فلا ينكر عالم من علماء الإسلام أن هناك آيات نسخت آيات أخرى سواء حكمها أو حتى نسختها كليًا، أي حذفتها بالنص فأنواع النسخ في القرآن بحسب العلماء ثلاثة .. نسخ التلاوة والحكم معًا , ونسخ التلاوة دون الحكم , ونسخ الحكم دون التلاوة ! وهو أمر يدعو للتعجب , فلماذا ينزل الله آية أو حكمًا ثم يقرر التراجع عنه بعد فترة .. ولمَ كل هذا التشويش ؟ فكيف لكل مسلم يقرأ القرآن أن يعرف مانُسِخَ من الآيات ومابقي حكمه أوماحُذف حكمه وبقي نصه أو العكس ؟ ولماذا لا يكون القرآن أكثر وضوحًا ؟ فهل على كل مسلم أن يقرأ تفسير القرآن ؟ وبأي تفسير فيهم يأخذ ؟

فإذا بحثت عن تفسير أية آية في القرآن ستجد عشرات التفسيرات التي تعبر عن وجهة نظر كل مفسر .. فلا توجد تفسيرات قطعية وإنما هناك مفسرين موثوق فيهم، أبرزهم " ابن كثير " الذي قضيت حوالي عاما كاملاً وأنا أقرأ تفسيره للقرآن . لكنه يبقى " تفسير ابن كثير " وليس التفسير الحقيقي الذي يكشف نية قائل تلك الآيات . فموضوع رضاع الكبير أثار جدلاً واسعا قبل سنوات لأن الكثير من المسلمين قد تفاجأوا حديثا بوجود مثل هذا التشريع . حيث ينقل صحيح مسلم عن عائشة قولها : " كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخت بخمس . فتوفي الرسول وهن فيما يقرأ من القرآن " !وقيل أن تلك الآية نُسِخَ لفظها وبقي حكمها أي أن الله قرر بعد فترة حذف النص مع الإبقاء على الحكم الذي ورد بها !!! وكذلك آية الرجم .. حيث تنقل المصادر الإسلامية عن عمر ابن الخطاب قوله : " لقد

خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل ماأجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة من الفرائض . ألا وإن الرجم حق حتى إذا أحصن الرجل وقامت البينة أو كان حمل أو اعتراف . وقد قرأتها " الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم . " رجم رسول الله ورجمنا بعده " .و يدلل العلماء على أن هذه الآية تلاوتها منسوخة أيضا وحكمها ثابت وكانت تبدأ بها سورة الأحزاب التي قيل أيضًا أنها كانت توازي سورة البقرة لكن نسخت الكثير من آياتها ! فكيف يقوم الله بالحذف والتعديل والتبديل في كتاب يفترض أنه مقدس ؟ وماالحكمة من ذلك ؟ والمُلفت أن سورة التوبة يقال أنها آخر سورة كاملة نزلت من القرآن وهي السورة الوحيدة التي لا تبدأ بـ " بسم الله الرحمن الرحيم " وإنما تبدأ ب " براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين " حيث ألغى بها القرآن أية عهود مسبقة أقيمت مع المشركين وأمر المؤمنين بقتال المشركين كافة . ولذلك يرى أغلب الفقهاء أنها نسخت آيات السلام كلها وأقرت مبدأ الجهاد ليس فقط مع الكفار وإنما أيضا مع أهل الكتاب فالآية التاسعة والعشرون تقول نصًا : " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يُحرمون ماحَرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق " من الذين أوتوا الكتاب " حتي يعطو ا الجزية عن يد وهم " صاغرون " . وهو ماأسس لمبدأ التعامل مع اليهود والمسيحيين على أساس واضح وهو عرض الإسلام عليهم فإن أبوا فعليهم دفع جزية بهدف الإذلال وإن أصروا على رفض كلا الخيارين فليس أمام المسلمين سوى قتالهم ! وهذا ماحدث حرفيا في كافة الغزوات التي شنها المسلمون بعد وفاة محمد , فمن استطاع البقاء على دينه ورفض الدخول في الإسلام كان عليه دفع جزية بهدف واضح من خلال الآية " وهم صاغرون " بمعنى الإذلال، وليس كما يدعي بعض الفقهاء أن الهدف من الجزية هو بمثابة ضريبة مساوية للزكاة التي يدفعها المسلمين , فالآية شديدة الوضوح ولا تحتاج إلى تأويل من يحاولون تجميل صورة الإسلام بأية طريقة . وهذا يفسر سبب دخول الكثيرين في الإسلام . فلا أنكر أن هناك من اقتنع بمبادئه وأسلم عن اقتناع كامل ولهم مطلق الحرية بالطبع في اعتناق مايشاءون .. وإنما المشكلة فيمن أجبر على الدخول في هذا الدين إما بسبب عدم القدرة على دفع الجزية أو الخوف من القتل وهو ماحدث للكثيرين على مدار قرون وتشهد العديد من الكتب التاريخية بوقائع مؤسفة تنفي تماما كل الأكاذيب التي يتشدقون بها عن حرية العقيدة في ظل الحكم الإسلامي .

حتى قصة فتح مكة التي دائما مايستشهدون بمقطع صغير منها لتأكيد تسامح محمد مع أعدائه ويخفون القصة كاملة رغم ورودها في كافة الكتب التي يشهدون بصحتها . ويكتفون فقط بما قاله محمد عند دخوله مكة عندما خاطب أهلها قائلا : " إذهبوا فأنتم الطلقاء " . مدللين على عفوه ورحمته وأن هذا ماجعل أهل مكة يدخلون في الإسلام أفواجا بعد أن رفضوه لسنوات طويلة ثم ارتد غالبيتهم وغالبية القبائل بعد وفاة محمد مباشرة . وهو مايؤكد أنهم لم يعتنقوا الإسلام عن قناعة وإنما عن خوف بعد غلبة المسلمين وسيطرتهم على قلب الجزيرة العربية . كما يتغافلون عن قصد عن ذكر القصة الكاملة عندما طلب محمد من أتباعه قبل دخول مكة أن يبحثوا بمجرد دخولهم عن ستة أشخاص من بينهم جاريتان كانوا دائمي السخرية منه وإيذائه عندما كان بمكة قبل سنوات , ولم ينس مافعلوه به فقرر الإنتقام منهم بعد كل تلك السنوات وبمجرد عودته قويًا بحماية جيشه طلب أن يأتوا بهؤلاء الأشخاص الذين حددهم بالإسم وطلب منهم قتلهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة ! وهؤلاء هم عكرمة ابن أبي جهل وعبد الله ابن أخطل ومقيس ابن صبابة وعبد الله ابن سعد ابن أبي سرح . وتذكر المصادر الإسلامية أن عبد الله ابن أخطل وجدوه وهو معلق بأستار الكعبة فقتلوه , وأما مقيس ابن صبابة فأدركه الناس في السوق فقتلوه , وأسلم عكرمة ابن أبي جهل , وأما عبد الله ابن أبي سرح الذي كان من أكثر المقربين من محمد وكان من كتبة

الوحي في المدينة لسنوات ثم اكتشف أن محمدا لا ينتبه لما يكتبه فكان يضيف بعض الآيات من عنده ووجد أن محمدًا لا يكتشف ذلك فأيقن كذب نبوته وهرب عائدا إلى مكة وبدأ يخبر الجميع بما حدث وهو ماجعل محمد ينقم عليه أشد النقمة لكشفه أمره فصمم على قتله عند فتح مكة . ولكونه ابن عم عثمان ابن عفان فقد لجأ للاختباء عنده وطلب منه أن يشفع له عند محمد ليعفو عنه , فجاء به إليه وقال له " يارسول الله بايع عبد الله . قال فرفع رأسه فنظر إليه ثلاث مرات, ثم أقبل إلى أصحابه فقال : أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله ؟ فقالوا ومايدرينا يارسول الله مافي نفسك هلا أومأت إلينا بعينك ؟ قال : إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين " !

حتى الكعبة التي كان يطلق عليها المسلمون بيت الله الحرام نزع عنها قدسيتها وأمر بأخذ ثأره مهما كلف الأمر .. ثم يعتبر المسلمون بعد هذه الواقعة الشنيعة أن رحمة النبي تجلت يوم فتح مكة ! ويبدو من الروايات أن جاريتا ابن الأخطل قد قتلتا أيضا والتهمة أنهما كانتا تنشدان شعرا فيه هجاء لمحمد بسبب أمر سيدهما ! وليست تلك الجاريتان هما فقط من أمر محمد بشكل مباشر بقتلهم بل هناك أيضا القصة الشهيرة لأم قرفة وكانت شاعرة اعتادت هجاء محمد وتأليب الناس ضده وحث ابناءها على قتال المسلمين , فأمر محمد بإرسال سرية خاصة لقتلها في السنة السادسة للهجرة وكانت وقتها امرأة عجوز فربط زيد بن حارثة رجليها بحبل ثم ربطهما بين بعيرين حتى شقها شقا ثم حمل رأسها إلى المدينة لكي يعلم الناس أنها قتلت و لتكون عبرة لمن يعتبر ! وإن كان ماحدث من البشاعة حتى لا أجد تعليقا كافيا لوصفه , فكيف بالقصة الأشهر للرجل الأعمى الذي طعن جاريته فقتلها و كانت حاملاً بولده لأنها اعتادت سب محمدا أمامه وعندما ينهاها لا تنتهي , ثم سارع إلى محمد ليعرف رأيه فيما فعل فكان رده عليه أمام جمع كبير من الناس : " ألا اشهدوا أن دمها هدر !" لم يبالي بالمرأة ولا حتى بطفلها الذي كان لا يزال جنينا داخل بطنها وأقر تلك الجريمة النكراء فقط لمجرد أنها سبته ! فعن أي رحمة يتحدث المسلمون؟ فمن يقرأ كافة الكتب السماوية وغير السماوية يجد أن كل من جاء بالنبوة أو حتى ادعاها تعرض لاضطهادات أقلها السب والشتم والإستهزاء . ولم تذكر واقعة واحدة لنبي طلب من أتباعه قتل من يؤذوه أو يسبوه سوى محمد . حتى أن هناك قاعدة فقهية تؤكد أن حكم من يسب النبي هو القتل وإن استتاب فلا توبة له .. أفإلى هذا الحد ؟

فأين ذلك مما فعله السيد المسيح بعد أن جلدوه واستهزأوا به وتفلوا عليه ثم صلبوه لعدة ساعات معلقا على الصليب بواسطة مسامير ثم طعن بحربة في جنبه, لتكون ردة فعله على ماحدث أن نظر إلى السماء وقال : " ياأبتاه اغفر لهم لأنهم لايعلمون ماذا يفعلون " (لوقا 23 : 34) . فقط قارنوا بين ردتي الفعل لتعلموا من هو من الله ومن يمثل الشر والظلمة . وأتمنى على من يقرأ كل ماذكرته أن يعود ويبحث بنفسه بشكل مفصل في المصادر الإسلامية ليتأكد وليحاول البحث عن أي تفسير منطقي أو مبرر يرتضيه عقله وفطرته السليمة لمثل هذا العنف الوحشي .

بالطبع هناك من يشكك في بعض هذه القصص لكن وإن صحت واقعة واحدة منها على الأقل أفلا ينسف ذلك ادعاء " نبي الرحمة " نسفا تاما ! فلو أن شخصا عاديا أو حتى حاكما لأية دولة ارتكب مثل هذا القتل الوحشي لقيل عنه ماقيل ولتم اتهامه بالديكتاتورية والوحشية وإن كان في دولة متقدمة لتمت محاكمته .

ولنرَ أيضا كيف عامل محمدا اليهود .. فلا يخفى على أحد الكراهية العميقة التي يكنها المسلمون لليهود بشكل خاص، ليس فقط لما ارتكبته إسرائيل في حق الفلسطينيين وإنما منذ بدايات الإسلام . لكن من يتتبع علاقة محمد باليهود سيكتشف أمرا عجيبا . فبعد هجرة محمد من مكة إلى يثرب واختلاطه بالقبائل اليهودية التي كانت تعيش وتتركز فيها واطلاعه على التوراة والتلمود والتراث اليهودي والشريعة نجد تأثيرا كبيرا للتراث اليهودي على القرآن في تلك الفترة .. حيث ظهرت العديد من الآيات التي تتحدث عن قصة موسى , وهو النبي الأكثر ذكرا في القرآن . وبعد انتقاله إلى هناك، بدأ فرض الصلاة التي كانت قبلتها باتجاه بيت المقدس , وهي نفس القبلة التي كان يتخذها اليهود في صلاتهم . كما بدأ في التشريع وتقنين الفرائض , وهنا نجد تشابها لا جدال فيه بين الشريعتين اليهودية والإسلامية , من ضرورة الوضوء قبل الصلاة وفكرة الطهارة والاغتسال ونجاسة الحائض وتغطية شعر المرأة وتحريم لحم الخنزير بل وحتى طريقة أداء الصلاة وصوم يومي الاثنين والخميس وغيرها . تشابه عجيب لا بد من التوقف عنده . فإذا علمنا أن محمدا حاول إقناع اليهود بكل الطرق أنه النبي المنتظر المذكور في التوراة إلا أنه فوجيء بإصرارهم على رفض الإيمان به ليس كبرا وحسدا من أنفسهم له ورفضا لاتباع الحق كما قال القرآن مهاجما إياهم بعد ذلك .. وإنما لأنهم يعلمون جيدا أن المسيح المنتظر لابد وأن يكون من بني إسرائيل شأنه شأن كل الأنبياء السابقين , ويؤمنون بأن المسيح هو آخر من سيأتي .. و كما قال الرب لموسى : " أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك , وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به " (تثنية 18 : 18) فالمقصود ب " من وسطكم " واضح كل الوضوح وهو أنه سيكون من بني إسرائيل . ورغم ذلك يصر المسلمون على اعتبار هذه الآية نبوءة عن محمد رغم أنه لم يخرج نبي واحد من نسل إسماعيل , والقرآن نفسه رغم اعتباره أن إسماعيل نبي لم يذكر موقفا واحدا يدلل على نبوته . وعندما واجه محمد رفضا قاطعا من جانب اليهود للإيمان به واعتباره النبي المنتظر انقلب موقفه منهم ومحاولته كسب ودهم باعتباره يستكمل نبوة موسى , فبعد أن كان يخاطبهم في بداية قدومه إلى المدينة بآيات مثل : " وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله (المائدة 43) " و " إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون " (المائدة 44) و " فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك " (يونس 94) وكأنه يثبت يقين اليهود والمسيحيين من نبوة محمد ويعتبرهم مصدر ثقة ليتأكد هو نفسه من نبوته عندما تأتيه الشكوك" !

" يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين " (البقرة 47) . لم يقل الموجودين في ذلك الوقت فقط وإنما من الواضح التعميم على جميع البشر . وفي آية أخرى : " نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل " (آل عمران 3) . وهنا أريد أن أتساءل هل يُفهم من هذه الآيات أن التوراة والإنجيل محرفان أم العكس ؟ وسأترك إجابة هذا السؤال لكل شخص حسب إدراكه . لكن النقطة الأخرى التي أردت التأكيد عليها أن بداية الآيات المدنية تحفل بمدح أهل الكتاب والتودد إليهم , لكن انقلب الحال بعد أن أدرك محمد استحالة إيمان اليهود به وبأنه المسيح المنتظر .. فلا تذكر المصادر الإسلامية سوى شخصين فقط هما من آمن بمحمد من اليهود بالمدينة وهما عبد الله بن سالم ومخيريق . وكان محمد يقول : " لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود " ولكن خاب ظنه رغم كثرة محاولاته إقناعهم بنبوته وهو ماجعله يتخذ بعد فترة موقفا مضادا شديد العدائية تجاههم على وجه الخصوص . فبدأ التغير الكلي في خطاب القرآن عن اليهود فظهرت آيات مثل " لتجدن أشد الناس عداوة اليهود والذين أشركوا " (المائدة 82) والآية التي تقول : " ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين " (البقرة 65) وفي آية أخرى يصف القرآن اليهود قائلاً : "

وجعل منهم القردة والخنازير " (المائدة 60) . ولا أدري متى قام الله بمسخ اليهود قردة من قبل ؟ فلم تذكر هذه الحادثة في أية كتب مقدسة أو مصادر تاريخية . لكن لا يزال الكثير من المسلمين يحبون أن يلقبوا اليهود بأحفاد القردة والخنازير ! ونجد التحول القرآني من آية مثل : " إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر، وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " (الحج 17) . وهي الآية رقم 62 في سورة البقرة أول سورة نزلت في المدينة . إلى آيات مثل : " لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا " و " لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض . ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (المائدة 51) و " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " (التوبة 29)

ولا أدري لماذا وصف أهل الكتاب بأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يُحرمون ماحرم الله ؟ ! حتى نصل إلى الوصية الأخيرة لمحمد لأتباعه وهو على فراش الموت : " أخرجوا المشركين من جزيرة العرب " و " لا يجتمع في جزيرة العرب دينان ". وهناك حديث آخر يرويه عمر بن الخطاب عن محمد : " لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلما " ! وقبل ذلك يحدد محمد في حديث له كيفية التعامل مع اليهود والنصارى - طبعا قبل طردهم بشكل كامل من الجزيرة العربية - فيقول : "لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام . وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه . " فهل بهذا يظهر المسلمون تسامح دينهم وكمال فضائله ؟ وبعد كل ذلك يتحدثون عن أن الإسلام كفل حرية العقيدة ! فحتى قريش التي يتهمونها بالكفر والشرك ومعاداة الإيمان عندما كانت مكة تحت سيطرتها جعلت الكعبة مقرا لأصحاب الأديان المختلفة .. ليس فقط المشركين الذين ملأوا الكعبة بالأصنام بل وحتى الأحناف الذين كانوا يحجون إليها وأيضا الصابئة . ويقال أن نصارى الجزيرة كانوا يضعون أيقونة للسيد المسيح والسيدة العذراء بالكعبة . وكان ورقة ابن نوفل هو أسقف النصارى بمكة حيث عاشت كل الطوائف جنبا إلى جنب في عهد قريش في سلام وتآلف وتسامح حقيقي وليس كما فعل الإسلام الذي قضى على كل الطوائف والأديان الآخرى بالسيف وطرد قبائل النصارى واليهود إلى الشام .

ولابد وأن أتوقف عند المذبحة الرهيبة التي حدثت لقبيلة بني قريظة اليهودية . وهي من القصص التي جعلتني أشعر باشمئزاز ونفور حقيقي مما فعله المسلمون , ولم أستطع إيجاد تبرير لكل هذا العنف والوحشية . ويدعي المسلمون أن سبب القيام بهذه المذبحة أو كما يطلقون عليها " الغزوة " هو نقض بعض اليهود من هذه القبيلة لعهدهم مع المسلمين فحفر المسلمون خندقا حول القبيلة وأصيب سعد ابن معاذ . وبحسب الرواية الإسلامية فإن محمدا عندما عاد من الخندق وضع السلاح فأتاه جبريل قائلاً : " أخرج إليهم " . فأتاهم محمدا فرد الحكم عليهم إلى سعد بن معاذ فقال : إني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم . فكان الرد الشهير لمحمد : " لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات" . وماحدث أن المسلمون قتلوا جميع رجال القبيلة , حتى أنهم كانوا يقتلون كل من نبت له شعر .. أي الصبي المراهق الذي بلغ حديثا ! وقاموا بأخذ النساء والأطفال سبايا ثم استولوا على أموالهم وممتلكاتهم كغنيمة لهم .

والسؤال هنا .. هل إذا قام مجموعة من الأفراد بنقض العهد أو الاعتداء على المسلمين فهل يبرر ذلك ماحدث من مجزرة شنيعة طالت حتى الصبية المراهقين ؟ !هل هكذا يحكم الله من فوق سبع سماوات

؟ ! فأين الحكم القرآني : " ولاتزر وازرة وزر أخرى" ؟ وأين أبسط قواعد الرحمة الإلهية أو الإنسانية ؟لم أجد مبررا واحدا يبيح القيام بمثل تلك الجريمة سوى التطهير العرقي والتلذذ باستباحة دماء وأموال الغير تحت دعوى الإنتقام الإلهي . وبعد القضاء على بني قريظة جاء دور قبيلة " بني النضير" الذين كان حظهم أفضل بكثير من بنو قريظة .. فبعد احتلال المسلمين ليثرب أو المدينة قاموا بطردهم فأخذوا كل مااستطاعوا أخذه من ممتلكات وهدموا بيوتهم , وهاجر غالبيتهم إلى الشام . وهو نفس ماحدث مع القبيلة اليهودية الثالثة " بنو قينقاع . " وهكذا تم إخلاء الجزيرة العربية من أتباع كافة الأديان لتبقى للمسلمين وحدهم . ومن المعروف أنه حتى الآن يُمنع غير المسلمين من دخول مكة باعتبارهم أنجاس بحسب الآية التي تقول : " إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا " (التوبة 28) فهل يمنع المسلمون من دخول أي مكان مقدس في العالم ؟ وماذا لو حدث ذلك ؟ ستقوم قائمة المسلمين بالطبع وتبدأ إدعاءات العنصرية والإسلاموفوبيا والمؤامرة الكونية ضد المسلمين حقدا عليهم وغيرة منهم كونهم خير أمة أخرجت للناس !

ما لاحظته خلال سنوات عمري أن المسلمين وقد كنت واحدة منهم وأفكر بنفس طريقة تفكيرهم .. لا يضعون أنفسهم مطلقا في موضع الآخرين بل يتلذذون بإطلاق الأحكام والإدانة وتكفير الغير في الوقت الذي يطالبون فيه بالحرية المطلقة في البلاد الغير إسلامية ويرغبون في أن ينالوا الحق في الدعوة لدينهم هناك كما يشاءون وأن يقوموا ببناء المساجد وأن ترتدي نساءهم الحجاب والنقاب بحرية مطلقة وأن يسمح لهم بإقامة شعائرهم بمنتهى الحرية , لكنهم في نفس الوقت ينكرون حقوق كافة الأقليات الدينية الموجودة في الدول ذات الغالبية الإسلامية . فلا يحق لهم بناء دور عبادة إلا بعد الكثير من التعقيدات , ولا يتم السماح لهم بتولي المناصب الهامة في الدولة , وبالتأكيد لا يمكن السماح لهم بالتبشير أو الدعوة لأديانهم . فمن يجرؤ فقط على توزيع نسخ من كتب دينية غير إسلامية أو يثبت قيامه بالحديث مع شخص لعرض دين غير الإسلام عليه فسيكون مصيره في أفضل الأحوال هو السجن لسنوات بتهمة ازدراء الأديان ! ففي الوقت الذي يتمتع فيه المسلمون في الغرب بالكثير من الحرية ويتحول من يشاء إلى الإسلام , يمنع تماما أي مسلم من الارتداد عنه أو اعتناق أي دين آخر . فعلى كل شخص أن " يرث " ديانة أبويه وأن يبقى عليها طوال حياته دون مناقشة أو حتى إبداء الرغبة في البحث في الديانات الأخرى , فهو أمر محرم تماما على أي مسلم . لكن في المقابل إن أراد أي شخص غير مسلم تغيير دينه الى الإسلام فسيكون مرحبا به في أي وقت وسيتم تغيير أوراقه الرسمية فورا لتثبت انضمامه للإسلام . وكثيرا ماتساءلت لماذا لا يكون لكل شخص عندما يبدأ في النضوج حرية البحث والتفكير واختيار المعتقد المناسب والمقنع له , حتى وإن قرر الإلحاد وعدم اعتناق أي دين فلم لا تكون له هذه الحرية ؟ هل على المرء أن يكون منافقا وأن يخفي حقيقة إيمانه ومعتقده خوفا وإرضاء للمجتمع ؟ وهل سيكون من الأفضل العيش بازدواجية أم التعامل بصراحة وانفتاح ؟

يُفترض أن تكون حرية المعتقد هي حق أصيل من حقوق أي إنسان يحيا في مجتمع مدني معاصر , وهو الحق الموجود في كل دول العالم بخلاف الدول الإسلامية ويرجع ذلك إلى أن الإسلام نفسه ينكر ذلك الحق بل ويمنع تماما أي شخص دخل في الإسلام سواء بإرادته أو بغير إرادته أن يقرر في أية لحظة ترك هذا الدين . فرغم أنه لا يوجد نص صريح في القرآن يشرع عقوبة محددة لمن يترك الإسلام , لكن هناك أحاديث نبوية موثوقة وآراء فقهية واضحة توضح الحكم الشرعي لتارك الدين . فالحديث المنسوب لمحمد ينص صراحة على أن : " من بدل دينه فاقتلوه " ويؤكد الفقهاء أنه قبل قتله تتم دعوة هذا

الشخص لأن يتوب فإن لم يستتب يتم قتله ! أفلا يتعارض ذلك مع حرية الاختيار التي سيحاسبنا عنها الله يوم القيامة ؟ فإن أجبر كل البشرعلى الدخول في الإسلام والبقاء فيه حتى وإن كان هذا هو الدين الحق فعلامَ سيحاسب الناس يوم القيامة ؟ و ألا يتعارض ذلك مع العديد من الآيات في القرآن نفسه مثل : " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " و " فلا إكراه في الدين " و " لكم دينكم ولي دين " و " لو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " ؟ ألا يلاحظ أحد من المسلمين كم التناقض الموجود في هذا الدين والذي يرجعه بعض الفقهاء للناسخ والمنسوخ ؟ أتمنى من الجميع البحث في حقيقة السور المدنية والسور المكية . جرب أن تقرأ القرآن ولتبدأ بقراءة جميع السور المكية أولاً وستلاحظ أن غالبيتها تتحدث عن قصص الأنبياء وعن آيات الله في الكون وعن التسامح مع غير المسلمين . ثم اقرأ بعد ذلك كل السور المدنية وستلحظ الفرق الواضح تماما حيث تتغير بشكل كامل لغة مخاطبة أهل الكفر أو المشركين وستظهر آيات القتال والجهاد والسبي , وسيكثر ذكر الرسول وإطاعته جنبا إلى جنب مع الله . لماذا ؟ لأن السور التي نزلت في مكة كان المسلمون وقتها في حالة ضعف وكان عدد المسلمين قليل لسنوات طويلة حتى هجرة محمد إلى المدينة واعتناق الأوس والخزرج الإسلام ودعمه ماديا وعسكريا وشن الغزوات والإستيلاء على الكثير من الممتلكات .. فقويت شوكة المسلمين وتغيرت اللهجة تماما وكأننا أمام قرآنان مختلفان . وهذا بشهادة بعض المفكرين والباحثين الذين يبحثون جيدا في تسلسل الآيات والخلفية التاريخية لها على عكس عامة المسلمين الذين يقرأون القرآن بشكل سطحي ويحرصون على ختمه باستمرار أملاً وطمعا في الحصول على الكثير من الحسنات ولا يهتمون بقراءة التفاسير أو إعمال العقل فيما يقرأونه فلا ينتبهون للكثير من المتناقضات بل والأخطاء التي تستحق وتوجب التوقف عندها .

أتمنى من كل مسلم يقرأ ماأكتبه أن يبحث جيدا في داخل الإسلام ولا أقول أن يقرأ مايكتبه " أعداء الإسلام " أو المستشرقين الذين قد يتصيدون الأخطاء ويسيئون التفاسير ويتعمدون لي الحقائق بحسب اعتقاد البعض ممن يسارعون بالهجوم على كل من يطرح تساؤلا أو يستنكر أمرا فيكيلون الاتهامات الجاهزة له بالعداء للإسلام والرغبة في إطفاء نور الله بأفواههم وإخفاء حقيقة الإسلام الجميل المعتدل المتسامح في حين أن كل كتب التراث والفقه والتاريخ الإسلامي تؤكد عكس ذلك تماما . أؤكد والله شاهد على ماأقول أنني لم أنقل ماأكتبه من كتابات المستشرقين التي لا أنكر أنني اطلعت على بعضها وعلى الكثير مما أثاره المتنصرين وحتى الملحدين .

لكنني في الوقت نفسه وكلما ازددت توسعا في القراءة في الإسلام كنت أواجه الكثير من التساؤلات وعلامات الإستفهام التي حاولت البحث عن إجابات لها وكلي أمل في إيجاد مايثلج صدري ويزيل شكوكي ويملأني باليقين كي أعود مجددا تلك المسلمة الملتزمة الممتلئة حبا للإسلام ورغبة في خدمته وإعلاء لشأنه . لكنني كنت اصطدم بإجابات غير مقنعة إطلاقًا، بل كانت تثير بداخلي استنكارا أكبر . حتى أنني تحاورت يوما مع أحد علماء الإسلام بشكل عرضي وطرحت عليه بعض التساؤلات التي لم أستطع استيعابها ,ففوجيء ولم يستطع أن يعطيني إجابات شافية إطلاقا، وطلب أن نحدد لقاءات متكررة وأن أرسل له قبلها كل موضوع على حدة ليبحث فيه ويحاول أن يقدم لي إجابات . لكنني لم أعاود الاتصال به وفضلت البحث عبر الإنترنت لأن هناك العديد من المواقع الإسلامية التي ظننت أن أحدها سيتمكن من أن يعطيني إجابات منطقية لكن وبكل أسف لم أجد . واستمرت التساؤلات في تزايد يوما تلو الآخر .

فقضية قتل من يخرج عن الإسلام هذه تثبت وتؤكد ضعف هذا الدين الهش الذي لا يحتمل أن يقرر أحد تركه أو التشكيك به أو حتى إثارة التساؤلات المشروعة لكل إنسان له عقل يحق له استخدامه حتى يصل إلى اليقين عن قناعة ويقدم حسابا لله عن إيمانه . فهل يعقل أن نقف أمام الله وعندما يسألنا عن سبب اختيارنا للدين الذي متنا عليه أن نقول له بأن هذا ماوجدنا عليه آباءنا ؟ !ألا ينتقد المسلمون غيرهم لأنهم يتبعون دين آباءهم دون تفكير وهم يفعلون مثلهم بل وأسوأ ؟! .. فلم أسمع يوما عن شخص قتل لمجرد اعتناقه دين الإسلام أو غيره أو حتى أعلن إلحاده رغم أنني أعلم أن هناك الكثير من الأسر قد يقطعون الصلة مع ابناءهم إذا قرروا اعتناق الإسلام أو غيره . وقد تحدث مشكلات لكنها تبقى في نطاق المقاطعة , ولا يوجد دين واحد يدعو صراحة لقتل كل من يتركه بهذا الشكل , بل ويقرر عنوة فرض دينه على البشرية جمعاء وعلى من يرفض ذلك أن يواجه السيف . وسيأتي بالطبع من ينفي أن الإسلام انتشر بحد السيف وأن هذه أكاذيب المستشرقين وأن من دخلوا في الإسلام كانوا بكامل قناعتهم واختيارهم الحر . ولهؤلاء أقول .. اقرأوا تاريخكم جيدا .. اقرأوا قرآنكم وتفسيراته المختلفة وسيرة نبيكم " الكريم " وأصحابه المبشرين بالجنة , واقرأوا ماحدث في زمن الخلفاء ومابعدهم .. دعكم من " أكاذيب " هؤلاء المستشرقين الحاقدين على الإسلام واكتفوا بما عندكم ثم أحكموا عقولكم وضمائركم واستفتوا قلوبكم واسألوا الله أن يرشدكم لكل الحق وينير بصائركم ويقود أذهانكم لمعرفة الحقيقة الواضحة وضوح الشمس .فكيف تفسر مثلا الحديث الصحيح : " أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاالله، وأن محمدا رسول الله فإن فعلوا عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل . " والحديث الآخر : " بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له . وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري , ومن تشبه بقوم فهو منهم " . " والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح ! " فعلى من ينكر ماتفعله داعش وغيرها من قتل ونهب وسبي أن يعود أولاً لمثل تلك الأحاديث التي يؤكد عامة الفقهاء صحتها لكي يقتنعوا أن ماتفعله داعش هو صحيح الدين واتباعا لسنة محمد وأصحابه وليس العكس , ثم يعيد إعمال عقله متجردا من أي تحيز .

والغريب أنه رغم تهديد كل من يرغب في ترك الدين بالقتل فإن الإسلام حاول استمالة غير المسلمين للدخول في الإسلام حتى وإن كانوا غير مقتنعين تماما من خلال الرشوة والإغراء المادي . وأنا هنا لا أفتري على الإسلام فالآية الستين التي تتحدث عن مصارف الزكاة في سورة التوبة واضحة تماما : " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم " فمن هم المؤلفة قلوبهم بحسب التفاسير ؟ هم الرجال الذين دخلوا في الإسلام دون أن يثبت الإيمان في قلوبهم ونفوسهم . أي أسلموا ولكن إسلامهم لا يزال هشًا ضعيفا وهم أصحاب تأثير ونفوذ في أقوامهم فيعطيهم المسلمون من مال الزكاة حتى تتم استمالتهم وتثبيتهم على الإسلام . وأريد أن أسألك .. هل تجد وصفا لذلك سوى الرشوة ؟ وهل تعتبر أن هذا أمر أخلاقي يجوز اللجوء له ؟ وماذا لو لجأ شخص أو جهة غير مسلمة لفعل نفس الشيء مع المسلمين ليبعدوهم عن دينهم ويقنعوهم باعتناق دين آخر ؟ كما يردد المسلمين أن هناك جهات تبشيرية تعمل في إفريقيا على وجه الخصوص وفي بعض المناطق الفقيرة من العالم على تقديم المساعدات لهم بهدف تنصيرهم .. فإن كان هذا الأمر غير مقبول بالنسبة لك فكيف تبرر موافقة الإسلام عليه بل وتشريعه وجعله أحد مصارف الزكاة بشكل علني وواضح ودون أدنى خجل ؟ في حين أنه لو جاء مثل هؤلاء الذين حصلوا على أموال للدخول في الإسلام بغير اقتناع وقرروا أنهم لا يريدون الإستمرار في هذا الدين وأنهم لم ولن يصلوا لقناعة تامة بالإسلام وأعلنوا رغبتهم في ترك هذا الدين .. فكيف سيكون مصيرهم برأيك ؟ فهناك مثل شهير يقول " دخول الحمام ليس كالخروج منه " وهذا ماينطبق تماما على

الإسلام .. فكل المزايا والإغراءات متاحة لمن يفكر باعتناقه ولو عن غير اقتناع كامل أما لو قرر يوما الخروج منه فسيكون القتل مصيره الحتمي .

وهناك نقطة هامة أيضا تخص أموال الغنائم .. تخيل معي أنك تعيش مع أسرتك في مجتمع يعتنق دينا ما ثم تفاجأ بغزو وهجوم خارجي ويطلب منك هؤلاء الغزاة أن تدخل في دينهم الذي لا تعرفه ولا ترغب به وعندما ترفض ذلك يقتلونك ويأخذون زوجتك كجارية يحل اغتصابها وقتما يرغب سيدها ويصبح أطفالك عبيد وتؤخذ كل ممتلكاتك التي سيذهب جزء منها بشكل مباشر لرسول هذا الدين الذي شرع له إلهه أن يعيش على الأموال المسروقة والذي اعترف هو شخصيا بأنه " جعل رزقي تحت ظل رمحي " فلم ينكر إطلاقا أنه يعيش من أموال الغنائم وهي أموال كانت ملكا لأصحابها فهل يمكن أن يشرع الله مثل هذا الظلم والاعتداء حتى على غير المؤمنين ؟

أتذكر يوما كنت أذاكر فيه مادة التربية الإسلامية مع إبني وكان لايزال صغيرا , وكان الدرس عن غزوة بدر وهي أول معركة بين المسلمين وقريش بعد أن هاجروا للمدينة , حيث كان عدد المسلمين قد كثر واستعانوا بالأوس والخزرج الذين كانوا في الأساس من قطاع الطرق وقاموا بقطع الطريق على قافلة لقريش بقيادة أبي سفيان بهدف الإستيلاء عليها انتقاما من استيلاء قريش على ممتلكات المسلمين التي تركوها في مكة عند هجرتهم . وعندما كنت أشرح لإبني ذلك قال لي : " وهل النبي ومن معه كانوا عصابة من المجرمين لكي يفعلوا مثل ذلك ؟ " وقتها ورغم أنني كنت لأزال مسلمة لكنني لم أكن مقتنعة بما فعلوه ووجدتني سعيدة ببراءة ابني وبفطرته السليمة التي ترفض مثل هذا الفعل حتى ولو كان ردا على اعتداءات سابقة من قبل المشركين . لكنني حاولت أن أقنعه بمبررات المسلمين وبأنهم تعرضوا للاضطهاد والتعذيب والنهب من قبل قريش عندما كانوا في مكة وبأنه كان عليهم الأخذ بالثأر .. ففوجئت به يقول لي وكان عمره وقتها حوالي الثمان سنوات : " إذا فعلوا مثلهم فسيكونون مجرمين وسارقين مثلهم . " فسكت لأنني كنت أعلم جيدا أن كلامه منطقيا . فإذا كان الله قد نجاهم من ظلم وبطش قريش وأبدلهم بمكان آخر وبعدد كبير من المؤمنين وبقوة بعد الذل، أفلم يكن من باب أولى أن يركزوا على حياتهم الجديدة وعلى الدعوة لدينهم والعمل لكسب الرزق بدلاً من الاحتكام للقوة والتصميم على الأخذ بالثأر ؟

ومن أكثر الأمور التي آذتني نفسيا كامرأة عندما كنت أتخيل ماحدث لملايين النساء على مدار قرون من إيذاء جسدي ونفسي نتيجة أحكام الإسلام التي عرضتهن للكثير من الظلم والإذلال والإيذاء . فقضية السبايا والجواري ومافعل بهن هي من أخطر القضايا التي لا أدري كيف يتقبلها المسلمون دون مناقشة أو تفكير في مدى بشاعتها . فعندما أتخيل امرأة مثل صفية بنت حيي اليهودية التي كانت تعيش مع زوجها في قبيلة قريظة لتستيقظ ذات يوم وتفاجأ بهجوم المسلمين عليهم وقتلهم لكل رجال قبيلتها ومن بينهم أبوها وزوجها ثم يتم أخذها سبية وعندما تقع في التقسيم ضمن غنيمة أحد المسلمين يراها محمد فيعجب بها ويطلب منه أن يتركها له ويقرر أن يتزوجها . وتقول المصادر الإسلامية أنها قررت اعتناق الإسلام . فهل يعقل أن امرأة حرة ذات فطرة سليمة ومشاعر إنسانية ستقبل أن تعتنق دين قاتل والدها وزوجها وتكون زوجة له بكامل رضاها ! قد أتفهم خوفها واضطرارها للرضوخ لهذا الوضع المهين لكنني متأكدة أنه من المستحيل أن تكون قد فعلت ذلك عن قناعة ورضى . ومايؤكد ذلك أن جاريتها بعد وفاة محمد كانت تتهمها بأنها لا تزال تحفظ السبت وتصل اليهود !

وفكرة أن تؤخذ امرأة متزوجة كسبية ويدخل بها شخص آخر استنكرها حتى المسلمون أنفسهم . فتذكر المصادر الإسلامية أن بعض الصحابة تحرجوا من وطء المتزوجة فقد كانوا يؤمنون بأن المرأة المتزوجة لا تحل إلا لزوجها , وعندما ذهبوا ليستفتوا نبيهم في ذلك نزلت الآية : " والمحصنات من النساء إلا ماملكت أيمانكم " , وتصبح ملك يمين أوجارية بالسبي فتصبح حلالا للمسلمين . وهكذا أزال القرآن الحرج عنهم ليستبيحوا لأنفسهم اغتصاب زوجات رجال آخرين .. حاشا لله بالطبع أن يشرع مثل ذلك أو يبيح مايعف أي شخص فاضل أن يقوم به وليس بأن يحكم الله به ويشرعه في كتاب يفترض أنه مقدس . وفكرة الإماء نفسها أو الجواري حتى ولو كنّ غير متزوجات رغم أنها كانت سائدة في القدم في كل المجتمعات والأزمنة القديمة حيث كان المجتمع ينقسم عادة لسادة وعبيد , وكان من الطبيعي وجود سوق للرقيق فكان أغلب العوام وليس فقط أصحاب الثروة أو السلطة يشترون العبيد والجواري لمساعدتهم في الشؤون المنزلية وربما كان بعض السادة يستبيحون معاشرة جواريهم لكن لم يسبق لأي دين أن يقنن ويشرع معاشرة الجارية كالزوجة . فلم يكتف بأن يكون لكل رجل أربع زوجات بل أباح له ماشاء من إماء كملك يمين , فكل حسب استطاعته المادية . فما الفارق إذا بين هذا وبين الزنا ؟ وهل من المفترض أنه بعد كل هذا التيسير قد يلجأ أحد للزنا ؟

وإذا تطرقنا أيضا لزواج المتعة .. فأتذكر رغم قراءتي المستمرة للقرآن أن توقفت يوما عند الآية التي تقول : " فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة " (النساء 24) وأتاني شعور بالإشمئزاز الشديد , ورغم عدم بحثي وقتها عن تفسير فقهي لها لكنني شعرت بأن المعنى الواضح يشبه الزواج حرفيا بالدعارة .. فهل هناك وصف آخر للمتعة مقابل المال سوى هذا ؟ وهذه الآية هي التي شرعت لنكاح المتعة وهو على قول الفقهاء أن يستأجر الرجل المرأة بمال معلوم إلى أجل معين فيجامعها . ويقول ابن كثير: " وقد استدل بعموم هذه الآية على نكاح المتعة , والشك أنه كان مشروعا في ابتداء الإسلام ثم نسخ بعد ذلك. وقد ذهب الشافعي وطائفة من العلماء إلى أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ مرتين " وقد ورد عن علي ابن ابي طالب قوله : " نهى النبي عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر " لكن الشيعة لا يعترفون بأن محمدا ألغى هذا الزواج ويعتبرون أن الآية واضحة ولا يوجد مايؤكد نسخها ؟ !فكيف سيعرف المسلم الحقيقة وسط تلك المتاهات ؟ والثابت أن نكاح المتعة كان موجودا في زمن محمد وحتى الآن يعترف به الشيعة ويقرونه ويمارسونه ولا يعترفون بأنه تم نسخه . وورد بشكل واضح لا يحتاج لتأويل في القرآن . فهل يمكن لأحد ذو فطرة سليمة أن يتخيل أن يشرع الله مثل هذا التشريع حتى وإن كان لوقت معين أو لظروف معينة ؟ فأين قدسية الزواج وهذا الرباط الأبدي المقدس ؟ وموضوع الزواج في الإسلام من الموضوعات التي تحتاج للاستفاضة في شرحها وللتوقف عند الكثير من أحكامها . فمن تعدد للزوجات وأمر بإطاعة المرأة لزوجها مهما كان مايطلبه ، فإن لم تفعل ذلك باتت تلعنها الملائكة ؟ !ومن ترفض إطاعة زوجها فله ثلاث خيارات بحسب الآية : " واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن . فإن أطعنكم فلاتبغوا عليهن سبيلاً " (النساء 34) . فماذا لو كانت المرأة محقة في عدم إطاعته ؟ ولماذا يعطي القرآن الحق المطلق لعقاب الزوجة ؟ أين الشراكة الزوجية والإحترام المتبادل ؟ وحتى لو كانت القوامة للرجل وأن على المرأة احترامه وأنه رأس المرأة كما يقول الإنجيل نفسه لكن ذلك لا يعطيه الحق لفرض عقوبات عليها تصل لضربها !

بالطبع سيسارع البعض للقول بأن هذه شبهات يتعمد النصارى وأعداء الإسلام إثارتها . ولاأدري لماذا يصرون على مصطلح " شبهات " أليس كل مايثار من تساؤلات واستنكارات يأتي من صميم الدين ؟

هل قام أحد بالتحريف أو باختلاق ماليس موجودا ؟ حتى في النقد يتم الاستشهاد بالوارد بأمهات الكتب الإسلامية . ولكن لأنهم لا يجدون ردا على كل مايثار فيستخدمون نظرية " خير وسيلة للدفاع هي الهجوم " فلماذا لا يسألون أنفسهم عن السبب في كون الإسلام أكثر الأديان تعرضا للنقد ويتركون تلك الحجة الواهية من أن السبب هو " حقد " أعداء الإسلام عليه استكبارا وحسدا منهم لأصحاب الدين الحق ! فهل إذا وجد الشخص نفسه موضع اتهام من جانب العديد من الأشخاص، فالأفضل له أن يعتبر هذه الاتهامات حسدا له وغيرة منه كونه أفضل شخص في الوجود أم يحاول النظر بموضوعية لتلك الاتهامات ويراجع نفسه عله يكون مخطئا بالفعل ؟ أتمنى أن يكف المسلمون عن هذه الاتهامات الواهية ويتقبلوا النقاش المنطقي كما يعطون لأنفسهم الحق بالهجوم على أصحاب الديانات الأخرى وخاصة المسيحيون واليهود .. فلماذا لا يقبلون التعامل بالمثل وأن يقابلوا الحجة بالحجة ؟

أعود لتشريع ضرب المرأة الذي يحاول أغلب الفقهاء التقليل من وقعه السيء .. فيفسرون الآية على أن المقصود بالضرب هو الضرب غير المبرح . وضربوا مثالاً أن يكون الضرب بالسواك وماشابه . ولكن هل وضعت الآية حدا أو توصيفا لهذا الضرب ؟ بكل وضوح لم تضع والدليل أن هناك من الأزواج من يبرحون زوجاتهم ضربا استدلالاً بتلك الآية . فمن غير المنطقي أن يقوم كل مسلم بالبحث في التفاسير المختلفة ليفهم المقصود بكل آية . وإن فعل فسيفاجأ بالعديد من التفسيرات التي قد يناقض بعضها بعضا . فماذا يفعل وقتها ؟ لذلك يأخذ الكثير من المسلمين بالمعنى الواضح والظاهر من الآيات ولا يلجأون لمتاهة التفسيرات . وهل المشكلة في أن يكون الضرب مبرحا أو غير مبرح ؟ فالهدف من تشريع الضرب نفسه هو إهانة المرأة وعقابها وكسرها . فإذا كانت الدراسات النفسية تؤكد عدم جواز ضرب الأبناء لما له من تأثيرات نفسية سلبية ستنعكس عليهم , فكيف بضرب الزوج لزوجته التي يفترض أنها شريكة حياته ؟ وماذا يحدث للأبناء الذين يشهدون مثل هذه الإهانة لوالدتهم ؟ فهناك إشكالية حقيقية في نظرة الإسلام للمرأة كمتاع و " كحرمة " يجب تغطيتها والاستمتاع بها قدر الإمكان والسيطرة عليها بكل الطرق .

ولابد هنا من التطرق لموضوع الحجاب الذي أؤكد تماما احترامي له وأؤيد كثيرا احتشام المرأة لأن قدوتي هي السيدة مريم العذراء أطهر وأنقى نساء الأرض . ومنذ صغري كنت أحب كثيرا ملابس الراهبات وسمتهن . وأعلم أن هناك من يقرأ ذلك ويتساءل : فلماذا إذا تلومون الإسلام على فرض الحجاب على النساء ؟ لأن المشكلة هي في فكرة الفرض هذه ؟ ولأن الكثير من المسلمين والمسلمات لا يعلمون بكل أسف خلفيات الآيات التي ظهرت لتفرضه . وأنا هنا سأنقل كما فعلت سابقا من المصادر الإسلامية . فقد شكلت هذه المعلومات التي اكتشفتها قبل سنوات صدمة جديدة تضاف للصدمات التي تعرضت لها عندما اكتشفت أنني لم أكن أعلم عن الإسلام سوى القشور ولهذا كنت أظنه الدين القويم المثالي الذي يمثل الحق . بكل أسف لا يعلم الكثير من المسلمين الخلفيات التاريخية وراء بعض التشريعات ومن بينها الحجاب .. فالآية التي يستدل بها المسلمون عادة على فرض الحجاب على المرأة هي : " ياأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين (الأحزاب 59) . وهنا أسأل كم من المسلمين قرأ وبحث عن تفسير " ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين " ؟ أعلم تماما أن الكثيرون لم يحاولوا البحث واكتفوا فقط بما يؤكده الفقهاء من أن هذا الآية تثبت فرض الحجاب على كل مسلمة بالغة . لكن من يبحث في التفاسير سيجد أن سبب نزول الآية هو أنه عندما كانت تخرج النساء ليلاً لقضاء الحاجة في الصحراء كن يتعرضن للتحرش من قبل بعض الرجال الذين يظنون أنهن مجرد جواري . فجاء الهدف من التشريع بفرض الحجاب على الرأس كعلامة على أن هذه المرأة حرة وليست جارية وهذا المقصود في التفاسير " بأن يعرفن " أي تعرف أنها حرة ومن عائلة

كريمة كي لا تكون عرضة لتحرش الرجال , وفي نفس الوقت فرض على الجواري عدم تغطية شعورهن ليكون ذلك تمييزا لهن عن الحرائر . فوقتها لن تكون هناك مشكلة إذا ماتعرضت لأي تحرش أو مضايقات فهي ليست امرأة تنتمي لقبيلة معروفة أو لها زوج من رجال المسلمين !

وهنا سأنقل ماقاله ابن تيمية الذي يلقبونه "بشيخ الإسلام " حيث يقول : " والحجاب مختص بالحرائر دون الإماء كما كانت سنة المؤمنين في زمن النبي وخلفائع أن الحرة تحتجب والأمة تبرز " . وكان عمر إذا رأى أمة مختمرة ضربها وقال لها : " اكشفي رأسك أتتشبهين بالحرائر " ؟ ! وهو أمر عجيب كل العجب .. فهل عندما تريد امرأة حرة كانت أم جارية أن تغطي شعرها لا يُسمح لها بذلك ؟ كما أن به من العنصرية الواضحة التي لاأجد لها مبررا . فالأمة كالمستباحة يمكن للرجل أن يتحرش بها ولسيدها معاشرتها وقتما شاء وليس لها أن تعترض . وكن يعرضن في الأسواق شبه عاريات لا حرمة لأجسادهن ولا كرامة لهن . ولا يأمر الرجل بغض البصر عنهن . إذاً، فقد كان الهدف الواضح من الحجاب هو حماية زوجاتهم وبناتهم فقط من تحرش الآخرين وليس كما يدعون حماية كرامة المرأة وحفظ جسدها كالحلوى المغطاة !

وماينبغي التوقف عنده أيضا هو أن السبب في " نزول " آية الحجاب كان استجابة لرغبة عمر ابن الخطاب فقد قال لمحمد ذات مرة : " أحجب نساءك " و " يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ؟ " فنزلت آية الحجاب . وقد روى البخاري عن عمر ابن الخطاب قوله :) وافقت ربي في ثلاث .. فقلت يارسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " (البقرة 125)، وآية الحجاب .. قلت يارسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب . واجتمع نساء النبي في الغيرة عليه فقلت لهن " عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن " فنزلت هذه الآية كما هي في الآية الخامسة من سورة التحريم !! فهل كان الله - حاشاه - ينتظر أن يبدي عمر هذه الآراء حتى يوافقه ثم ينزِّل الآيات التي تتوافق تماما مع رغباته ؟ ألا يدعو ذلك إلى أي قدر من التشكك ؟ كما كانت تشريعات الميراث ونقص شهادة المرأة من بين القضايا التي توقفت عندها كونها تؤكد وجود تمييز ضد المرأة وظلم كبير لها . فعندما يعتبر الإسلام أن شهادة امرأتين تعادل شهادة رجل واحد كون النساء " ناقصات عقل ودين " وهو وصف وتعميم عجيب لشخص يفترض أنه نبي . وعندما يشرع القرآن أن " للذكر مثل حظ الأنثيين " (النساء 11) ألا يُعتبر ذلك ظلما وانتقاصا من حقوق المرأة ؟

أعلم بالطبع الحجج والمبررات المكررة التي يردون بها على مثل هذه الانتقادات . فشهادة المرأة ناقصة لأنها في وقت حيضها قد تصاب بنقص في التركيز واضطراب في المزاج مما قد يؤثر على دقتها في أداء الشهادة كما يمنعها شرعا من تولي منصب قاضية . ونصيبها يكون نصف نصيب أخيها كون الرجل هو المعني بالقوامة والإنفاق على أسرته أما المرأة فلابد أن يكون لها زوج يعولها أو أخ ينفق عليها !! وهنا أسأل .. هل تعتبر هذه المبررات منطقية من وجهة نظرك ؟ فمعروف عن النساء دقتهن في تذكر التفاصيل بشكل كبير وبالتالي قد يكن أقدرعلى الإدلاء بشهادتهن . كما أن هناك الكثير من الدول يتولى بها النساء مناصب القضاء ويتميزن بالعدل والدقة ولا يشير أي أحد لنقص في قدراتهن . فالمرأة التي وصلت لأعلى المناصب من رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء وحتى تولي منصب وزيرة الدفاع وأثبتن كفاءتهن في تولي كافة المناصب، هل يليق وصفهن في هذا الزمان بناقصات عقل ؟

وبالنسبة للميراث وافتراض أن لكل امرأة رجل ينفق عليها ويتولى مسؤوليتها .. هذا أمر غير واقعي على الإطلاق . فكم من النساء لم يتزوجن وربما لا يعملن ويحتجن أشد الاحتياج للحصول على ميراث لإعاشتهن . وهناك أرامل ومطلقات أو متزوجات لكن أزواجهن لا يعملون ربما لظروف مرضية أو قد يكون لديهن عدد من الأبناء يحتجن للكثير من النفقات , وقد يكون أخاها الذكر في حالة مادية متيسرة جدا وفي غير حاجة للنصيب المضاعف من الميراث . فأين العدل في ذلك ؟

وأعود لقضية تعدد الزوجات والتي كانت من أولى القضايا التي أثارت بداخلي مضايقات ربما لكوني امرأة لم تتخيل يوما أن تكون لها ضرة . فقد كنت ولازلت لا أتخيل امرأة سوية تقبل بأن يكون لها ضُرة تشاركها زوجها مهما كانت المبررات . والأمر ليس فقط من باب الغيرة النسائية، وإنما كنت دائما ما أعتقد أن قوام الأسرة الطبيعية يتكون من أب وأم وأبناء . حتى وإن لم يرزقا بأطفال فستكون تلك إرادة الله . ولم أسمع يوما عن امرأة تركت زوجها وقررت الزواج من آخر لأنه يعاني مشكلة في الإنجاب فلماذا يكون العكس مسموحا ومشرعا وعلى أي امرأة أن تقبل بهذا الوضع دون أي اعتراض لأنه لا يجوز لها أن تعترض على شرع الله ؟ وبالطبع لا يلجأ الرجال عادة للزواج الثاني أو الثالث أو الرابع فقط أملاً في الإنجاب . فكثيرا ما يكون بسبب الرغبة في التجديد أو نتيجة وجود خلافات شديدة مع زوجته وعدم تقبله لها في الوقت الذي لا يرغب فيه بتطليقها على الأغلب حفاظا على استقرار الأبناء . وهو الأمر الذي يتحجج به البعض بأن الزواج الثاني أفضل بكثير من هدم الأسرة تماما وتشريد الأبناء . لكنني أتساءل أيضًا: وهل من الأفضل أن يجد الأبناء والدهم مقيما معهم فقط لنصف الوقت أو ثلثه أو ربعه ؟ وهل سيتمكن من متابعة أبناءه وإيجاد وقت لتربيتهم ومتابعتهم , مع الأخذ في الاعتبار بالطبع المشاكل المعقدة التي تنشأ بعد وفاة الوالد بسبب الصراع على الميراث بين أبناء الزوجات . وقد يقول قائل بأن تعدد الزوجات كان قائما منذ قديم الزمن وحتى الأنبياء في الكتب المقدسة كان الكثير منهم يعدد وكان الأمر طبيعيا . وأن تعدد الزوجات قبل الإسلام مباشرة لم يكن له أية ضوابط ، لكن الإسلام جاء ليقننه وليضع حقوقا للزوجة لم تكن موجودة في العصر الجاهلي .

وفي الحقيقة أنا لا أعترض إطلاقا على كل تلك النقاط . لكن المشكلة الحقيقية تكمن عندما نقارن الإسلام بالمسيحية وليس بالمجتمع الجاهلي . فمن يقرأ العهد الجديد لابد وأن يلحظ الفرق . فإن كان الكثير من المسلمين يتشدقون الآن بأن الإسلام أعطى للمرأة مالم تأخذه من حقوق على مر التاريخ . فماذا عن السيد المسيح ؟

لم أر سمواً في الحديث عن علاقة الرجل والمرأة كما رأيت من السيد المسيح الذي وضع الأساس لهذه العلاقة بقوله : " أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكرًا وأنثى . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا . إذا ليسا بعد اثنين بل جسد واحد . فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان " (متى 19 : 4).. إذا فالله خلق امرأة واحدة لرجل واحد وعلاقتهما مقدسة لأن الله هو الذي يجمعهما بسر مقدس ولهذا لا يجوز لأحد أن يفك هذا الرباط بالطلاق أبدا إلا في حال واحدة وضحها السيد المسيح بشكل صريح : " إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا وتزوج بأخرى يزني والذي يتزوج بمطلقة يزني " (متى 19 : 9)

وبصراحة كنت أعتبر أن هذا التشريع من أصعب الأمور في المسيحية لأنه يربط الزوجان برباط أبدي بغض النظر عن راحة أحد الطرفين أو سعادته . وهناك أمور بخلاف الزنا قد يكون من الصعب فيها التسامح واستكمال الحياة مثل التعرض لإهانات شديدة أو عدم تحمل المسؤوليات والواجبات الأسرية عن

إهمال . لكنني عندما فكرت فيما بعد أنه لو علم كل اثنان مقبلان على الزواج أن هذا القرار هو قرار أبدي فسيحسنان الإختيار وسيفكران جيدا ويضعان المعايير السليمة دون تسرع . وأما بعد الزواج فمن الطبيعي ألا يخلو منزل من خلافات زوجية تتكرر من حين لآخر , لكن عندما يعلم الطرفان أنه ليس أمامهما سوى إيجاد حلول للمشكلات ومحاولة كل طرف إسعاد الطرف الآخر وبذل أقصى مايستطيع لإنجاح العلاقة فسيستمر هذا الرباط الأبدي وسيباركه الله إن كان لدى الزوجان إيمان قوي ونية حقيقية لإرضاء الله . وسينشأ الأبناء في جو أسري مستقر يجعل منهم أشخاص أسوياء . على عكس إباحة الطلاق في أي وقت وتعدد الزيجات الذي نتج عنه على مدار قرون الكثير من المشكلات والتفكك الأسري الذي تسبب في ضياع الكثير من الأبناء .

وأنا هنا لا أحاول رسم صورة مثالية غير واقعية عن المجتمع المسيحي أو الإدعاء بأن الأسر المسيحية تسودها المحبة وتخلو من الخلافات وهذا غير صحيح بالطبع لأن المسيحيون هم أيضا بشر خطاؤون . ودائما مأقول ليس كل المسيحيين هم أتباع للمسيح كما أن ليس كل المسلمين يتبعون تعاليم الإسلام . وهناك من المسيحيين من يلجأ لتغيير طائفته أو للطلاق ثم الزواج المدني من أجل أن يتمتع بحرية الطلاق وإعادة الزواج مرة أخرى في مخالفة صريحة لتعاليم السيد المسيح : "من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزني ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني " (متى 5 : 32)ولكن رغم ذلك ورغم أن الكنيسة تتدخل عادة لحل الخلافات الزوجية إلا أنه في بعض الأحيان لا يمكن إصلاح الأوضاع . وقد يرفض الطرفان إكمال حياتهما سويا وهنا يمكن أن يلجآ للتفريق بمعنى الانفصال ولكن دون الحصول على طلاق رسمي يمكنهم من الزواج مرة أخرى . إذا فإباحة الطلاق وإباحة تعدد الزوجات في نظري من أكثر المسببات للتفكك الأسري ولتشريد الأبناء وللكثير من المشكلات والأزمات النفسية .

ولابد لي بالطبع من التوقف عند تعدد زيجات محمد وهي النقطة التي استوقفتني كثيرا , كما أثارت انتقاد الكثيرين للدين الإسلامي . وسيقول قائل وهل محمد وحده فقط هو من قام بالجمع بين العديد من الزوجات ؟ والإجابة بالطبع لا .. فالكثير من الأنبياء في العهد القديم قاموا بالتعدد أيضا وكان ذلك نتيجة ممارسات مجتمعية سائدة وليس عن تشريع إلهي يقنن هذا التعدد إلى يوم الدين , خاصة وأنه أتي بعد حكم السيد المسيح بمنع الطلاق إلا لعلة الزنا وبأن لكل رجل امرأة واحدة كما خلق الله لآدم حواء واحدة فقط فأعاد الأساس السليم للأسرة . فحتى الكتب الإسلامية تزخر بالمواقف التي تتجلى فيها غيرة زوجات محمد من بعضهن البعض , ومن الجواري اللواتي كان محمد يفضلهن في بعض الأحيان عن زوجاته . كما حدث عندما اختلى بجاريته ماريه القبطية في يوم زوجته حفصة وعلى سريرها وعندما رأتهما معا قالت له مستنكرة : " أفي بيتي وعلى فراشي ؟! " فلكي يرضيها سارع بتحريم ماريه على نفسه . لكن تقول المصادر الإسلامية أنه بعد ذلك أرسل الله جبريل إلى محمد بالآية الأولى في سورة التحريم " ياأيها النبي لِمَ تُحرم ماأحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك ". وهذا بالطبع لدفع الحرج عن نفسه لأنه كان يريد العودة عن تحريمها عليه , فكان الحل الوحيد هو عتاب إلهي يبيح له العودة عن قراره وبشكل لن تتمكن نساءه من المجادلة فيه باعتباره حكم الله . ألهذا الحد يمكن ألا يعبء الله بمشاعر الزوجات ويفضل جارية على زوجة خانها زوجها على فراشها ؟ !

ولماذا كل هذه الامتيازات النسائية لمحمد من ثلاثة عشر زوجة في حين يسمح للعامة بأربعة فقط إلى جانب عدد لامتناهي من الجواري والسبايا بل والأدهى والأبشع ماشرعته هذه الآية : " ياأيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن ومامَلكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك

وبنات خالك وبنات خالاتك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين (الأحزاب 50) !! وتروي عائشة قائلة : " كنت أغار من اللآتي وهبن أنفسهن للنبي وأقول .. أتهب امرأة نفسها ؟ فلما أنزل الله" ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلاجناح عليك (الأحزاب 51) قلت ماأرى ربك إلا يسارع في هواك ! " و " خالصة لك من دون المؤمنين " (الأحزاب 50) فسرها أحد الفقهاء قائلاً : " ليس للمرأة أن تهب نفسها لرجل بغير ولي ولامهر إلا للنبي ! " وهنا أترك لكم التفكير والتعليق المناسب .. لكنني أقول فقط إن فطرتي السليمة لم تقتنع أن يكون الله قد أحل مثل هكذا أحكام . وبالطبع دائما مايتم نفي أن يكون لمحمد رغبة زائدة في النساء على الرغم من أنه قال في حديث له : "حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء " فيحاولون دائما إيجاد المبررات من أجل تعدد زوجاته , معتبرين أن لكل زيجة هدف ديني أو رغبة سامية من محمد في الاعتناء بتلك المرأة وإعانتها على المعيشة . وأن زواجه من فتاة في عمر التسع سنوات كان أمرا منطقيا في ذلك الوقت وأن الفتيات كن يتزوجن في مثل هذا العمر , ولا يرون مايدعو للنفور إطلاقا في حين أنهم لا يتوقفون أبدا عند قصة في غاية الأهمية لفتت انتباهي كثيرا عندما كان محمد يبحث بنفسه عن زوج مناسب لابنته فاطمة وكانت وقتها في الثامنة عشرة من عمرها , فطلبها كل من أبي بكر الصديق وعمر ابن الخطاب - أقرب الصحابة لقلبه وأيضا أنسبائه بحكم زواجه من ابنتيهما - لكنه رفض أن يعطي أيا منهما ابنته واختار لها الشاب علي ابن أبي طالب زوجا لها لأنه الأقرب لها سنا . واعتبر أنهما كبيران في السن وغير لائقان للزواج من ابنته الشابة , في الوقت الذي استباح لنفسه الزواج من الطفلة عائشة ذات التسع سنوات وكان هو وقتها في الحادية والخمسين من عمره تقريبا ! فلماذا لم يستنكر ما استنكره لابنته مدعيا أن إرادة الله هي التي جعلته يقدم على الزواج منها وليس لأي أهداف أخرى ؟!

هناك مواقف تحتم على الإنسان الوقوف عندها والتأمل فيها وليس فقط قبول كل مايقال أنه مقدس مع رفض أي نقد له مثلما حدث أيضا في قصة زواجه من زينب بنت جحش التي تروي المصادر الإسلامية أنها كانت ابنة عمة محمد وقام بنفسه بتزويجها من ابنه بالتبني زيد بن حارثة . ويروي ابن إسحق : " مرض زيد بن حارثة فدخل عليه رسول الله يزوره , وزينب بنت جحش امرأته جالسة عند رأس زيد . فقامت زينب لبعض شأنها فنظر إليها الرسول ثم طأطأ رأسه فقال:[سبحان الله مقلب القلوب والأبصار] . فقال زيد : [أطلقها لك يارسول الله ؟] . فقال: لا . فأنزل الله : [وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه . فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولاً] .

إذن فيفترض أن الله أنزل فرمانا سماويا من فوق سبع سماوات بتطليق زينب من زوجها زيد وتزويجها لوالده بالتبني الذي أعجب بها فجأة فقط لأن الله - حاشاه - أراد أن يشرع زواج الأب من زوجة أو طليقة ولده بالتبني , وهو الأمر الذي كان يستنكره العرب في الجاهلية أشد الاستنكار . ولذلك أثارت هذه الآية وهذا التشريع استنكارا واسعا فما كان من محمد إلا أن قام بإلغاء التبني من الأساس والادعاء بأن الله أنزل آية تقول : " ماكان محمد أبًا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين " (الأحزاب 40) . " وماجعل أدعياءكم أبناءكم " (الأحزاب 4)، وبالتالي ألغى كون زيد في حكم ابنه ولا تكون زينب في حكم زوجة ابنه فيهرب من الحرج الذي وقع فيه ! وهذا ماحدث كثيرا .. فعندما كان يقع في مأزق ويستنكر الكثيرون مايفعل يفاجأهم بآيات يدعي نزولها من السماء لتأييد رغباته . كماأكدت عائشة في

قولها صراحة له : " أرى ربك يسارع في هواك ". ويبدو أنها كانت تدرك جيدا مايفعل . فهل يحتاج الله لمبررات وينتظر حدوث مواقف معينة ليقوم بإنزال آيات توائمها ويعطي التشريع لها ؟ !فهل كان على الله أن يقوم بتطليق زينب من زوجها ويزوجها بمحمد ثم يقوم بإلغاء حكم التبني بالكامل والذي كان ولازال الملاذ للكثير من الأيتام لينشأوا في كنف عائلة بكل محبة وعزة , ثم بإلغاء هذا الحكم أصبح من غير الجائز أن ينسب مسلم طفلاً يتيما له ويجعل له نصيبا في ميراثه بمحض إرادته ويكفل له حياة كريمة .. لكن بدلاً من ذلك يقرر الإسلام إلغاء هذا الحكم فقط ليصبح من حق محمد ومن حق أي شخص الزواج من طليقة ابنه بالتبني دون أن يشكل ذلك حرجا أو عيبا في حقه . فهل يتناسب هذا مع عدل الله ورغبته في الحث على المساعدة والخير؟ وألا تدل كل تلك المواقف على شهوة زائدة لمحمد وعشق للنساء بشكل يتنافي مع وقار النبوة .. حتى أن تطلعاته فاقت الحدود الدنيوية لتصل لتخيل وجود حور عين في الجنة كمكافأة للمؤمنين وكشكل من أشكال الملذات التي سيتمتع بها الرجال - وحدهم بالطبع - هناك . وكلمة حوراء تعني المرأة شديدة البياض وعيونها سوداء داكنة جدا وتوصف بالحسن والبهاء .

وفي حديث لمحمد في صحيح مسلم " إن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة , ومثل له شجرة ذات ظل فقال : أي رب قدمني إلى هذه الشجرة أكون في ظلها , ثم يدخل بيته فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين فتقولان : الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك . قال فيقول : ماأعطي أحد مثل ما أعطيت "

وفي القرآن العديد من الآيات التي تتحدث عن وصفهن ترغيبا للمؤمنين في الجنة .. ففي آية " ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون" (البقرة 25) ومطهرة تعني من الحيض والنفاس وكل شيء قذر " بحسب التفاسير " وفي آية أخرى : " فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان (الرحمن 56). بمعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم . ومعنى لم يطمثهن أي لم يمسسهن أحد فهن أبكار . وفي آية أخرى : " إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين " (الواقعة 35 – 38.) وفي حديث آخر: " لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت مابينهما ريحا ولأضاءت مابينهما . ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا ومافيها . و " للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب . " و يؤكد محمد أنه " يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع . قيل يارسول الله أويطيق ذلك ؟ قال يعطى قوة مائة . "

أما الشهيد المجاهد في سبيل الله فقد أعطي له مجموعة من الإمتيازات الحصرية من بينها الزواج من اثنتين وسبعين من الحور العين . وسأترك لكم التعليق على قضية الحور العين لكنني سأتساءل فقط مجرد سؤال صغير عن النساء في الجنة .. ماذا سيفعلن عندما يكون لأزواجهن كل هذا العدد من الحور العين ؟ وهل سيكتب عليهن التعدد في الآخرة كما في الدنيا أيضا ؟ و الأهم .. لماذا نفى السيد المسيح وجود زواج من الأساس في الجنة ؟ فعندما سأل اليهود السيد المسيح ليختبروه عن امرأة تزوجت أكثر من مرة بعد وفاة أزواجها فلمن ستكون زوجة في الملكوت بعد القيامة .. كانت إجابته " تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولاقوة الله لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء " (متى 22 : 30)وبذلك نفى تماما احتياج البشر للشهوات الجسدية الدنيوية لأن من سيدخلون الملكوت سيكونون كالملائكة . فهل من المنطقي إن كان محمد نبيا من عند الله أن يأتي بأمر مخالف تماما لمن

سبقه فيصبح بينهما تعارض واضح ؟! وليس في هذا الموضع فقط وإنما اختلاف الأحكام لا يخفى على أحد ممن يقرأ العهد الجديد والقرآن ويقارن بينهما .

الفصل الخامس

الأخطاء العلمية والتاريخية واللُغوية فى القرآن

أما القضية الأخطر من وجهة نظري فهي وجود أخطاء لغوية وعلمية وتاريخية في القرآن . وهي القضية الأولى التي أصابتني بصدمة حقيقية ولن أتمكن هنا بالطبع من سرد كافة الأخطاء تفصيليًا . فدائما مايذكرون الآية الشهيرة : " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرًا " (النساء 82) باعتبارها دليلاً يُفحمون به أعداء الإسلام . لكن المشكلة أن ظهر بالفعل ما يثبت وجود أخطاء فادحة . وسأحاول ذكر بعض ما أطلعت عليه ووجدته منطقيا . يدعي البعض وجود إعجاز علمي في القرآن , لكن الواقع أن هناك الكثير من الأخطاء التي أثبتها العلم الحديث . وسأتوقف عند ما يتشدق به الكثيرون من أن القرآن استطاع قبل ألف وأربعمائة سنة أن يصل لمراحل تكوين الجنين . فماذا يقول الإسلام ؟ "فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما " (المؤمنون 14) ويقول محمد : " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك , ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح . " وفي حديث آخر : " إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم يقول يارب أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك مايشاء " . لكن العلم الحديث ينفي ذلك , حيث أثبتت الدراسات العلمية أن النطفة تعيش اثنتان وسبعون ساعة بجسم المرأة كحد أقصى . ويتحدد جنس الجنين في لحظة التلقيح . وفي اليوم التاسع يبدأ اللحم بالتشكل عندما تلتحم البويضة الملقحة بجدار الرحم وتبدأ بامتصاص الغذاء . وفي اليوم الحادي والعشرين يظهر الجنين , ويبدأ تكون السمع والبصر والعينين والعظام في اليوم الثامن والعشرين . إذًا، ينفي العلم تكون العظام قبل اللحم . وقد يقول قائل ومن أين إذا أتى محمد في هذا العصر القديم وفي تلك البيئة الصحراوية بمثل هذا الكلام العلمي ؟

والمفاجأة التي اكتشفتها أن ماأتى به محمد لم يكن فلتة من فلتات عصره ولا معجزة مبهرة لمن حوله وقتها لأنه ببساطة كان هناك علماء في اليونان في ذلك الوقت .. وتحدث كتاب يوناني عن كيفية تكون الجنين داخل بطن أمه بشكل نظري افتراضي بالطبع حيث لم تكن هناك أدوات علمية متقدمة تتيح الوصول لمعلومات تشريحية دقيقة , وإنما كان هناك تصور من جانب هذا العالم اليوناني في كتابه الذي تمت ترجمته في ذلك الوقت للغة العربية ووصل إلى شبه الجزيرة العربية ومن المؤكد أن محمدا اطلع عليه بشكل أو بآخر واستقى منه هذه المعلومات. والدليل أنها تطابقت تماما مع ماجاء به هذا العالم . ولم تعتبر الكتب الإسلامية وقتها أنه قد أتى بكشف علمي فريد أو أن أحدا انبهر بما جاء به من معلومات علمية في القرآن . ولم يظهر مصطلح الإعجاز العلمي إلا في السنوات الأخيرة ردا على الإنتقادات المتزايدة للقرآن وكشف الكثير من الأخطاء والتناقضات به.

وهناك أيضا الآية التي تقول : " وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين " (النحل 66) فهل يجيء اللبن من بين الفرث والدم ؟ وفي سورة النحل تحدث القرآن عن أن النحل " يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس " (النحل 69)

فهل يخرج العسل من بطن النحل ؟ وآية : " ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً " (الفرقان 45) فهل تتحرك الشمس لتدل على الظل ؟ ففي الواقع إن دوران الأرض هو الذي يطيل الظل أو يقصره . وتصور القرآن لإنبساط الأرض في عدة آيات: " وإلى الأرض كيف سُطحت " (الغاشية 20) و " إذا الأرض مدت (الإنشقاق 3) و " الأرض بعد ذلك دحاها " (النازعات 30) و " الأرض وماطحاها " (الشمس 6). وقد لا تصدقون أن هناك الكثير من المواقع الإسلامية التي تؤكد عدم جواز التصديق بكروية الأرض كونها تخالف القرآن , ويعتبرون أن هذه أكاذيب أعداء الإسلام وهدفها هدم ثوابت القرآن والنيل من مصداقيته . وأن على المسلم الحقيقي عدم تصديق هذه الأكاذيب لأن الأرض كما جاء في القرآن منبسطة وليست كروية ! وهناك آية شهيرة لا أدري كيف لا يتوقف عندها المسلمون ويتفكرون فيما جاء بها من سذاجة مفرطة وهي الموجودة في سورة الكهف واعتاد الكثيرون - وكنت واحدة منهم - قراءة هذه السورة تحديدًا كل يوم الجمعة دون تفكر : " ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما " (الكهف 83 – 86) . وقد اتفقت رؤية المفسرين على أن ذي القرنين شهد بالفعل غروب الشمس في بئر ماء حارة أو مليئة بالطين ! ويحاول العلماء المعاصرون الخروج من هذا المأزق بلي عنق الآية وافتراض أن المقصود هو أنه " رآها " فقط , لكن الآية تؤكد بشكل صريح أنه " وجدها " . فلو كان الأمر مجرد رؤيته للغروب كأي شخص عادي فما الداعي لذكر ذلك في آية قرآنية كحدث جلل ؟ ولنقرأ أيضا من صحيح البخاري الحديث الشهير عندما سأل محمدا أبا ذر الغفاري : " ياأبا ذر أتدري أين تغرب الشمس ؟ ". قلت الله ورسوله أعلم . قال محمد : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش . فذلك قوله تعالى " والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم " !! (يس 38) فهل زوده الله بمعلومات خاطئة؟ أم تطوع هو بنفسه ليقدم المعلومة التي عجز الجميع عن معرفتها بشأن المكان الذي تختبيء فيه الشمس بعد غروبها ليؤكد أنها تبقى في وضع السجود تحت العرش انتظارا لاستكمال عملها في اليوم التالي ! وعندما تحاول البحث عن ردود منطقية على ماجاء في مثل هذه الآيات والأحاديث ستجد تبريرات تزيد الطين بلة ولا تقدم أي تفسير منطقي لهذه الهرطقات .. فقط مجرد الدفاع عما جاء في القرآن والأحاديث بشكل مُطلق وإن خالف العلم الحديث فيكون من باب أولى تكذيب العلم واعتبار العلماء مدلسون يهدفون للنيل من الإسلام وإعجازاته العلمية الخارقة !

ومن أبرز الكتب التي تناولت بالتفصيل كشف الأخطاء العلمية في القرآن هو كتاب العالم الدكتور وليم كامبل " القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم " والذي يذكر تفصيليا وبالأدلة العلمية تلك الأخطاء التي لن يتسع المجال لذكرها كلها هنا .

وإذا انتقلنا للأخطاء التاريخية فأول مالفت انتباهي أثناء قراءتي للعهد القديم ماذكر عن أخت موسى وهي مريم النبية التي وصفتها التوراة أيضا بأخت هارون وهي ابنة عمرام ويوكابد . فمن الواضح تماما خلط القرآن بين مريم أخت موسى وهارون ومريم أم السيد المسيح , لأن القرآن تحدث عن أم المسيح قائلاً : " ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا " (التحريم 12) وقال عنها أيضا : " ياأخت هارون ماكان أبوك امرأ سوأ وماكانت أمك بغيا " (مريم 28) فكيف وصفها القرآن بأخت هارون وابنة عمران في حين أن مريم أم المسيح لم يكن لها أخ يدعى هارون ولم يكن والدها يدعى عمران بل يواقيم . فهذا الخلط الواضح بين الشخصيتين بسبب تشابه اسميهما " مريم " يؤكد أن محمدا كان مطلعا من قبل على الكتاب المقدس لكن هناك بعض المعلومات قد اختلطت عليه .

كما أن القرآن أخطأ في قصة عبادة العجل ونسب الفعل إلى السامري في حين لم تكن هناك مدينة بعد في ذلك الوقت تسمى السامرة . حيث تذكر التوراة أنه عندما صعد موسى إلى جبل سيناء ليأخذ الشريعة من الله وأبطأ في النزول اجتمع الشعب على هارون وطلبوا منه أن يصنع لهم آلهة تسير أمامهم لأنهم لا يعلمون ماذا أصاب موسى . ولا يذكر الكتاب أن هارون احتج أو قاوم بل طلب منهم أن ينزعوا أقراط الذهب التي في آذانهم وأخذها منهم وصور بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكا . فقالوا هذه آلهتك ياإسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر . فلما رأى هارون ذلك بنى مذبحا أمامه . وعندما نزل موسى ومعه يشوع من الجبل ورأى هذا المنظر استشاط غضبا وألقى بلوحي الشريعة من يديه وكسرهما ثم أحرق العجل بالنار وطحنه ناعما . وأمر بني لاوي فقتلوا نحو ثلاثة آلآف رجل ممن تورطوا في هذا الأمر . كما ضرب الرب الشعب بالوبأ . وقد عاقب الرب هارون فيما بعد بأن حرمه من دخول أرض الموعد .

كما يذكر القرآن أيضا أن هامان هو وزير فرعون على الرغم من أن هامان كان في بابل وجاء بعد فرعون بنحو ألف سنة بحسب ماذُكر الكتاب المقدس . فقصة موسى وحياته وأحداثه ذكرت تفصيليا في التوراة ولم يذكر فيها هامان مطلقا بل ذكر بعد ذلك باعتباره وزيرا لأحشوريش ملك الفرس . وأيضا قصة الخضر ولقاءه بموسى لا وجود لها في التوراة التي لم تغفل أي حدث أو شخصية مهمة التقاها موسى.

أما قصة السيد المسيح في القرآن فتستحق مناقشتها تفصيليا . فالقرآن ذكر أن الملاك جبريل بشر السيدة مريم بأنها ستلد لكنه لم يذكر تفاصيل خطبتها من القديس يوسف النجار وإخبار الملاك له بأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس وزواجه منها تم ليكتمل الحمل بشكل طبيعي ويبدو أمام الناس أن الحمل جاء نتيجة زواجها، لأن اليهود لو كانوا قد اكتشفوا حمل مريم بدون زواج فكانوا سيرجمونها على الفور بتهمة الزنا وليس كما ادعى القرآن أنها حملت وعاشت وحدها وعندما جاءتها ساعة الوالدة ولدت تحت نخلة وناداها المسيح من تحتها طالبا منها أن تهز بجزع النخلة لتسقط عليها التمر لتتغذى منه ! فهل تستطيع امرأة وضعت طفلها وحدها للتو أن تهز بجذع النخلة وهي في حالة التعب والنفاس ! ثم إذا كان المسيح قد تحدث في المهد كما ادعى القرآن فلماذا لم تذكر تلك الحادثة الهامة في أي إنجيل ؟ فإن كان قد تكلم في المهد كان جميع اليهود سيدركون مقامه لأنه لم يسبق لطفل أن تكلم وهو لازال رضيعا وكانت ستتأكد نبوته وسيؤمن به الكثيرون لكن الإنجيل الذي ذكر حياة السيد المسيح ومعجزاته تفصيليا أكد أنه عاش حياة عادية حتى سن الثلاثين ، فلم يقم بأية معجزة أو يتحدث عن رسالته سوى بعد ذلك وهو ماجعل الكثيرون يتعجبون من ذلك بقولهم " أليس هذا هو ابن النجار ؟ أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا ؟ " فهذا دليل على أنه لم يذكر أحد أنه سبق وأن تكلم في المهد أو أنه ولد بدون أب وإلا لعلم الجميع بمثل هذه الغرائب . وحتى والدته الإعجازية بدون أب لم يعلم بها أحد سوى بعد قيامة السيد المسيح وبإرشاد الروح القدس تمكن كتبة الأناجيل من معرفة هذا السر الذي لم يكن من الممكن التصريح به أثناء حياة السيد المسيح على الأرض لأنه لم يكن أحد سيصدق ذلك , ولم يكن اليهود سيتركون السيدة مريم تكمل حملها دون زواج ولذلك جاءت مشيئة الله لحمايتها بأن تتزوج بيوسف ويعرف هو وحده السر ويقبل بأن ينسب له الطفل وأن يكون أبا له يربيه ويرعاه حتى يكبر ويأتي موعد رسالته . ولهذا وجدت أن قصة الإنجيل منطقية جدا ومرتبة على عكس القرآن الذي اقتطع أجزاء من القصة كما اقتبس أحداثا غير صحيحة من الكتب المنحولة التي انتشرت عند طوائف النصارى الذين سأشير إليهم بعد قليل . مثل قصة أنه يخلق من الطين كهيئة الطير فيكون طيرا بإذن الله . فلماذا لم تذكر هذه القصة في الإنجيل الذي ذكر كافة المعجزات تفصيليا ؟ لكن إذا عرفنا أن هذه القصة بالتحديد قد ذكرت

في إنجيل منحول أي غير معترف به من جموع المسيحيين وكان هذا الإنجيل موجودا فقط في الجزيرة العربية وأن القس ورقة ابن نوفل هو الذي ترجم هذا الإنجيل المنحول .. فهنا ربما نستطيع أن نفهم لغزا كبيرا لا يعرفه المسلمون للأسف . فالحقيقة أن النصارى ليسوا هم المسيحيون الحقيقيون وإنما هم الطوائف المبتدعة التي رفضت الأعتراف بقوانين الإيمان وبالإنجيل الكامل الذي تم الإتفاق عليه في المجامع المسيحية وقام البعض باتباع بدع وهرطقات حاربها المسيحيون فاضطرهؤلاء للهروب من الشام إلى شبه الجزيرة العربية واستقروا بها . وعندما كان محمد في رحلة بحثه عن الإله الواحد بعيدا عن معتقدات قريش التقى بورقة ابن نوفل ابن عم زوجته خديجة واطلع على العقيدة النصرانية التي كانت تؤمن بتعاليم الشريعة اليهودية وتلتزم بها ولها أناجيل خاصة بها لا تؤمن ببنوة السيد المسيح للآب ولا بموته على الصليب ، وإنما كانوا يؤمنون بأنه عندما رفع على الصليب شبه لمن كانوا ينظرون إليه أنه مات لكنه لم يمت حقيقة. وكان من بين النصارى طائفة تدعى المريميين الذين كانوا يؤلهون السيدة مريم ويضعونها في ثالوث مشترك مع الله والسيد المسيح ومن هنا جاء المفهوم المغلوط عن الثالوث الذي يقول عنه القرآن : " لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ومامن إله إلا إله واحد " (المائدة 73) وفي آية أخرى : " وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس أتخذوني وأمي إلهين من دون الله " ؟ (المائدة 116) فكأنما يؤكد القرآن أن كل المسيحيين يؤمنون بثالوث مكون من ثلاثة أشخاص مختلفين هم الله والمسيح ومريم . وهذا إفك واضح لأي شخص يطلع على العقيدة المسيحية عن قرب . فالمشكلة أن محمدا اطلع على عقائد النصارى الذين عاشرهم في الجزيرة العربية واستقى منهم معلوماته وتصوراته الخاطئة عن الديانة المسيحية كما نقل عنهم كراهيتهم للمسيحيين الحقيقيين الذين يؤمنون ببنوة السيد المسيح للآب التي أكدها مرارا , وصلبه الحقيقي وقيامته من بين الأموات في اليوم الثالث كما تنبأ هو بنفسه وأخبر تلاميذه أكثر من مرة أنه " ينبغي أن يسلم ابن الإنسان في أيدي أناس خطأة ويصلب وفي اليوم الثالث يقوم " (لوقا 24 : 7) وقد أكد تلامذته وكل من عايش هذه الواقعة صحتها وبأن السيد المسيح تحدث بنفسه أكثر من مرة وهو على الصليب .

وقد قام الإيمان المسيحي منذ بدايته على تلك العقيدة . فكما يقول القديس بولس " فإنني سلمت إليكم في الأول ماقبلته أنا أيضا . أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب , وأنه ظهر لصفا ثم للإثني عشر . وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمئة أخ أكثرهم باق إلى الآن . (كورنثوس الأولى 15 : 3 – 6) . فهل عرفتم من أين استقى محمد معلوماته المغلوطة عن المسيحية ؟ فلو كان القرآن من عند الله بالفعل فكان سيذكر الحقيقة وليس معتقدات طائفة مهرطقة اندثرت قبل قرون وبقيت المسيحية الحقيقية حتى يومنا هذا وبقي الإنجيل الحقيقي في أيدي المؤمنين ويتداول بكافة اللغات . ورغم ذلك لا يزال المسلمون يصرون على إطلاق لفظ " نصارى " على جموع المسيحيين دون علم بحقيقة هذا المصطلح وأنه لا يعبر عن المسيحيين الحقيقيين ولا عن عقائدهم .. ولا زال المسلمون يعتقدون بأن المسيحيين يعبدون ثالثة آلهة منهم السيدة مريم ! ولن يسعني المجال لذكر كافة الأخطاء التاريخية وسأترك لكم المجال للبحث عنها بأنفسكم . وسأنتقل للأخطاء اللغوية . فالقرآن يعتبره البعض معجزة لغوية بلاغية تضاهي أي نص كتب من قبل بتلك اللغة ويتباهى القرآن نفسه بأنه " بلسان عربي مبين " فماذا لو عرفنا أنه مليء بالأخطاء اللغوية ؟ .. فمثال " : إن رحمت الله قريب من المحسنين " .. أو لا يفترض أنها " رحمة " وليست رحمت, وقريب تعود على رحمة فيفترض أن تكون مؤنثة " قريبة " ." وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما " .. يفترض

أن تكون " اثني " . " لا ينال عهدي الظالمين " .. " الظالمون " لأنها في محل نصب فاعل " . والله ورسوله أحق ان يرضوه " .. " يرضوهما " ." لست عليهم بمصيطر " .. " مسيطر " . " ومايدريك لعل الساعة قريب " .. " قريبة " . " ثم قال له كن فيكون " .. " فكان " . " إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا " .. " شقيا " . " إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون " .. " والصابئين " . " هذا خصمان اختصموا في ربهم " .. " اختصما " . " وخضتم كالذي خاضوا " .. " كالذين " . " لن تمسنا النار إال أياما معدودة " .. " معدودات " . " والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء " .. " والصابرون " ..هذه بعض النماذج من الأخطاء اللغوية الواضحة . هذا بالإضافة لكون القرآن يحتوي على العديد من الكلمات بلغات أخرى لم تكن مفهومة المعنى لدى العرب في ذلك الوقت وحتى الآن واختلف عشرات ومئات المفسرين في فهم معناها الحقيقي ! كما دفعت تلك النقطة الكثيرون للهجوم على محمد واتهامه بسرقة القرآن من كتب الأولين وتعاون بعض رجال الدين النصارى معه . ومن بين الألفاظ الأعجمية في القرآن : طفقا : كلمة رومية معناها قصدا . الرقيم : كلمة رومية معناها اللوح . هدنا : عبرانية ومعناها تبنا . طه : عبرانية ومعناها طأ يارجل . سينين : عبرانية ومعناها حسن . المشكاة : حبشية ومعناها الكوة . كفلين : حبشية ومعناها ضعفين . جهنم : عبرية ومعناها النار . سجيل : بهلوية ومعناها الطين المتحجر . ماعون : عبرية معناها القدر . هذه فقط بعض الأمثلة على الكلمات الأعجمية . وأعلم أن البعض سيقول أن اللغات تتأثر ببعضها وأنه في كل لغة توجد كلمات من لغات أخرى لكن من الواضح أن الكثير من الكلمات الأعجمية لم يكن من الدارج استخدامها وجاءت غريبة على مسامع العرب , وهو الأمر الذي نلاحظه مع تضارب وتعدد تفسيرات المفسرين . كما أن إصرار القرآن نفسه على أن يؤكد أنه "بلسان عربي مبين " يبدو و كمن يحاول نفي تهمة .. حيث أثارت الكلمات الأعجمية الإنتقادات لمحمد متهمة أياه بسرقتها من الكتب اليهودية والنصرانية خاصة وأن معظم هذه الكلمات هي باللغات العبرية والآرامية والسريانية .

والنقطة الأخرى التي حار المفسرون في فهمها وتشكل لغزا لمن يقرأ القرآن هي الأحرف المقطعة في بدايات بعض السور مثل : " ألم .. حم .. ألمر .. كهيعص .. طسم .. ن .. ق " هذه الأحرف بالطبع لا تعني أي شيء لقارئها وحار المفسرون في تفسيرها فأرجعوا ذلك إلى الإعجاز الموجود في القرآن وأن المعنى عند الله وحده الذي قصد وضع طلاسم لن يتمكن بشر من فهمها لتكون دليلاً على صحة القرآن ! هذا هو التفسير العبقري لمن لم يتمكنوا من تبرير وتفسير وجود مثل هذه الحروف ؟ فما الحكمة من أن يضع الله ألغازا لن يفهمها من يقرأها ؟ وماهو الإعجاز في ذلك ؟ كما توقفت أيضا عند قضية نزول القرآن بسبعة أحرف واذا كانت الأحرف السبعة تعني اللهجات المختلفة للقبائل العربية كما يقولون ؟ وهل نزل القرآن ليخاطب القبائل العربية أم يفترض أنه صالح لكل زمان ومكان ؟ فاختلاف القراءة والتشكيل يغير معنى الكلمة بأكملها بل والمقصود بالآية ككل وهو مايدخل القراء في دوامة متضاربة من التفسيرات .. فهل من المنطقي أن ينزل الله الآية وهو يقصد بها أكثر من معنى لكي يثير حيرة المؤمنين ؟ !

كما أن قضية تنقيط القرآن هي الأخرى لم أجد لها تفسيرا .. فقد كان القرآن على أيام محمد خاليًا من التنقيط والتشكيل حيث لم يكن العرب يعرفون بعد في ذلك الوقت وضع الحركات والنقاط إلا بعد وفاة محمد بعشرات السنين . وحتى بعد أن جمع أبوبكر القرآن ونسخ في مصحف واحد في عهد عثمان كانت النقاط والتشكيل لم تعرف بعد , فكانوا يقرأونه على الأحرف السبعة وهو مايجعل كل شخص يفهمه على حسب المعنى الذي يصله من طريقة القراءة ! وهذا الأمر خلق بالطبع إشكالية كبيرة .. فكيف كانوا

يحفظون القرآن بدون تنقيط ؟ وكيف نوقن من أن الطريقة التي يكتب بها القرآن الآن تؤكد المعنى الذي قصده الكاتب بالفعل ؟ وفي الحقيقة فإن مثل هذه الإشكاليات لم يكشفها لنا أحد أثناء دراستنا للدين الإسلامي ولا يتحدث بها الوعاظ والدعاة في خطبهم , وأجزم بأن غالبية المسلمين لا يعلمون عنها شيئا , ولا يهتم الكثيرون بالبحث فيما وراء النصوص أو التفاسير فالمهم هو ختم العديد من الأجزاء من القرآن قراءة أو حفظا حرصا على الفوز بالكثير من الحسنات التي ستمكنهم من بناء العديد من القصور الفارهة في الجنة .

والنقطة الأخرى التي استوقفتني كثيرا هي ضرورة أن يقرأ القرآن باللغة العربية .. بالطبع هناك ترجمات بالعديد من اللغات لكنها تبقى مجرد ترجمات لمعانيه . أما من يرغب في قراءة وفهم القرآن خاصة بنية التعبد والحصول على الحسنات فعليه أن يفعل ذلك باللغة العربية فقط . فهو " نزل بلسان عربي مبين " ولكن ماذا عن غير العرب ؟ وكيف سيتعبد من يدخلون الإسلام بغير اللغة العربية .. هل عليهم أن يتعلموا تلك اللغة ليتمكنوا من ممارسة العبادات ؟! وهذا ماقادني إلى قضية هامة وهي أن الصلاة لابد وأن تقام كاملة باللغة العربية الفصحى حتى لغير العرب الذين لا يفهمون كلمة مما يقال . فهل من المنطقي أن يطلب الله ممن يصلي له أن يخاطبه بلغة لا يفهمها ؟ وكيف يكون هذا نوعا من التواصل ؟ ألا تعني كلمة الصلاة "الدعاء " فكيف أدعو ربي وأخاطبه بكلام لا أفهمه وبالتالي لن أعيه أو أشعر به ؟ كيف سيكون هناك خشوع في مثل تلك " الصلاة "؟

وما أكد لي هذا المعنى أنني كنت في زيارة أنا ومجموعة من الأشخاص إلى دولة غالبيتها من المسلمين لكنهم لا يتحدثون اللغة العربية , وعندما عرفوا أننا من دولة عربية فوجئت بهم يسألوننا بحماس : " وهل تفهمون الآيات والأدعية التي نقولها أثناء الصلاة ؟ لأننا لا نفهم إلا القليل ونقوم فقط بحفظ مايقال كما هو الحال مع بعض السور القصيرة لنرددها أثناء الصلاة لكننا في الواقع لا ندرك مانقول .. واعتبروا أننا محظوظون لأننا نتكلم نفس لغة القرآن ونستطيع فهم مايقال أثناء الصلاة . فهل المسألة بالحظ فعلاً ؟

والأمر الآخر متعلق بالتوقيتات .. فمواقيت الصلاة والصيام تختلف بالطبع من بلد لآخر .. ففي رمضان تختلف عدد ساعات الصيام بحسب موقع كل بلد وبالتالي نجد أن بعض المسلمين خاصة ممن يعيشون في الدول الإسكندنافية يضطرون للصوم الطويل جدا لفترة تقترب من العشرين ساعة نتيجة طول فترة النهار في بعض الأوقات بشكل كبير في حين يصوم باقي المسلمين عددا أقل بكثير من الساعات وتكون المسافة بين الصيام والسحور طويلة يتمكنون فيها من الأكل والشرب كما يريدون .. فماذنب هؤلاء الذين يعيشون في تلك الدول ؟ كما تظهر مشكلة أيضا عند استطلاع هلال رمضان أو الأعياد الكبرى .. حيث تختلف الرؤية من بلد لآخر وهو مايجعل هناك اختلافا دائما بين المسلمين في بداية الصوم أو الإحتفال بعيد الفطر , وحتى عيد الأضحى المرتبط بالحج يشهد أحيانا خلافات بسبب قضية رؤية الهلال .. وهو الأمر الذي لم يفكر به محمد في ذلك الوقت عندما كان المسلمون يتركزون في شبه الجزيرة العربية .

أما قضية الاقتباس من الديانات السابقة .. فقد قادني الله للبحث في الديانات الموجودة في الجزيرة العربية وقت ظهور الإسلام وأوصلني لمعلومات لم أكن أعرفها من قبل لكنها كشفت لي الكثير وأضاءت بصيرتي لأفهم حقيقة الإسلام . كانت الديانات الموجودة وقت محمد بخلاف عبادة الأصنام لدى قريش هي الحنيفية التي اعتقد أتباعها أنهم يؤمنون بدين إبراهيم , والصابئة الذين اتبعوا يوحنا المعمدان

والنصارى . كانت هذه هي الأديان الأكثر انتشارا إلى جانب اليهودية التي تركزت في يثرب . ومن الواضح أن محمدا منذ صغره كان يكره عبادة الأصنام ويميل إلى عبادة الإله الواحد خالق هذا الكون مما جعله يرفض من داخله عبادة الأصنام التي كانت هي السائدة في قريش , ومن الطبيعي أن يبدأ البحث عن الحق ويرغب في التعرف على الديانات الموجودة في مجتمعه , حيث كانت الكعبة مقرا لالتقاء أصحاب الديانات المختلفة الذين كانوا يحجون إليها ويضع كل منهم رموزهم الدينية بها , حتى قيل إنه كانت هناك أيقونة موضوعة في الكعبة تمثل السيدة مريم وهي تحمل ابنها الطفل يسوع . لكن من يقرأ القرآن بتمعن ويبحث في أحوال الجزيرة العربية وعقائدها وقت ظهور الإسلام سيلاحظ اهتماما خاصا من جانب محمد بالعقيدة الحنيفية التي ينسبها المؤمنون بها إلى النبي إبراهيم . وتظهر السور القرآنية المكية الأولى انتماء محمد إلى الحنيفية بشكل واضح وصريح في العديد من الآيات منها : " إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا ومأنا من المشركين " (الأنعام 29) " وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين " (يونس 104 - 105) ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وماكان من المشركين (النحل 123) . قالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وماكان من المشركين " (البقرة 135) فمن الواضح أن الإسلام بدأ كامتداد لما اعتبره محمد دين إبراهيم . وسنرى تأثير ذلك على الشريعة الإسلامية . فقد رفض الأحناف السجود للأصنام وأكل الميتة ولحم الخنزير وماذبح للأنصاب وكانوا يصلون باتجاه أورشليم . كما كانوا يعتكفون في المغاور والبراري وينقطعون للتعبد . وكانوا يطوفون بالكعبة ويحجون إليها . وكان من أبرز أتباع الحنيفية زيد ابن عمرو ابن نفيل . وذكر أنه كان يراقب الشمس فإذا زالت استقبل الكعبة وصلى سجدتين ثم يقول : " هذه قبلة إبراهيم . لا أعبد حجرا ولا أصلي له ولا آكل ماذبح له ولا استقسم بالأزلام وإنما أصلي لهذا البيت حتى أموت . وكان يحج فيقف بعرفة , وكان يلبي فيقول : لبيك لا شريك لك ولا ند لك . ثم يدفع من عرفة ماشيا وهو يقول : لبيك متعبدا مرقوقا " .

وهنا لابد وأن أشير لأمر غاية في الأهمية لا يعلم عنه أغلب المسلمون أيضا شيئا للأسف .. وهو أن أغلب طقوس الحج كانت موجودة قبل الإسلام عند الوثنيين . فالمسلمون يصرون على أنهم امتداد لليهودية والمسيحية والرسالات السماوية لكننا لا نعرف أيا من هذه الديانات قام بتقديس الكعبة وشد إليها الرحال للحج بل على العكس اقتصرت قدسية الكعبة فقط على العرب خاصة عبدة الأصنام من قريش والأحناف والصابئة , في حين قدس اليهود والمسيحيون أورشليم . فالكعبة في أيام محمد كان يحيط بها 360 صنما .. وعندما شرع الإسلام الحج كفريضة طلب من المسلمين أدائها بنفس الطقوس تقريبا التي كان يمارسها بها المشركين من قبل مثل السعي بين الصفا والمروة , والطواف سبع مرات حول الكعبة وحتى رمي الحجارة الصغيرة . وكانوا بعد انتهاء شعائر الحج يقصون شعورهم تعظيما لأصنامهم ثم يذبحون القرابين ويصنعون الولائم . كما كان المشركون يقومون بالتلبية أثناء الطواف قائلين : " لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه ومامك ". فقام المسلمون بحذف المقطع الأخير إلا شريك هو لك تملكه ومامك واستبدلوه ب " لبيك لا شريك لك لبيك . " فلماذا يتبع الإسلام ممارسات المشركين ويترك تقديس الأماكن التي قدسها أهل الكتاب ؟ ولماذا حول القبلة من أورشليم وهي أرض الله المقدسة كما أكدت ذلك كل الكتب التي سبقت الإسلام .. إلى الكعبة التي لم يقدسها أي مؤمن حقيقي من قبل ؟

وأعود لتأثر الإسلام بباقي الديانات التي كانت موجودة في الجزيرة العربية في ذلك الوقت لأجد أن طائفة الصابئة كانت من أكثر الطوائف والعقائد التي تأثر بها محمد في بداياته . فالصابئة ينتسبون ليوحنا المعمدان ويعتبرون أنفسهم أتباعه الحقيقيين . كما يتبعون آدم وشيت وإدريس ونوح وسام ابن نوح . فلو عرفنا أن للديانة الصابئية خمسة أركان هي التوحيد والتعميد والوضوء والصلاة والصيام الكبير والصدقة , وأنهم يؤمنون بأن النبي إدريس عرج به إلى السماء السابعة , وأن القرآن ضمهم لأهل الكتاب ومدحهم بقوله : " إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " (البقرة 62) أفلا يثير ذلك أية شكوك حول مقدار التقارب بين الإسلام والصائبة ؟

وبعد كل ماسبق ألا يبدو واضحا كل الوضوح تأثر محمد بالديانات التي كانت سائدة في مجتمعه واطلاعه على كافة الكتب المقدسة أثناء بحثه عن الإله الحق ؟ حتى لو كان أميا كما يقولون لكن من الثابت اختلاطه بالعديد من الشخصيات خاصة أثناء عمله بالتجارة وذهابه إلى الشام وإلى اليمن , واعتزاله بغار حراء كما كان يفعل الأحناف . وعلاقته القوية بورقة ابن نوفل ابن عم زوجته خديجة الذي كان أسقفا لمكة . وهنا سأتوقف تفصيليا عند قصة بداية رسالته وتفاصيل ما ظنه بالوحي السماوي وماكان يحدث له عند لقاء جبريل .

ينسب لورقة ابن نوفل - الذي كان ينتمي للنصارى وليس للمسيحيين - ترجمة مايسمى بإنجيل الطفولة من اللغة العبرية إلى اللغة العربية , وهو الإنجيل الوحيد الذي تحدث عن طفولة السيد المسيح وذكر قصة تحدثه في المهد والتي لم تذكر في أي إنجيل آخر . ومأأثار تعجبي في قصة الوحي .. أنه عندما ذهبت خديجة به لإبن عمها ورقة وأخبرته بما حدث معه في الغار أكد لهم نبوة محمد وأن الذي أتاه هو الناموس الأكبر الذي جاء إلى موسى وأنه نبي هذه الأمة . ثم أخبره بأنه سيؤذى وسيبتلى وبأنه لو كان لا يزال على قيد الحياة فسوف يسانده ويقاتل معه لكنه رغم ذلك لم يصبح من أتباعه ولا تعده المصادر الإسلامية من بين من أعلنوا إسلامهم ! والغريب ماجاء في حديث لعائشة يستوجب التوقف عنده , وهو حديث موجود في صحيح البخاري تقول فيه عائشة : " لم ينشب ورقة أن توفي حتى فتر الوحي ! " فماالذي يوحي به كلام عائشة وإلى ما أرادت التلميح ؟

وهنا سأعود لقصة لقاءه الأول المفترض مع الملاك جبريل .. ففي الكتاب المقدس ربما مئات اللقاءات بين أنبياء الله وبين الملائكة حتى وأن الكثيرون منهم كان يخاطبهم الله مباشرة . وبالطبع كان للموقف هيبة وتوتر لكنه سرعان مايزول بإعلان الملاك عن هويته وبأنه مرسل من قبل الله لكن ماحدث مع محمد أمر يدعو للتفكير بحق . فبحسب الروايات الإسلامية فإن محمدا اعتاد الاعتكاف في غار حراء للتعبد والتأمل في خلق الكون . وعندما كان في الأربعين من عمره أتاه الملاك جبريل على هيئة بشر فدخل عليه فلم يعرفه فقال له إقرأ فأجاب محمد : مأأنا بقاريء " لأنه كان أميا " فقام بضمه ضمة قوية أتعبته ثم كرر ذلك فقال إقرأ , فرد عليه محمد بنفس الإجابة, فكرر سؤاله مرة ثالثة ورد عليه نفس الرد فضمه ضمة أخيرة ثم قال له جبريل : " إقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم " (العلق 1 -5) . ولم يقل له من هو أو ماذا يريد منه وهو الأمر الذي أثار خوف محمد فذهب راكضا إلى بيته ودخل على زوجته خديجة وهو يرتجف وقال لها: "غطوني غطوني ". فطمأنته وهدأته وأخذت تعدد له خصاله الطيبة لأنه ظن أن من رآه كان شيطانا لكنها قالت له أن الله لا يمكن أن يتركه أبدا بسبب أعماله الصالحة . وأخذته وذهبت به إلى ابن عمها ورقة ابن

نوفل الذي قال له أن من رآه هو الملاك جبريل وأنه نبي وأن ماحدث معه هو نفس ماحدث مع موسى . وهنا تبادرت إلى ذهني العديد من التساؤلات ...

من المنطقي أن يخاف أي شخص من ظهور ملاك له حتى لو كان في هيئة بشر لذلك ألم يكن من الطبيعي أن يشرح له جبريل أنه ملاك من عند الله ويطمئنه ويبشره بالنبوة بدلاً من تركه في حيرة وخوف واضطراره للذهاب لورقة وهو الذي أخبره أنه لابد وأن يكون هذا هو الملاك جبريل ! فالغريب أن القرآن نفسه عندما روى قصة سماع موسى لصوت الله وخوفه مما سمع رد عليه الله قائلاً : " ياموسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون " (النمل 10) فلماذا لم يقل جبريل ذلك لمحمد ليهدئه ؟

النقطة الثانية التي توقفت عندها هي طلب جبريل من محمد ثلاث مرات أن يقرأ , والمفترض أنه لو كان ملاكا من عند الله سيعلم بأنه أمي لا يستطيع القراءة فلماذا يطلب منه أمرا يعلم مسبقا أنه لا يستطيع أن يفعله ؟! وإذا كان الهدف من طلبه هو إظهار أمية محمد وأن الله هو القادر أن يجعله يقرأ فلماذا لم تحدث له معجزة بعد هذه الواقعة ويجد نفسه فجأة وقد استطاع القراءة ؟ لم أستطع أن أفهم بالفعل عندما قرأت هذه القصة بتمعن وتدبر للمرة الأولى وليس بشكل عابر وتلقائي كما اعتدنا منذ الصغر عندما كانوا يرددون هذه القصة على مسامعنا دون أن تثير بداخلنا أية تساؤلات لأننا لم نكن وقتها نفكر فيما يقال لنا وإنما علينا فقط الإيمان دون تفكير أو تأمل أو طرح تساؤلات . المهم أن ماحدث بعد ذلك لابد وأن يثير الشكوك ولابد من التوقف عنده كثيرا .. حيث يروي البخاري عن عائشة قولها : " لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي . حتى حزن النبي فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال . فكلما أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال : يامحمد إنك رسول الله حقا. فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك . فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك !!!!!! " والغريب أنه رغم ورود هذه القصة في صحيح البخاري الذي يرى المسلمون أنه أصح كتاب بعد القرآن , ورغم أن عائشة هي التي روت هذه القصة إلا أن الكثير من العلماء يشككون بها لأنه لو صحت تلك القصة فإنها ستدل على خلل نفسي كبير وعلى تشكيك في قصة الوحي من الأساس . فكيف لنبي أن يحاول الإنتحار مرتين ؟ ولماذا يتركه الله في هذا الحال .. يظهر له ملاك على هيئة بشر بطريقة مخيفة دون أن يخبره بهويته أو بما يريده منه , ثم يتركه لفترة طويلة تجعله يقترب من الجنون وتساوره الشكوك ثم بعد ذلك يقرر الله أن يتحنن عليه ويرسل له جبريل ليمنعه من الإنتحار وليؤكد له أنه نبي ! فمن يقرأ الكتاب المقدس يجد مئات المواقف التي حدثت بين الأنبياء والملائكة لكنه لا يجد أمرا عجيبا كهذا .. فالله إذا اختار شخصا للنبوة وأرسل له ملاكا يكون واضحا في رسالته , ثم يتابع الرسائل السماوية ولا يتوقف بشكل فجائي وكامل ليثير الشكوك والمخاوف في نفس هذا النبي .

لكن محاولتي انتحار محمد ستقودنا للقضية المفصلية بشأن قصة النبوة هذه .. لكن أولاً علينا أن نقرأ ماكان يحدث لمحمد عندما يأتيه جبريل . فعن أبي أروى الدوسي قال : " رأيت الوحي ينزل على النبي وهو على راحلته فترغو وتفتل بيديها حتى أظن أن ذراعها تنفصم فربما بركت حتى يسري عنه من ثقل الوحي " وكان محمدا يقول : " كان الوحي يأتيني على نحوين .. يأتيني به جبريل فيلقيه علي كما يلقي الرجل على الرجل فذلك يتفلت مني ويأتيني في شيء مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي فذلك يتفلت مني " . وقالت عائشة : " وقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا " وعن أبي هريرة : " كان محمدا إذا نزل عليه الوحي صدع فيغلف رأسه بالحناء . " فهل سبق وأن سمع أحد عن أعراض كهذه حدثت مع أي نبي عند نزول وحي عليه أو لقاءه بملاك ؟

فإذا عرفنا أيضا ماقاله ابن اسحق في سيرته من أن محمدا كان يرقى من العين وهو بمكة قبل أن ينزل عليه القرآن , فما أصابه نحو ماكان يصيبه قبل ذلك . فكان يصيبه قبل نزول القرآن مايشبه الإغماء بعد حلول الرعدة به وتغمض عينيه وغطيطه كغطيط البكر . فقالت له خديجة : " أوجه إليك من يرقيك ؟ " قال : " أما الآن فلا . " وروي عن حليمة السعدية مرضعته أن زوجها قال لها عن محمد وقت أن كان صغيرا : " لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب بمس من الجن فألحقيه بأهله قبل أن يظهر به ذلك " .

إذا يمكننا أن نجمل الأعراض التي كانت تحدث له منذ طفولته في : تصبب العرق .. تبدل لون الوجه .. احمرار الوجه .. تتابع الأنفاس وترددها .. الغطيط .. انبعاث الأزيز ناحية رأسه .. ثقل الوزن .. الصداع . فماذا يقول الطب العصبي عن هذه الأعراض ؟

عادة ما يعاني مريض صرع الفص الصدغي بالتحديد من مثل هذه الأعراض التي لا تتوافق بأي شكل من الأشكال مع النبوة أو مع الظهورات الروحانية . وفي رأيي أن هذا مايفسر القصة كلها .. فأعتقد أن محمدا كان منذ صغره مريضا بالصرع وفي ذات الوقت كان لدية رغبة شديدة في الوصول لله مع رفضه عبادة الأصنام واطلاعه على الأديان الموجودة وقتها في الجزيرة العربية وخلواته المتعددة في الغار .. كل هذه الأمور أعتقد أنها أوصلته لوهم النبوة وتصور أن مايحدث معه من أعراض نفسية وعصبية هو دليل على نزول وحي سماوي عليه . وبرأيي أن محمدا كان شخصا واسع الإطلاع وشديد الذكاء وبه جوانب إنسانية جيدة أثارت احترام ومحبة الكثيرين له , لكن في فترة المدينة بعد ازدياد أتباعه بشكل كبير وازدياد غنائمه طغى عليه الجانب المادي والشهواني وتوسعت رغباته في القتل والقمع والرغبة في إلغاء كل المعارضين له والرافضين لإتباعه .. وقام بوضع نفسه في الآيات بشكل مساوي ومجاور تماما لله .

فهل يمكن أن يكون مليارات المسلمين على مدار الآلف والأربعمائة سنة قد وقعوا ضحية لشخص مريض عقليا ؟ وماذنب كل من قتلوا على يد المسلمين وكل هذه الكراهية التي تمت زراعتها على مدار قرون ؟ ليس لدي إجابة مع الأسف لكنني أثق أن لله حكمة إلهية في هذا الأمر , وأنه أعطى لكل شخص عقلاً ليفكر به ويتخذ الطريق الحق . لكن المشكلة أن أغلب المعلومات والقصص والأحاديث التي ذكرتها لا يتم مناقشتها عادة بشكل مفتوح ولا يتم تعليمها للطالب أو الحديث عنها في خطب الجمعة أو اللقاءات الدينية . لكن مع الإنفتاح المعرفي والثورة التكنولوجية ووجود كافة المعلومات على شبكة الإنترنت أتاح ذلك لملايين المسلمين الإطلاع على الكثير مما تم إخفاؤه وقرر الكثيرون البحث واطلعوا على الكتابات النقدية للإسلام وهو مأأدى لأكبر موجة خروج من الإسلام في السنوات الأخيرة خاصة في الدول العربية وعلى رأسها السعودية .. واعتنق الملايين المسيحية خصوصا مع ازدياد القنوات التبشيرية والمواقع التي قدمت الحقائق عن الديانة المسيحية التي تم تشويهها لقرون عدة . ولم يعد بالإمكان إخفاء النور الإلهي الذي يزداد سطوعا في الكثير من الدول وداخل الكثير من القلوب التي كانت تمتليء بالظلمة والكراهية.

وأتحول لقصة أخرى غاية في الأهمية . فربما تكون قد سمعت يوما عن الرواية الشهيرة " آيات شيطانية " للكاتب الباكستاني الأصل سلمان رشدي والتي أثارت غضب الكثير من المسلمين وقامت العديد من المظاهرات الغاضبة في الدول الإسلامية احتجاجا عليها بعد صدورها عام 1988 . وتلقى مؤلفها

سلمان رشدي الآلاف من رسائل التهديد بالقتل . كما أصدر الخميني فتوى تبيح دمه . فما قصة الآيات الشيطانية الحقيقية ؟ الرواية اقتبس الكاتب اسمها من واقعة مذكورة في العديد من كتب التراث الإسلامي وتحكي أنه ذات يوم كان محمد مجتمعا بعدد كبير من المشركين وكان معه بعض من أتباعه وتمنى أن يأتيه من الله مايقرب بينه وبين المشركين . فقرأ عليهم من سورة النجم : " أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ". فسجد المشركون عند سماعهم تمجيد محمد لآلهتهم اللات والعزى وفرحوا لأن محمدا لأول مرة يذكر آلهتهم بخير وقالوا : " ماذكرت آلهتنا بخير قبل اليوم . فسجد المسلمون والمشركون معا . وبلغ ذلك الأمر عامة الناس . وفي المساء تقول الروايات الإسلامية أن جبريل عرض عليه السورة فلما بلغ الجملتين اللتين ألقى بهما الشيطان عليه قال له جبريل : " ماجئتك بهاتين .. لقد تلوت على الناس مالم آتك به من الله عز وجل ". فقال محمد " : افتريت على الله وقلت مالم يقل ". فأوحى الله إليه : " وإن كادوا ليفتتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره , إذا لا تخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلاً " (الإسراء 73 - 74)لكنه بقي مغموما حزينا يلوم نفسه حتى أنزل الله عليه : " ومأرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله مايلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم " !!! (الحج 52)ورغم ورود هذه القصة في الكثير من المصادر الإسلامية الموثوقة إلا أن البعض يشكك في صحتها , لكنهم لا يقدمون تفسيرا واضحا عن سبب نزول هذه الآية الأخيرة . فكيف يسمح الله للشيطان بأن يضل أنبياءه ويوحي لهم بما يظنوه وحيا إلهيا , وبعد أن يقوموا بإلقاءه على الناس يعود الله بعد فترة لينفي أن ماقيل كان منه وإنما من الشيطان ! تعالى الله عن ذلك . فلم يذكر في الكتاب المقدس ولا مرة واحدة أن حدث أمر مثل ذلك مع أي نبي من الأنبياء . ثم ماالذي يؤكد أن هذا الأمر لم يحدث في غير هذه الآيات ؟ ومادليل أصلاً على أن جبريل هو من كان يأتيه وليس الشيطان ؟ فبحسب الإنجيل : " فإن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور " (كورنثوس الثانية 11 : 14)

والواقعة الأخرى التي تنفي نبوته ويؤكد علماء المسلمين صحتها هي تعرض محمد لسحر من شخص يهودي يدعى لبيد ابن الأعصم بحسب قولهم .. عمل له سحرا فصار يخيل إليه أنه فعل بعض الشيء مع أهله وهو لم يفعله . لكنهم يؤكدون أنه احتفظ بعقله وشعوره وتمييزه فيما يحدث به الناس ! لكنه أحس بشيء أثر عليه بعض الأثر مع نسائه . حتى قرر الله أن يرسل له جبريل ليخبره بما حدث , فبعث من استخرج هذا السحر من البئر . وأنزل الله عليه المعوذتين فقرأهما وزال عنه كل أثر لهذا السحر !ولا أدري كيف يسمح الله بأن يقع سحر على أحد أنبيائه يؤثر على قدراته العقلية ويجعله يتوهم ؟ ولماذا لم يرسل جبريل مبكرا فور وقوع هذا السحر ليخبره ويبطل أثره ؟ لماذا أشعر دائما في الإسلام أن هناك ازدحاما في الطريق بين السماء والأرض ؟ فالكثير من المواقف كانت تستلزم تدخلا سماويا سريعا , كما في حادثة الإفك التي خاض فيها البعض في عرض عائشة زوجة محمد وتركت المنزل وذهبت عند أبيها وظل هو حائرا في براءتها من شائعات طالتها عن علاقة غير شرعية جمعتها بصفوان ابن المعطل . حتى أن البعض ومنهم علي ابن أبي طالب طالبوه بتطليقها لكنه لم يستطع اتخاذ قرار مناسب لأنه لم يستطع التأكد من براءة زوجته وفي الوقت نفسه لم يتمكن من اتهامها صراحة . وتركته السماء حائرا حوالي الشهر حتى نزلت الآيات التي برأتها حسبما ذكر.

ومن الآيات التي توقفت عندها أيضا : " ومامحمد إلا رسول أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم " (آل عمران 144) . أفلم يكن الله يدري أية ميتة سيموتها محمدا وهل سيموت نتيجة مرض أو وفاة طبيعية أم سيقتله أحد ؟

الفصل السادس

المُسلمون بَعد مُحَمد

عادة ماكان الحديث عن أصحاب محمد محاطًا بهالة من القداسة والفضيلة . وعادة مايطلق المسلمون لقب " رضي الله عنه " على أي صحابي , فهؤلاء هم من سبقونا في الإسلام وناصروا النبي ورافقوه وكانوا على استعداد لبذل أموالهم وحتى أرواحهم لنصرة الدين . هذا ماتربينا عليه .. انتقاء المواقف الجميلة التي ترسم صورة شديدة القداسة عنهم، وإخفاء الأحداث والمواقف السيئة التي تكشف مالا يجب كشفه .

وأتذكر في إحدى حلقات الداعية الشهير عمرو خالد أنه أشار للفتنة الكبرى طالبًا من المسلمين عدم البحث عما حدث بها أو الاطلاع عما كُتب عنها خوفًا من أن تهتز الصورة الجميلة للصحابة الأجلاء ! لكن ومع توسعي في القراءات الإسلامية كانت تتكشف أمامي الصورة الحقيقية الصادمة للكثير من الشخصيات الإسلامية التي اعتدنا على تقديسها وتبجيلها .. فكلما قرأت في التاريخ الإسلامي ازددت دهشة من الفظائع التي ارتكبها أغلب من يطلق عليهم " العشرة المبشرين بالجنة " وغيرهم من كبار الصحابة . فمطامعهم في السلطة بدأت منذ اللحظة الأولى لوفاة محمد الذي تركه المسلمون لأكثر من يومين دون أن يقوموا بدفنه بسبب اجتماعهم في سقيفة بني ساعدة واشتعال الصراع والخلاف فيما بينهم بشأن أحقية أي جهة منهم في الخلافة.

فاعتبر المهاجرون أنهم آل النبي وعشيرته وأنهم الأحق بأن تكون الخلافة فيهم , فيما رأي الأنصار أنهم من نصروا النبي وآووه ومن معه من المهاجرين بعد هجرتهم للمدينة . وبعد صدام كبير مالت فرقة من الأنصار لتأييد تولي أبوبكر للخلافة ثم تبعهم باقي الأنصار , لتظهر مشكلة أخرى حيث غضب علي ابن ابي طالب وعمه العباس ومعهم الزبير ابن العوام من قرار بيعة أبي بكر معتبرين أن عليًا هو الأحق بالخلافة كونه ابن عم محمد وزوج ابنته . كما ساند الهاشميين عليًا باعتباره منهم . ومن هنا تغلبت مشاعر القبلية العربية على مشاعر الوحدة الدينية , حتى وصل الأمر لانقسام المسلمين إلى فرقتين حتى الآن هما السنة والشيعة حيث بدأ الانقسام فور وفاة محمد على الرغم من رضوخ عليّ فيما بعد لإجماع المسلمين وقيامه ببيعة أبي بكر .

أعلم بالطبع أن هناك من سيقول أن هؤلاء الصحابة هم بشر في النهاية ولهم نقائصهم . لكن مايروج عنهم دائما من فضائل وزهد في الدنيا يتنافى تمامًا مع ماحدث منذ اللحظة الأولى لوفاة محمد .. وعلى امتداد قرون شهدت الساحات معارك إسلامية راح ضحيتها مئات الآلاف من المسلمين فقط نتيجة للنزاع على السلطة . وأنا على يقين من عدم معرفة أغلب المسلمين بما جرى من أحداث الفتنة الكبرى والتي ولابد ستشكل صدمة لكل من يقرأ أو يسمع عنها للمرة الأولى . فالصورة الوردية عن أن المؤمنون كلهم أخوة وبالأخص الصحابة يساند بعضهم بعضا ويمتازون بالإيثار والمحبة والتآخي في الله ستتلاشى تماما عند معرفة الوقائع المريعة التي حدثت .

فبعد تولي عثمان ابن عفان الخلافة بفترة قصيرة قام بعزل أغلب الولاة الذين كان قد عينهم الخليفة السابق له عمر ابن الخطاب وكان مشهودا لهم بالكفاءة . وقام عثمان بتولية العديد من أقرباؤه وأصدقاءه من غير ذي الكفاءة والذين ثار ضدهم الناس وقاموا برفع الشكاوى عما ارتكبوه من مخالفات للخليفة عثمان الذي كان يغدق أيضًا على أقاربه من بيت مال المسلمين وهو ماأثار ضده الكثير من الإنتقادات .. حتى أن الصحابي الشهير أبي ذر الغفاري كان يستنكر عطايا عثمان لأقاربه ويتلوا من القرآن : " الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم" (التوبة 34) وكان يقول : "ويل للأغنياء من الفقراء " ، فضاق به عثمان وقام بنفيه حتى مات .

واشتدت المعارضة على عثمان حتى حاصره الكثير من المعارضين واقتحموا منزله وقاموا بقتله . وعندما تولى علي ابن أبي طالب الخلافة طالبه البعض بضرورة القصاص الفوري من قتلة عثمان وكان على رأسهم طلحة ابن عبيد الله والزبير ابن العوام ومعاوية ابن أبي سفيان وعائشة بنت أبي بكر . ووصل الخلاف إلى خروج جيشان يتقاتلان أمام جمل عائشة التي وقفت في الطرف المناوىء لعلي وحرضت المسلمين على القتال ضده .. فلم تنس له مطالبته لمحمد بتطليقها وقت حادثة الإفك . ويقال أنها في أواخر أيامها ندمت على خروجها في تلك الموقعة التي نتج عنها مقتل أكثر من سبعين ألف مسلم .

وأعلم تمامًا أنه سيقول قائل أن المسيحيين قد تقاتلوا فيما بينهم ربما أكثر من المسلمين وأن الطوائف المسيحية عانت من الفرقة ومن المذابح والتكفير .. ولا أنكر ذلك بالطبع لكنني أتحدث عن أتباع المسيح وتلامذته وعن محمد وتلامذته لأن هؤلاء يُفترض بأنهم الصفوة والأكثر تأثرًا بتعاليم معلمهم . فتلامذة السيد المسيح حدثت أيضا بينهم خلافات كالخلاف الكبير الذي وقع بين بطرس وبولس حول تطبيق شريعة موسى وهو ماأدى لافتراقهما لكن دون تنابذ أوتقاتل أوتقسيم للمؤمنين لفريقين يقاتل كلٍ منهما الآخر .

والحقيقة أن مجرد المقارنة بين أتباع السيد المسيح وأتباع محمد تكشف الكثير وتؤكد ماقاله السيد المسيح في خطبة الجبل : " احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان وهم من داخل ذئاب خاطفة . من ثمارهم تعرفونهم . هل يجتنون من الشوك عنبًا أو من الحسك تينًا ؟ هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارا جيدة وأما الشجرة الردية فتصنع ثمرا رديا . لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارا ردية ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارا جيدة . كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تُقطع وتلقى في النار . فإذا من ثمارهم تعرفونهم " (متى 7 : 15 – 20) ففي كل دين يوجد الصالح والطالح بالطبع لكن العبرة بما يفعله الالتزام بتعاليم هذا الدين .. هل يجعل الإنسان أكثر صلاحا ورحمة ومحبة أم أكثر قسوة وبغضة ؟

فهناك من الصحابة وعلماء الإسلام ومن عامة المسلمين شخصيات نبيلة تحب الخير وتكن محبة وخشية لله، لكن كم تبلغ نسبتهم بين هؤلاء الذين يمتلئون بالكراهية والتعصب والإدانة للغير ؟ في المقابل إقرأ سير القديسين لتعرف معنى الإيمان الحقيقي الذي يجعل صاحبه أكثر نقاء ومحبة حقيقية للغير واستعدادا للخدمة ولبذل كل شيء ليس فقط للمؤمنين وإنما للأعداء ولغير المؤمنين حتى وإن كان سيواجه في المقابل الإضطهادات والضيقات التي قد تصل للقتل .. فلن يمسك القديس سيفا ليدافع عن نفسه أو حتى عن دينه ولا عن ربه إن تعرض للتجديف والإهانة، بل سيقابل كل ذلك بالسلاح الوحيد الذي تعلمه من سيده وهو على الصليب .. سلاح المحبة والغفران الذي جعله يصلي من أجل أعداءه الذين صلبوه وأهانوه وأذاقوه كافة انواع العذابات طالبا لهم المغفرة من أبيه السماوي .. " ياأبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون " (لوقا 23 : 34)

وأعود لما حدث بعد وفاة محمد ولابد وأن أتوقف عند حروب الردة بقيادة الخليفة أبوبكر الصديق . فبعد وفاة محمد ظهرت حقيقة إيمان القبائل التي ارتد الكثير منها عن الإسلام .. وهو دليل واضح على أن دخولهم في الإسلام لم يكن إلا خوفًا من محمد أو طمعا في الانضمام للدين الذي نجح في السيطرة على مكة وإخضاع القبائل له فسارعوا في الدخول في دين الله أفواجا . لكنهم سرعان ماأظهروا نواياهم الحقيقية بعدم الاقتناع بهذا الدين ورفضوا دفع الزكاة لبيت المال معتبرين أنها مجرد إتاوة يجب إلغاؤها وهو ماكان يعني خروجهم عن السلطة الحاكمة. الأمر الذي جعل أبوبكر يصمم قائلاً : " لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة " و " والله لو منعوني عقالاً لقاتلتهم على منعهم " وكان يقول : " أينقص الدين وأنا حي ". فجهز عددا من الألوية العسكرية بقيادة خالد ابن الوليد وعمرو ابن العاص وعكرمة ابن أبي جهل وخاضوا قتالاً موسعا ضد تلك القبائل حتى اضطروا للعودة إلى الإسلام والرضوخ لسلطة أبو بكر بعد مقتل عدد من زعمائهم . ولا أفهم كيف يتفاخر المسلمون بالإبقاء على الناس داخل دين لا يقبلونه ولا يؤمنون به إيمانا حقيقيا فقط خوفا من السيف ؟ وهل هناك وصف آخر لذلك سوى الإرهاب ؟ أن تجبر أحدا على فعل ماتريد تحت تهديد السلاح ! لكن أبوبكر ومن معه كانوا يعلمون جيدا أنهم لو تركوا حركة الردة دون مواجهة فسينتهي الأمر بانتهاء الإسلام في أسرع وقت . وهو ماكان سيحدث بكل تأكيد لولا حروب الردة والتي تبعتها الغزوات التي يطلقون عليها لقب " فتوحات " بقوة السيف وتخيير أهل البلدان إما الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو القتل . فسارع الكثيرون لاعتناق الإسلام خوفا من الأمرين , في حين قرر البعض من المقتدرين دفع الجزية والبقاء على دينهم , واستشهد البعض الآخر رفضا لترك دينه وعدم قدرته المالية على دفع الجزية . فمقولة " الإسلام انتشر بحد السيف " هي أكثر مايثير غضب المسلمين الذين يسارعون بمجرد سماعهم لها على نفي ماحدث وتأكيد أن كل البلدان التي دخلت في الإسلام سارع أهلها بقبوله عن قناعة تامة .

ولا يمكنني أبدا من باب الأمانة أن أنفي أن هناك من اعتنق الإسلام عن قناعة وإيمان حقيقي وله مطلق الحرية في ذلك . وأعلم أن هناك من سيقول إذا كان الإسلام قد انتشر بالسيف فلماذا يعتنق البعض هذه الأيام الدين الإسلامي رغم عدم وجود حروب أو ضغوطات حتى بات الإسلام يقترب من كونه الدين الأول في العالم من حيث الإنتشار ؟ والإجابة في رأيي أن هناك من يمتلك صورة شديدة السطحية والسلبية عن الإسلام وعندما يخبرهم أحد ببعض الحقائق " الجيدة " في هذا الدين يتفاجئون ويظنون عند قراءتهم السطحية المبدئية للإسلام أنه الدين الحق المعتدل المليء بالفضائل وبالشريعة السمحة المتكاملة لكنهم لا يطلعون عادة - خاصة في البدايات - على الكثير من الحقائق والنقاط كالتي ذكرتها سابقا فيقرر بعضهم عند معرفتهم فيما بعد بتلك الأمور ترك الإسلام وهو مارأيته بالفعل قد حدث مع الكثير من الأشخاص ربما بعد سنوات من اعتناقهم للإسلام . لكنهم لن يستطيعوا فعل ذلك بالطبع إلا إذا كانوا يعيشون في مجتمعات غير إسلامية وإلا فستكون تهمة الردة جاهزة في انتظارهم .. فاعتناق الإسلام متاح للجميع لكن لا يُسمح لأحد بالخروج منه وإلا فسيكون القتل هو المصير المنتظر إلا ما ندر.

وتنقل كتب التراث عن خالد ابن الوليد أن أبا بكر الصديق وجد في بعض نواحي العرب رجلين يمارسان الشذوذ فاستشار باقي الصحابة فأشار عليه علي ابن طالب بأن يحرقوا بالنار . فاتفقوا على إحراقهم . فكتب أبو بكر إلى خالد أن يحرقوا فأحرقهم , كما أحرقهم عبد الله ابن الزبير في خلافته ثم حرقهم هشام ابن عبد الملك . ويذكر الطبري أن أبوبكر قام بإحراق شخص يدعى الفجاءة لأنه قام بخداع

المسلمين .. فأوقد له نارا في مصلى المدينة على حطب كثير ثم رمى به فيها مقموطا . وقيل أن أبا بكر ندم على هذه الفعلة وقال " وددت لو لم أحرق . "

كما روي عن علي ابن أبي طالب أنه أحرق بعض من ادعوا الألوهية وذلك بعد أن استتابهم حتى يرجعوا عن قولهم فأبوا . فأمر بحفرة فأضرمت فيها النار ثم أحرقهم فيها . وقد بلغ ذلك ابن عباس فأنكر عليه الحرق للنهي عنه . وقد روى البخاري تلك القصة ونقل عن ابن عباس قوله " لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبي قال لا تعذبوا بعذاب الله " . وتتهم العديد من المصادر الإسلامية خالد ابن الوليد أيضا بأنه قام بإحراق المرتدين حيث أوثقهم وأحرقهم بالنيران وقذفهم بالحجارة ورمى بهم من الجبال ونكسهم في الآبار !! فهل عرفتم الآن المبررات التي استندت عليها داعش عند قيامهم بإحراق الطيار الأردني " معاذ كساسبة " عام 2014 بعد أن سقطت طائرته الحربية على شمالي سوريا أثناء قيامه بمهمة عسكرية على مواقع داعش . وقاموا وقتها بتوثيق جريمتهم وتصويرها بالصوت والصورة ليشهدوا العالم على بشاعة جرائمهم . وتعالت وقتها الأصوات الإسلامية منددة بالجريمة ومبرئة الإسلام من جرائم داعش .. لكن ماذا عما فعله هؤلاء الصحابة ؟ وهل يمكن إثبات عدم صحة هذه الوقائع في ظل تعددها وذكرها في العديد من المصادر الإسلامية ؟

وماذا عن الواقعة البشعة التي ارتكبها محمد نفسه والتي ذكرت في صحيح مسلم عندما قامت مجموعة بسرقة أغنام المسلمين وارتدوا عن الإسلام بعد أن زعموا الإيمان فبلغ ذلك محمدا فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وأحرق أعينهم بالنار ثم تركهم في الصحراء حتى ماتوا !! ولمن يستنكر أن تكون مثل هذه الحوادث البشعة قد حدثت بالفعل من قبل محمد وأتباعه ويحاول إضعافها ونفي صحتها أقول .. ألا يتفق ذلك مع ماشرعه القرآن نفسه عندما قال : " إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض . ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم " (المائدة 33) . فليتكم تقرأون فقه الجماعات المسلحة وستكتشفون أن كل مايرتكبونه من جرائم بشعة له أساس من القرآن أو الأحاديث الصحيحة أو كتب التراث والتاريخ الإسلامي .

هؤلاء هم المسلمون حقا الذين درسوا جيدا هذا الدين واتبعوا تعاليمه بحق وليس عامة المسلمين الوسطيين الذين ينفون عن الإسلام تهمة الإرهاب والوحشية فقط لأنهم لم يقرأوا دينهم جيدا ولم يتوسعوا في دراسته .

فهل تعلم أيها القاريء سبب ظهور الجماعات الإسلامية المسلحة وتاريخ ظهورها ؟ السبب هو سقوط الخلافة الإسلامية عام 1924 وانتهاء الجيش الإسلامي الذي كان منوطا به حمل راية الجهاد واستكمال الفتوحات . فبعدما سقطت الخلافات بدأت جماعات من المسلمين ترى بأن عليها استلام راية الجهاد واستكمال مسيرة الحرب المقدسة ضد غير المؤمنين لأن هذه كانت وصية قرآنهم : " قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة " (التوبة 36 ..)كما قال رسولهم : " ليبلغن هذا الأمر مابلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل , عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل به الكفر " .

وأحيانا كنت أظن أن العنف والوحشية مرتبطان بالبيئة العربية القبلية الجافة . لكنني لاحظت أن الأمر غير متعلق بالبيئة بل بتعاليم الإسلام نفسه والدليل أننا سمعنا عن الكثير من الحوادث الإرهابية

حول العالم أتى مرتكبيها من خلفيات ثقافية مختلفة لكنهم يتشاركون فقط في الدين . ومنهم مسلمون جدد من أوروبا ومن اندونيسيا وماليزيا وروسيا وغيرها . ونظرة إلى الحركات الإرهابية الأشهر حول العالم الآن تكشف لنا الكثير .. فمن داعش العالمية إلى بوكو حرام النيجيرية إلى جماعة أبوسياف في الفلبين والجهاد الإسلامي في مصر سابقا وتنظيم القاعدة وجماعة الشباب الصومالية وتنظيم بيت المقدس وغيرها الكثير والكثير حول العالم .. تعددت الأسماء والجنسيات لكن يبقى الفكر الإسلامي واحدا ينجح في ملأ قلوب أتباعه كراهية وظلمة ونارا طالت شرارها أتباعه أنفسهم الذين كفروا بعضهم بعضا وقاتلوا بعضهم البعض بل ووصل الأمر أن قاموا بهدم كعبتهم المقدسة بأيديهم ...

ففي عام 64 هجرية قام يزيد ابن معاوية بحصار مكة لتحصن عبد الله ابن الزبير فيها .. فحاصروه وقاتلوه ورموه بالمنجنيق , واحترقت من شرارة نيرانهم أستار الكعبة وتهدم سقفها . فقام ابن الزبير بعد ذلك بهدمها وإعادة بنائها من جديد . وفي عام 73 هجرية خرج جيش بقيادة الحجاج ابن يوسف لإخضاع أهل مكة لخلافة ابن مروان وأخذوا يرمون بالحجارة والمنجنيق في كل مكان , فأصابت الكعبة فتهدم جزء منها . وفي عام 317 هجرية هاجم القرامطة مكة التي كانت تتبع الخلافة العباسية وانتزعوا الحجر الأسود من الكعبة , كما انتزعوا بابها وارتكبوا أعمالاً دموية بشعة فقتلوا من الحجاج حوالي ثلاثين ألفا . وعادوا ومعهم الحجر الأسود ووضعوه في كعبة بديلة في منطقة الإحساء ليحج إليها الناس . وبقي الحال هكذا مدة اثنين وعشرين عاما , حتى هددهم الخليفة العزيز بالله الفاطمي أن يبعث لهم جيشا ليعيد الحجر الأسود . فخافوا وقاموا بإعادته إلى مكة .

وفي عام 1979 وقعت حادثة بشعة بالحرم المكي عندما اقتحم شخص يدعى جهيمان العتيبي وبعض من أتباعه الكعبة وقاموا باحتلالها بعد أن رأى في المنام أنه المهدي المنتظر . وقاموا بإدخال ذخيرة وقنابل انفجرت منهم قنبلة في شخص آخر كان المساند الرئيسي له , حتى نجحت قوات الأمن في القبض عليه، وفض الإعتصام المسلح بالكعبة بعد سقوط العديد من القتلى .

مقتل الحسين ومعركة الخلافة مع يزيد ابن معاوية

يعد مقتل الحسين حفيد محمد من أبرز الحوادث في التاريخ الإسلامي التي لا زالت آثارها باقية في وجدان المسلمين الذين لا يزالون حتى اليوم يتباكون على مقتل الحسين واعتباره سيد الشهداء لكن كثيرون منهم لا يعلمون السبب وراء مقتله أو من الذي قام بقتله . فهل يعلم المسلمون أن مقتل الحسين جاء نتيجة طمعه في الخلافة ؟ فقد رفض مبايعة يزيد ابن معاوية خليفة للمسلمين حيث كان يرى أنه أحق بها كونه حفيد الرسول وإبن للخليفة علي ابن أبي طالب .. وكان الخلاف بينهما قديما بسبب صراعهما على الزواج من امرأة شديدة الجمال كانت تدعى زينب بنت إسحق وكانت زوجة لوالي العراق , حيث وقع يزيد في غرامها فقام والده معاوية بحيلة ليطلقها من زوجها ليتزوج بها ابنه لكنها عندما علمت بذلك رفضت الزواج منه ..

وعندما علم الحسين بتلك القصة طلبها للزواج فاختارته لفضله ونسبه كحفيد للرسول وهو ماأثار غيرة وغضب يزيد رغم أنها بعد فترة طلبت الطلاق من الحسين وعادت لزوجها . ثم بعد ذلك جاء أمر خلافة يزيد الذي عمق الصراع بينهما على السلطة .. فبعدما أوصى معاوية بمبايعة ابنه يزيد خليفة قبل وفاته رفض أنصار الحسن والحسين البيعة لكن الحسين طلب منهم الهدوء حتى يموت معاوية . إلا أن الحسن قام بالمبايعة وهو ماأغضب الحسين حيث كان يرى ضرورة القتال , لكنه كظم غيظه وقام بمبايعته لكن أنصاره قاموا بمراسلته طالبين حضوره إلى الكوفة ليبايعوه . فشعر أن هناك رغبة كبيرة من الناس في اختياره .. لكن وبحسب ابن كثير فقد حذره الكثيرون من خروجه للكوفة وأمروه بالمقام بمكة وذكروه بما حدث لأخيه وأبيه معهم . لكن طمع السلطة أعمي عينيه وجعله يغامر ليس بحياته وحده بل بحياة أهل بيته أيضا من نساء وأطفال .. فقد تم قطع رأسه وأرسلت نسائه وصبيانه كسبايا ليزيد . وعندما دخلت فاطمة بنت الحسين على يزيد قالت له : "يايزيد .. أبنات رسول الله سبايا ؟ " لكن بعض الروايات الإسلامية السنية بالطبع تذكر أن يزيد بكى عندما حمل إليه برأس الحسين ونفى أن يكون قد طلب قتله ودعا له بالرحمة ! فهل بعد ذلك يعتبر الحسين شهيدا ومغدورا به ؟ فإن كان جميع من حوله قد حذروه بأنه سيقتل وبأن في الأمر مكيدة ورغم ذلك صمم على المغامرة بحياته وحياة أهل بيته فيفترض أن يتحمل مسئولية ماحدث .

إن تفاصيل تلك الحادثة وماسبقها من الحوادث التي ذكرتها كانت صادمة بالنسبة لي .. فكنت قد اعتدت منذ صغري على رسم صورة وردية للنبي ولأصحابه وآل بيته .. لكن التفاصيل التي اكتشفتها بعد توسعي في القراءة في الكتب الإسلامية نفسها وليس في الكتب الناقدة الإسلام كشفت عن كم من العنف والدموية ليس فقط من جانب المسلمين ضد أعدائهم وإنما ضد بعضهم البعض . ويشهد على ذلك كم الحروب والصراعات والاغتيالات في التاريخ الإسلامي بين صحابة محمد, وحوادث اغتيال الأخ لأخيه والابن لأبيه طمعا في السلطة . حتى الحسين حفيد محمد نفسه قتل نتيجة أطماعه في السلطة ورغم ذلك لا يزال المسلمون يتباكون عليه حتى اليوم ويعذب الشيعة أنفسهم ضربا بالجنازير في ذكرى مقتله يوم عاشوراء ! فبمن يقتدي المسلمون ؟ وكيف لهم أن يحبوا بعضهم البعض بل وأن يحسنوا معاملة غيرهم إن كان تاريخهم ومثلهم العليا على هذا القدر من الدموية ؟

ولكن ورغم كل ماسبق فلابد وأن أعترف أن بالإسلام الكثير من التعاليم الحسنة وأنني اكتسبت الكثير من السلوكيات الجيدة فترة إيماني به والتي بقيت معي حتى الآن .. فالاعتراف بالحق فضيلة . وأنا

أنزعج بالفعل ممن لا يجدون في الإسلام شيئا حسنا , ويقومون فقط بالهجوم الدائم وكأن الإسلام لا يحتوي على أية أخلاقيات حسنة . فالإسلام دين متكامل ينظم شؤون حياة أفراده ويهتم حتى بأدق تفاصيل الحياة والمعاملات حيث يضع تشريعا لكل شيء . ويؤمن بالقيامة والحساب والجنة والنار وتحريم الزنا والسرقة والكذب والحث على بر الوالدين وصلة الرحم وإكرام الفقراء والتصدق والصلاة والصوم والبعد عن الغيبة والنميمة .

لكن مهلاً .. ألا توجد نفس هذه المحرمات في الأديان الأخرى كاليهودية والمسيحية ؟ بل وحتى الكثير من الديانات الأرضية كالبوذية والكونفوشيوسية والبهائية تذخر بالفضائل وتحث أتباعها على الأخلاق الحسنة لكنها لا تأمرهم بقتال غير المؤمنين بدينهم أو قتل من يرفض اتباعهم .

وهنا سيرد علي البعض .. وماذا عن الحروب الصليبية والحروب التي شنها أصحاب الديانات المختلفة على بعضهم البعض وعلى المسلمين ؟ والإجابة أن هذا حدث بالطبع والتاريخ يزخر بالحروب التي استغل من قام بها الشعارات الدينية لمهاجمة الآخرين .. لكن الفيصل هو الأساس الديني الذي تستند إليه هذه الحروب .. فهل توجد لديهم نصوص دينية كالموجودة في الإسلام تبيح القتل واستخدام السيف واستباحة النساء والأموال ؟ أعلم أيضا أن هناك من سيقول بأن التوراة مليئة بالحروب , لكن ماتوصلت إليه بالبحث أن ذلك حدث لفترة معينة ولعهد معين ثم جاء السيد المسيح بمبدأ " كل من يأخذ السيف بالسيف يهلك " ومبدأ محبة الأعداء ومن ضربك على خدك الأيمن فأدر له الآخر أيضا . وألغى تمامًا مبدأ القصاص . فلا يوجد أساس مسيحي واحد يبرر القتال ولو حتى دفاعا عن النفس . وهناك الكثيرون ممن استشهدوا في المسيحية لم يحاولوا أبدا الدفاع عن أنفسهم أو الانتقام لشهدائهم . ومن فعل ذلك كان من منطلق متعصب وبحثا عن مكاسب ومنافع دنيوية بحتة . ولهذا اعتذرت الكنيسة الكاثوليكية قبل سنوات عن الحروب الصليبية . لكننا مع الأسف بشر ويغلب على الكثير منا الانجذاب للشهوات والمطامع الدنيوية . وليس كل من ولد مسيحيا سيعترف به السيد المسيح الذي قال : "ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السموات ولكن من يفعل إرادة أبي الذي في السماء . كثيرون سيقولون لي في ذلك الوقت يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة عندها أصرح لهم إني لم أعرفكم قط إذهبوا عني يا فاعلي الإثم . (متى 7 : 21 – 23)

فالمشكلة إذن ليست في أن الإسلام يخلو من التعاليم الحسنة أو الفضائل الطيبة وإنما المشكلة في التناقضات الموجودة والعنف الذي أسفر عن وقوع ملايين القتلى على مدار الأربعة عشر قرنا الماضية وفي عصرنا الحالي في ظل أساس قوي من التشريع الديني . إلى جانب صناعة الكراهية والتعصب الأعمى ضد غير المسلمين الذين عانوا أشد المعاناة خاصة من اضطروا للعيش تحت الحكم الإسلامي . وهنا أيضا لابد من الإعتراف والتأكيد على أن ليس كل المسلمين إرهابيين أو متوحشين أو مستعدين للقتل بل على العكس فالكثير من المسلمين خاصة في عصرنا هذا يلجأون للتفاسير الحديثة ولواقع العصر ويعتبرون أن الإرهاب لا يمثل الإسلام . والغالبية تُحسن معاملة غير المسلمين ويحرصون حتى على تهنئتهم بأعيادهم رغم وجود العديد من الفتاوى التي تحرم ذلك . لكن المشكلة من وجهة نظري تكمن في كل النقاط التي ذكرتها في هذا الكتاب والتي جعلتني على يقين من أن محمدا لم يكن نبيا موحى له من قبل الله . وهذه قناعتي الشخصية التي أنا على استعداد للموت في أية لحظة وألقى الله وأنا على إيماني بها . وحتى وإن كنت لم أعتنق المسيحية فكنت حتما سأترك الإسلام بسبب كل ماعرفته . لكنني أحمد الله كثيرا أنه لم يمر علي وقت كنت فيه لا دينية أو وصلت للإلحاد أو التشكيك في الله رغم أنني لا أنكر أن من حق

أي أحد أن يشك في أي شيء وكل شيء حتى في وجود الله نفسه ويسعى لكي يصل إلى اليقين حتى يكون إيمانه عن قناعة تامة وليس عن خوف أو اتباع لعادات وتقاليد ونظام مجتمعي لأن هذا مايريده الله منا. لهذا سيُحَاسب كل منا بمفرده أمام الله وليس مع والديه أو مع زوجه . فلكل منا عقله ورحلته الخاصة للوصول إلى الله والأهم من استخدام العقل هو الدعاء بأن يرشدنا الله إلى الحق لأنه وحده من يعلمه ووحده القادر على هدايتنا وإنارة أبصارنا . فالكل يعتقد نفسه على الحق لكن وحده الله من يعلم . فاسألوا تعطوا .اطلبوا تجدوا اقرعوا يُفتح لكم . لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له . وتعرفون الحق والحق يحرركم .

الفصل السابع

لماذا أيقنت أن المسيح هو الطريق والحق والحياة ؟

ذكرت من قبل خواطري حول المرة الأولى التي قرأت فيها الإنجيل وكنت لازلت في التاسعة عشر من عمري , ثم حرصي على قراءة خطبة الجبل من حين لآخر واعتبارها بمثابة التعاليم الأسمى التي حرصت على محاولة تطبيقها في حياتي اليومية رغم استمراري في الإيمان بالعقيدة الإسلامية وتطبيق الفروض .. حتى قراري وأنا في الثالثة والثلاثين بالبحث جيدا والدعاء إلى الله بأن أصل إلى يقين بشأن الطريق الوحيد إلى الله . وماحدث معي عندما اتخذت النية الصادقة للوصول للحق أنني وذات يوم سمعت صوتا بداخلي يقول لي نصا : " طهري قلبك أولاً حتى يتمكن النور من الدخول إليه " وأدركت على الفور أن علي أن أنقي قلبي من كل ضغينة تجاه من قاموا بإيذائي ولم أستطع مسامحتهم رغم أنني كنت أظن أني غير مخطئة لأنني الطرف المظلوم فكنت أحيانا أقول " حسبي الله ونعم الوكيل " عندما أتعرض للظلم وأطلب من الله أن يأخذ لي حقي يوم القيامة من كل شخص آذاني حتى ولو كان من المقربين . وكنت أظن أن هذا حقي .. لكن هذا الإلهام الداخلي العجيب الذي حدث معي للمرة الأولى جعلني أدرك على الفور أن هذه ليست إرادة الله لنا أن نطلب القصاص لأنفسنا .. فحتى وإن كنا مظلومين لكن الله يريد منا أن نسامح حتى من تعمدوا إيذائنا كثيرا ولم يطلبوا السماح .. فالله بالفعل يريد منا أن نحب أعدائنا وأن نبارك لاعنينا ونحسن إلى مبغضينا وهو الأمر الذي لم أتعلمه من الإسلام . فمبدأ العين بالعين والسن بالسن والدعوة على الظالم هي أمور لا تخالف الإيمان طالما أنك لم تعتدي على شخص لكن ليس عليك مسامحته أو الدعاء له . وماجعلني أوقن من أن هذه التجربة الروحية التي مررت بها كانت من الله نفسه أنني ورغم أن الصوت كان بداخلي كما لو كنت أحدث نفسي لكن لم تكن هذه الكلمات مني ولم أكن حتى أفكر في هذا الأمر , فكما قلت لم أكن أظن نفسي مخطئة عندما كنت أطلب من الله أن يحاسب من آذوني . وتساءلت : " ماهذا الكلام الغريب ؟ " لكن يقينا داخليا أكد لي أنها رسالة من الله كي أغفر تماما لكل من أساء إلي قبل أن أبدأ رحلة بحثي , وهو مافعلته بالضبط في تلك اللحظة , ووجدتني أطلب من الله الغفران لي ولكل شخص آذاني وأدعو الله لهم بكل خير .

ورغم أنني لا أدعي أنني وصلت لكامل صفاء القلب لكنني تعلمت من درسي الأول في المسيحية أن أسعى دائما للمغفرة , وهو الأمر الأكثر احتياجا للجهاد بالفعل .. ووحده الله هو القادر على مساعدتنا على تخطي صعوبته . فما أسهل أن نحب من يحبوننا وأن نعاملهم بإحسان ومأأقسى أن نغفر بصدق ونصلي بإخلاص من أجل كل من يتعمد الإساءة لنا . لكن هذه هي إرادة الله وهذا هو جوهر الإيمان المسيحي . كانت تلك هي المرة الأولى التي أختبر فيها عمل الروح القدس .. لم أدرك بالطبع في ذلك الوقت هذا الأمر فلم أكن قد توسعت في معرفتي بالمسيحية لكنني أيقنت فقط أن هذا الصوت الداخلي هو إلهام من الله .

أما تجربتي الثانية فحدثت ذات ليلة بعد أن قمنا أنا وزوجي بمشاهدة إحدى المناظرات بين شيخ مسلم وكاهن مسيحي حول صلب المسيح , وذلك أثناء رحلة بحثنا أنا وزوجي عن الحق . في تلك الليلة وقرب الصباح حدث معي أمر عجيب .. كنت في حالة بين النوم واليقظة وسمعت صوتا يقول بداخلي "

لابد للبذرة أن تُدفن في الأرض حتى تأتي بالثمار " وفهمت على الفور وكأن هناك برنامج ترجمة فورية بداخلي أن المقصود هو أن السيد المسيح كان لابد وأن يموت بشكل حقيقي لمدة ثلاثة أيام حتى يتمكن من إتمام مهمته . وعندما استيقظت كنت في حالة تعجب مما حدث ولم أفهم ماسمعته هل هو آية من الإنجيل أم ماذا .. لأنني في ذلك الوقت كنت لازلت أقرأ في العهد القديم ولم أكن قد وصلت بعد إلى العهد الجديد الذي كنت قد قرأته كاملاً مرة واحدة فقط قبلها بأربعة عشر عاما . فحاولت البحث على الإنترنت نصا عما سمعت : " لابد للبذرة أن تُدفن في الأرض حتى تأتي بالثمار " حيث كنت أظن أنها نص آية من الإنجيل , لكنني لم أجد شيئا بهذا المعنى الحرفي . ووقتها أخبرت زوجي بماحدث وأنني شعرت بالفعل وكأنها رؤيا وليست مجرد أضغاث أحلام لأن هذا المثل كان غريبا جدا ولم يسبق لي أن سمعته من قبل . لكنني في الوقت نفسه لم أجد شيئا على الإنترنت يفسر لي ذلك , فظننت أنني تاثرت بالمناظرة التي شاهدناها في اليوم السابق وأن مارأيته كان مجرد أضغاث أحلام حيث لم أجد لها تفسيرا .

لكن ماحدث بعد ذلك بنحو الشهرين وكنت قد وصلت لقراءة العهد الجديد أن فوجئت أثناء قراءتي في إنجيل يوحنا الإصحاح الثاني عشر بالآية الرابعة والعشرون تقول : " الحق الحق أقول لكم : إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها . ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير . " وحبة الخردل هنا ترمز للسيد المسيح , وهذه الحبة هي أصغر جميع الحبوب ولكن رغم ذلك فهي الحبة الأكثر إنتاجا للثمار .. لذلك فثمار موت السيد المسيح على الصليب هي ثمار عظيمة بحق .. يا الله ! ماأعجب طرقك وماأجملها ! كانت سعادتي عظيمة عندما رأيت الآية وأدركت أن مارأيته لم يكن أضغاث أحلام وإنما رؤيا من الله أراد بها تأكيد حقيقة صلب المسيح وموته وقيامته .. وكانت هذه من الأمور اليقينية التي أرشدني بها الله لحقيقة المسيحية . لكنني لم أكتف فقط بالرؤى بل على العكس , فكما ذكرت كنت قد مررت بأكثر من رؤية في السابق لكنني آثرت ألا أعتمد عليها للوصول لقرار يقيني بل علي أن أعتمد على عقلي أولا وإرشاد الله لي أثناء البحث وهو ما حدث بالفعل .

فأثناء قراءتي الثانية والمتعمقة للعهد الجديد .. توصلت لأمور يقينية وهي أمور كنت قد توصلت للبعض منها أثناء قراءتي الأولى والباقي أدركته بشكل عميق بعد انتهائي من هذه القراءة الثانية خاصة بعد انتهائي من قراءة العهد القديم كاملاً ومن البحث في العديد من النقاط في الإسلام . وسأذكر تفصيليا أبرز النقاط التي توصلت إليها في المسيحية فيما يلي:

هناك أربعة أناجيل ينسب اثنان منهم لتلامذة السيد المسيح وهم من عاشوا معه وعاصروه فيعتبروا كشهود عيان وهم " متى ويوحنا " . والإنجيل الثالث كتبه مرقس الذي كان مترجما ومرافقا لبطرس تلميذ السيد المسيح . أما الإنجيل الرابع فكتبه " لوقا " وهو طبيب يوناني كان من أوائل من اعتنقوا المسيحية وكان مرافقا للتلاميذ وسمع منهم كل مارأوه وعاينوه , كما رافق بولس منذ إيمانه وهو من كتب سفر أعمال الرسل الذي يحكي ماحدث منذ صعود السيد المسيح إلى السماء بعد قيامته . وهو جزء غاية في الأهمية لأنه يؤكد على ماجاء في الأناجيل الأربعة ويحكي ماحدث أثناء وبعد حلول الروح القدس على التلاميذ ورحلة البشارة في العالم . ويؤكد أن التلاميذ كانوا يبشرون بيسوع المسيح كإبن لله وكمخلص للبشر نزل من السماء لهذا الهدف وصلب ومات ودفن وقام في اليوم الثالث ورآه كافة التلاميذ وظهر لهم لأربعين يوما وليس لمرة واحدة فقط . إذا فكما ذكرت من قبل لم يوجد إنجيل واحد نزل من السماء على السيد المسيح وإنما بعد قيامته بين أعوام 70 – 100 ميلادية بدأت كتابة الأناجيل المختلفة . فلو كان هناك إنجيل نزل عليه كما يقول القرآن فكيف كان تلامذته سيجرؤون على كتابة أناجيل أخرى ؟

ولو كان السيد المسيح لم يصلب إذا فقد سمح الله بأن تقوم المسيحية على كذبة كبيرة نشرها التلاميذ حول العالم , وكل من آمن بالديانة المسيحية قبل الإسلام كان على ضلال حتى قرر الله بعد ستمائة عام أن يرسل نبي آخر يكشف الخدعة الكبرى ويؤكد أن من صلب لم يكن هو المسيح وإنما شبيه له ! فماذا كان الهدف إذا من واقعة الصلب ؟ فإن كان الله يريد أن ينجي المسيح كما يظن المسلمون فبمنتهى البساطة كان سينقذه من بين أيديهم ويرفعه أمام أعينهم إلى السماء كي يعلموا الحق .. وليس بأن يقوم بتمثيلية هزلية من خلال إضفاء شبهه على شخص آخر لكي ينخدع الجميع بمن فيهم أم المسيح وتلامذته ويبكون عليه دون أن يعلموا ماحدث !

ثم ماذا عن القيامة التي لم يشهدها التلاميذ وحدهم ؟ فقد ذكر الإنجيل أن أكثر من خمسمائة شخص قد رأوه بعد قيامته حيث ظهر لهم على مدار أربعين يوما . وكان يجلس مع تلامذته ويأكل معهم ويتجول بصحبتهم . والأهم من ذلك أنه أخبرهم أكثر من مرة قبل صلبه بأن الهدف الرئيسي من نزوله من السماء وأن مهمته الأساسية على الأرض تتمثل في تقديم نفسه كذبيحة لفداء البشر .. فمن سيؤمن به ويتبع تعاليمه فسينال الخلاص المجاني من العذاب الأبدي .. وهو الأمر الذي تشهد بصحته أيضا العديد من نبوءات العهد القديم كما ذكرت سابقا . ووجدت العديد من الآيات التي جاءت في العهد الجديد على لسان السيد المسيح نفسه والتي تنبأ فيها بصلبه : " هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية . لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم " (يوحنا 3: 16) . " قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان .الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتموت فهي تبقى وحدها لكن إن ماتت تأتي بثمر كثير " (يوحنا 12: 23, 24) ." أيها الآب نجني من هذه الساعة . ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة (يوحنا 12 : 27) ." قالوا له يامعلم إعطينا آية . فأجاب وقال : جيل شرير وفاسق يطلب آية والتعطى له إلا آية يونان النبي . لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال , هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالي (متى 12: 38 -40) ." وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً : اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا " (متى 26 :27) . " من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيرا من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم " (متى 16: 21) . وعندما حضر الجنود الرومان ليمسكوا به أخرج بطرس سيفه وقطع أذن رئيس الكهنة . فقال يسوع لبطرس : " اجعل سيفك في الغمد . الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها " (يوحنا 18 : 11) .

عندما قرأت هذه الآيات دارت في ذهني تساؤلات عدة .. لماذا سيقوم المسيحيون على ابتداع مثل تلك القصة ؟ ولماذا إصرار القرآن على نفي صلب المسيح ؟ وهل هناك شواهد تاريخية أو شهود غير مسيحيون على قصة الصلب هذه , أم أن هذه القصة تداولتها الأناجيل المسيحية فقط وبالتالي يمكن بالفعل التشكيك بها ؟ وأشكر الله الذي كان يسارع بتقديم الإجابات لي بطريقة عجيبة .. حيث وجدت أنه من غير المنطقي أن يخترع المسيحيون قصة كهذه ويكرسون حياتهم لنشرها في العالم أجمع ويلاقون في سبيل ذلك أنواع العذابات والإضطهادات المختلفة حتى أن معظمهم قتلوا نتيجة تبشيرهم بالمسيحية . فهل يعقل أن يموت شخص دفاعا عن فكرة يعلم تماما كذبها ؟ ليس ذلك فقط بل إن الرسول بولس يقول في إحدى رسائله : " فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام . وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا

وباطل أيضا إيمانكم , ونوجد نحن أيضا شهود زور لله لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح وهو لم يقمه "(كورنثوس الأولى 15 : 13 – 15) .

كلمة الإنجيل التي لم أكن أعرف معناها أنا والكثير من المسلمين لا يُقصد بها الكتاب وإنما تعني الأخبار السارة .. أن يسوع المسيح أتي مخلصا وأنه صلب من أجل خطايا البشر ومات لكنه انتصر على الموت وقام في اليوم الثالث ليعطينا معه حياة أبدية ويخلصنا من الموت . وقد قال السيد المسيح لأتباعه بعد قيامته : " اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها . فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن (مرقس 15) . وقال أيضا : " هكذا مكتوب وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث , وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم (لوقا 24) . وكنت أفكر .. ماسبب إصرار القرآن على نفي قصة صلب المسيح ؟ فالقرآن ذكر عن اليهود : " وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله . وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم . وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقينا " (النساء 157) الغريب أنني اكتشفت أن هذه الآية تحتوي على خطأ فادح حيث ينقل عن اليهود وصفهم لعيسى بالمسيح وهو مالم يحدث , فاليهود لم يؤمنوا بأنه هو المسيح أبدا ومن آمن منهم أنه المسيح المنتظر أصبح مسيحيا . فمشكلة اليهود أنهم اتهموا يسوع بانتحال صفة المسيح الذي ينتظرونه . فلا يمكن لليهود أن يقولوا أنهم قتلوا المسيح وإلا يكونون بذلك قد اعترفوا به . وهو مالم يحدث ! ولكن من أين أتي محمد بموضوع " شبه لهم " هذا ؟

إذا عرف السبب بطل العجب بالفعل ..

فمااكتشفته , أن محمدا كان قد أخذ الكثير من القصص من التوراة ومن كتب النصارى المنحولة التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية وقام بنقل هذه القصة من كتب طائفة من النصارى تدعى " الغنوصية . " هذه الطائفة تنتمي لفكر فلسفي وهي تسبق الديانات لكنها تماشت معها وامتزجت بها لتشكل فكرا جديدا , خاصة مع اعتناق معظم أعضائها للمسيحية لكن بشكل يتفق مع تصوراتهم الصوفية والفلسفية . فنشأت عقيدة خاصة تختلف كل الاختلاف عن المسيحية الرئيسية . فإذا عرفنا أن طائفة من الغنوصية تدعى الدوسيتية كانت موجودة بالجزيرة العربية منذ القرن الثاني الميلادي وهي من طوائف النصارى الخارجين عن جموع المسيحيين ولهم أناجيل مزيفة , وأن هذه الطائفة كانت تؤمن بأن يسوع المسيح هو إنسان تقي اختاره المسيح ابن الله ليحل بروحه فيه , وأن من قتل كان الجسد فقط أما روح المسيح فلم تصلب أو تتعذب لأن المسيح كائن روحاني .. لذلك ظن الناس أن المسيح هو الذي صلب لكن كان هذا وهما لأن الروح لا تتعذب كالجسد , فما قتلوه يقينا ولكن شبه لهم أما المسيح كروح فرفع إلى السماء دون أن يصبه أذى ! هذا الإكتشاف وغيره أكد لي بالفعل أن كل ماجاء في القرآن من معلومات كان مأخوذا بالتفصيل نقلا عن كتب الديانات الأخرى التي كانت موجودة في الجزيرة العربية كما ذكرت سابقا . كما كان على محمد بالطبع أن ينفي صلب المسيح وعمله الخلاصي على الصليب لأنه إذا آمن به وصدقه فسيعارض ذلك نبوته ولن تصبح هناك أية حاجة لأن يرسله الله . فالمسيح جاء ليتمم النبوات وليقدم الخلاص المجاني لكل من يؤمن به , كما فتح باب الخلاص لكافة الأمم بعد أن كان مقصورا على اليهود . فما الداعي لإرسال أي نبي أو رسول بعده ؟

وهناك نقطة هامة جدا اكتشفتها أيضا أثناء بحثي .. أن لفظ رسول هو لفظ مسيحي , ولم يسبق قبل المسيحية أن أطلق على شخص أنه رسول بل وصف الكتاب المقدس رجال الله بالأنبياء وليس بالرسل

. وجاء لفظ رسول في العهد الجديد لوصف من بشروا بالسيد المسيح ودعوا للإيمان به لأنه هو من أرسلهم فكانوا يلقبون برسل المسيح وليس رسل الله . كما نجد في بداية رسالة بولس لأهل رومية عندما كتب واصفا نفسه : " بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولا المفرز لإنجيل الله " كما وصف بطرس نفسه في رسالته الثانية ب " سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله إلى الذين نالوا معنا إيمانا ثمينا مساويا لنا ببر إلهنا والمخلص يسوع المسيح " . إذا فقصة شبه لهم ونفي صلب المسيح لم تكن كشفا ووحيا إلهيا لمحمد ولكنها كانت هرطقات طائفة من النصارى الذين سكنوا الجزيرة العربية وقت محمد الذي اطلع على معتقداتهم بكل تأكيد .. كما أشرت من قبل للعديد من القصص التي أخذها منهم عن الثالوث المريمي , وتكلم المسيح في المهد , وخلقه من الطين كهيئة الطير . أما بالنسبة للتساؤل الذي دار بداخلي حول ما إذا كان هناك شهودا غير مسيحيين قد قاموا بتوثيق قصة الصلب .. فبالبحث وجدت أن هناك بالفعل عددا من المؤرخين المعاصرين والتالين لعصر المسيح ذكروا صراحة وتفصيليا أحداث الصلب كونها كانت فارقة وكان لها عظيم الأثر ليس فقط على من آمنوا بالمسيحية وإنما على غير المؤمنين الذين شهدوا انتشار وتوسع المسيحية وما ترتب على حادثة الصلب هذه من الجانب التاريخي . وأتمنى من القاريء أن يبحث جيدا في هذه النقطة كونها غاية في الأهمية وتثبت بما لا يدع مجالا للشك أن يسوع المسيح قد صلب بالفعل وأن هذه القصة لم تكن من اختراع تلامذته .

وهناك فيلم أمريكي بعنوان " قضية المسيح " تم إنتاجه عام 2017 استنادا إلى كتاب يروي قصة واقعية حدثت لأحد الصحفيين قبل حوالي الأربعين عاما , حيث كان وقتها ملحدا وقررت زوجته اعتناق المسيحية وهوما أثار غضبه فقرر دون أن يخبرها أن يجري بحثا ليثبت لها عدم وجود أدلة تاريخية على حقيقة صلب المسيح وموته وقيامته . فقام بلقاء علماء ورجال دين وبحث في مخطوطات تاريخية لمؤرخين وفالسفة يهود ويونانيين ورومان عاصروا هذه الأحداث أو جاءوا بعدها لكنهم توصلوا بالأدلة لصحتها .. ليصل في النهاية لحقيقة الإيمان المسيحي وليقرر هو نفسه اعتناق المسيحية بعد أن كان هدفه من رحلة البحث أن يقنع زوجته بخطأ قرارها وأن يبعدها عن المسيحية ! دفعني هذا الفيلم للبحث في تلك النقطة ووجدت أن من بين هؤلاء المؤرخين والفلاسفة :

المؤرخ الروماني كرنيليوس تاسيتوس الذي عاش بين أعوام [56- 117] ويعد واحدا من أعظم مؤرخي الدولة الرومانية . ووردت في كتاباته العديد من الإشارات عن السيد المسيح والمسيحية . وكان مما كتب " ولكي يتخلص نيرون من التهمة (أي حرق روما) ألصق هذه الجريمة بطبقة مكروهة معروفة باسم المسيحيين ونكل بها أشد تنكيل . فالمسيح الذي اشتق المسيحيون اسمهم منه كان قد تعرض لأقصى عقاب في عهد طيباريوس على يد أحد ولاتنا المدعو بيلاطس البنطي . وقد راجت خرافة من أشد الخرافات إيذاء وإن كانت قد قيدت لفترة قصيرة ولكنها عادت وانتشرت ليس فقط في اليهودية المصدر الأول لكل شر , بل انتشرت أيضا في روما التي أصبحت بؤرة لكل الأشياء الخبيثة والمخزية التي ترد إليها من جميع أقطار العالم . " ويبدو أنه قصد ب "الخرافة " واقعة القيامة التي كان غير المسيحيين بالطبع يرفضون تصديقها . لكنه أكد تعرض المسيح لأقصى عقاب .

وهناك رسالة من حاكم مقاطعة بونتوس الذي عاش بين أعوام [61 – 112] إلى الإمبراطور ترجان يخبره فيها أن أتباع المسيح بدلا من أن يسجدوا للآلهة ولصورة الإمبراطور يسجدون للمسيح الملعون ويحتفظون بصورة صليبه . وكان الإمبراطور هادريان قد بعث برسالة إلى مينوسيوس يؤكد له فيها أنه يعاقب المسيحيون بالصلب مثل مسيحهم . ومن بين المؤرخين أيضا لوسيان اليوناني وهو أحد

مؤرخي اليونان البارزين في مطلع القرن الثاني الميلادي , وكان يتعجب من استعداد المسيحيين للاستشهاد في سبيل عقيدتهم قائلاً : " إن المسيحيين كما تعلم مازالوا إلى هذا اليوم يعبدون رجلاً وهو شخصية متميزة إستن لهم طقوسهم الجديدة وصلب من أجلها . ومنذ اللحظة التي اهتدوا فيها إلى المسيحية وأنكروا آلهة اليونان وعبدوا الحكيم المصلوب استقر في عرفهم أنهم إخوة " .

ومن أهم المؤرخين اليهود الذين كتبوا عن واقعة الصلب " يوسيفوس " في كتابه التواريخ [90- 95] ميلادية ، فقال : " وفي ذلك الوقت كان هناك رجل حكيم يدعى يسوع اشتهر بحسن السلوك وبالتقوى فتبعه عدد غفير من بين اليهود والأمم الأخرى . غير أن بيلاطس البنطي حكم عليه بالموت صلبا . أما الذين تبعوه فلم يتخلوا عن تلمذتهم له . وادعوا أنه قد ظهر لهم بعد ثلاثة أيام من صلبه وأنه حي . وبناء عليه فقد يكون هو المسيح الذي عزا إليه الأنبياء أشياء عجيبة " .

وفي التلمود اليهودي في الجزء المسمى بالهجادا في صفحة 42 " : لقد صلب يسوع قبل الفصح بيوم واحد وقبل تنفيذ الحكم فيه ولمدة أربعين يوما خرج مناد ينادي إن يسوع سيقتل لأنه مارس السحر وأغرى إسرائيل على الإرتداد . فعلى من يشاء الدفاع عنه لمصلحته والإستعطاف من أجله أن يتقدم . وإذ لم يتقدم أحد للدفاع عنه مساء الفصح , فهل يجرؤ أحد عن الدفاع عنه ؟ ألم يكن مفسدا ؟ وقد قيل في الأنبياء إن شخصا مثل هذا لا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره بل تقتله قتلاً ".

إذا لم يشك أحد حتى من غير المسيحيين في أن من صلب كان هو يسوع نفسه وليس أي شخص آخر , إلا طائفة الغنوصيين التي - ويالللمصادفة - كانت موجودة ومنتشرة في الجزيرة العربية من قبل محمد ! ومن الأمور التي أذهلتني حقا أنه حتى ماذكر في الأناجيل من إظالم للأرض خلال الفترة التي صلب فيها السيد المسيح من الساعة السادسة وحتى التاسعة (والتي تعني بالتوقيت الحالي من الثانية عشر ظهرا وحتى الثالثة عصرا) .. هذا الحدث قد تم توثيقه أيضا من قبل بعض الفلكيين ومنهم فليفون الفلكي في القرن الثاني حيث أكد " أن الظلام الذي حدث عند صلب المسيح لم يحدث في الكون مثله من قبل . " وينقل أحد الكتاب المسيحيون ويدعى " يوليوس أفريكانوس " عن الكاتب الوثني " ثلاوس " الذي وثق في كتاباته الكثير عن السيد المسيح " :إن ثلاوس رأى أن هذه الظلمة غير طبيعية ولم تحدث نتيجة كسوف الشمس لأن الكسوف الشمسي لا يمكن أن يحدث وقت اكتمال القمر . وحاول ثلاوس وضع تفسير لما حدث وقت صلب المسيح لكنه لم يجد . " وكان شخص وثني يدعى " ديوناسيوس الأريوباغي القاضي " يدرس علوم الفلك والهندسة والقانون , وكان يبحث حادثة كسوف الشمس وقت صلب السيد المسيح .. فطرح عدة تساؤلات وانتهى بطرح ثلاثة احتمالات رئيسية من وجهة نظره لواقعة الظلمة وهي : أن يكون العالم آنذاك قد أوشك على النهاية , وأن هذا الكسوف هو إحدى الدلالات . أن تكون كل قواعد علم الفلك خاطئة من أساسها . أن يكون إله الكون متألما . إذا فقصة الصلب والكسوف الذي حدث وقتها لثلاث ساعات لم تكن مجرد رواية مسيحية خيالية وإنما هناك شهود ومصادر تاريخية من غير المؤمنين المسيحيين وثقت هذه القصة كحدث تاريخي غير العالم نفسه كما غير مصير الكثيرين . كما أن كراهية المسلمين الشديدة لصليب المسيح يفسرها بولس في قوله " فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة , وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله " (كورنثوس الأولى 1 : 18) .

كان هذا الإكتشاف من أهم الدلائل بالنسبة ليَّ على صحة المسيحية وكذب القرآن .. فلو لم يكذب القرآن سوى في تلك القضية لثبت أنه من عند غير الله . وهو ماتوصلت إليه من خلال هذا الدليل بالتحديد.

الفصل الثامن

بين لاهوت المسيح وناسوته

كانت مسألة بنوة يسوع لله وألوهيته هي الحاجز الأكبر الذي وقف أمامي عائقا على مدار سنوات .. فكيف لي أن أقبل بأن يكون لله ولد ؟ وكيف يمكن تأليه إنسان حتى لو كان نبيا غير عادي ؟ فقد ذكرت في السابق أنني عندما قرأت الإنجيل للمرة الأولى وجدت يسوع قد تحدث عن بنوته للآب أكثر من مرة . لكنني في البداية قلت لنفسي أنه وصفنا أيضا بأبناء الله .. إذا فلم يقصد المسيح أن يقول أنه وحده ابن الله وإنما كلنا أبناءه ولهذا علم أتباعه أن يبدأوا الصلاة مخاطبين الله " أبانا الذي في السموات . "وهذا التفسير أراحني جدا وظللت لسنوات أقنع نفسي بأن هذا ولابد ماكان يقصده المسيح وأن المسيحيون هم من أرادوا إضفاء صفة البنوة ليسوع بشكل مختلف عن بنوتنا لله ليزيدوا من قداسته . وكنت أشعر بضيق شديد عندما أسمع المسيحيون يلقبون المسيح بـ "إلهنا ومخلصنا "وأعتبره تجديفا على الله وشركا به . لكن ماحدث عند قراءتي الثانية المتأنية للإنجيل بعد نحو أربع عشرة سنة أن لاحظت أن المسيح وصف بنوته للآب بشكل يختلف فعلاً عن بنوتنا له . فعندما سأل السيد المسيح تلاميذه : " من يقول الناس إني أنا " أجابوه : " قوم يوحنا المعمدان وآخرون إيليا وآخرون إرميا أو واحد من الأنبياء "سألهم ثانية : " وأنتم من تقولون ؟ " أجاب عليه بطرس : " أنت هو المسيح ابن الله " .. فماذا كان رد السيد المسيح عليه ؟ قال له : " طوبى لك ياسمعان ابن يونا .. إن لحما ودما لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات " (متى 16 : 17) فمن الواضح أنه أعجب بإجابته وأثنى عليه , ولم ينكر بنوته الخاصة لله، بل على العكس أكدها في أكثر من موضع .. فمثلاً بعدما أعطى البصر للمولود أعمى قابله وسأله : " أتؤمن بابن الله ؟ أجاب ذاك وقال من هو ياسيد لأؤمن به. فقال له يسوع قد رأيته والذي يتكلم معك هو هو . فقال أؤمن ياسيد وسجد له " (يوحنا 9 : 35- 37) . فلو كان يقصد بنوة عادية كبنوة باقي البشر الرمزية لله فلماذا يخص نفسه ؟ كما أنه لم يكن سيسمح لهذا الشخص بالسجود له .

وفي وقت معموديته شهد الآب نفسه ببنوة الرب يسوع له عندما حلت عليه حمامة وسمع صوتا من السماء يقول :" انت ابني الحبيب الذي به سررت " (مرقس 1: 11) . وإذا كانت هذه الواقعة تخص الرب يسوع فقط، فقد وجدت واقعة أخرى ربما تفوقها أهمية لأن هناك شهود عليها وهي الخاصة بحدث التجلي .. عندما صعد الرب يسوع إلى الجبل وأخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا ووجدوا موسى وإيليا يتحدثان مع الرب يسوع الذي أضاء وجهه كالنور وابيضت ثيابه كالثلج وظللته سحابة , ثم سمعوا صوتا من السحابة قائلاً لهم : " هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا " (متى 17 : 5 ..) وهو أمر إلهي بالخضوع للإبن .

وفي آية أخرى يخاطب الرب يسوع الآب قائلاً: " كل مالي فهو لك، وكل ماهو لك فهو لي " (يوحنا 17 10) . وسأجمل سريعا بعض الآيات الآخرى التي تناولت موضوع بنوة الرب يسوع للآب :

- "ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله ليتمجد الآب بالإبن . إن سألتم شيئا باسمي أفعله " (يوحنا 14 : 13, 14)

- **" لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية " (يوحنا 3: 16)**
- **" (الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب ؟ ألست تؤمن أني في الآب والآب في ؟ " (يوحنا 14 : 9 ,10)**
- **"أنا والآب واحد " (يوحنا 10 : 30)**
- **" فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله " (متى 16 : 27) . وهنا استوقفتني نقطة هامة .. أن الرب يسوع يؤكد أكثر من مرة أنه الديان الذي سيحاسب الناس يوم القيامة**
- **"ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء " (متى 25 : 32,31)**
- **" أنا هو فاحص القلوب والكلى وسأعطي كل واحد منكم بحسب أعماله (رؤيا يوحنا 2 : 23)**
- **" لا تتعجبوا من هذا فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته . فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة "(يوحنا 5 : 29, 28)**
- **"ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السموات . بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات . كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة . فحينئذ أصرح لهم إني لم أعرفكم قط . اذهبوا عني يا فاعلي الإثم " (متى 21- 23: 7)**
- **" لأن الآب لا يدين أحدا بل قد ترك كل الدينونة للإبن لكي يكرم الجميع الإبن كما يكرمون الآب . من لا يكرم الإبن لا يكرم الآب الذي أرسله " (يوحنا 5 : 23, 22)**
- **" لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي كذلك الإبن أيضا يحيي من يشاء " (يوحنا 5 : 21)**
- **" الحق الحق أقول لكم : إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون " (يوحنا 5 : 25)**

فإذا كان الرب يسوع هو مجرد نبي أو ابن لله كبنوة باقي البشر المجازية له، فلماذا سيعطيه كل هذه المكانة ويسمح له بأن يكون الديان ويحاسب البشر يوم القيامة ؟ وهناك من شهد لبنوته وألوهيته كما حدث عند معجزة مشيه على الماء " والذين في السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين : بالحقيقة أنت ابن الله (متى 14 :33) فالسجود يكون لله وهو علامة للعبودية , ولم يستنكر يسوع ولا مرة أن يسجد أحد له . فعندما صعد إلى السماء أمامهم بعد قيامته : " وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأصعد إلى السماء فسجدوا له . " (لوقا 24: 15)

وكثيرا ماتوقفت عند الآية التي قال فيها : " ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء " . (يوحنا 3: 13) وتساءلت .. كيف له أن يكون في السماء وهو يتحدث معهم على الأرض ؟ فالله وحده هو القادر أن يكون في كل مكان وكل زمان . فإذا امتلك يسوع

صفة من صفات الألوهية فماذا يكون ؟ ومايؤكد ذلك ماقاله في آية أخرى : " لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم " (متى 18 : 20) وماقاله الله نفسه في العهد القديم متحدثا عن ابنه القادم إلى الأرض: " لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام " (إشعياء 9 : 6) فهذا وارد في العهد القديم على لسان الله نفسه الذي أعطى وصف " إلها قديرا " لإبنه . وفي العهد القديم نبوءة عن المسيح ووالدته من عذراء تقول : "ها العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعى اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا " (إشعياء 7: 14) لذلك عندما بشر الملاك جبريل السيدة مريم بولادة الطفل يسوع قال لها : " الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضا المولود منك يدعى ابن الله " (لوقا 1 : 35) . وعندما ذهبت لترعى قريبتها العجوز أليصابات عندما علمت بحملها .. امتلأت أليصابات من الروح القدس وصرخت بصوت عظيم وقالت : " مباركة أنت في النساء ومباركة ثمرة بطنك . فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلي ! " (لوقا 1 : 42) . وماحدث من زلزلة وإظلام للشمس وقت صلب المسيح دفع قائد المائة والذين كانوا معه يحرسون يسوع ليقولوا : " حقا كان هذا ابن الله " (مرقص 15 : 39)

أما ماتوقفت عنده بالأكثر فكان ماحدث مع تلميذه توما الذي شكك في قيامته عندما أخبره باقي التلاميذ برؤيتهم له بعد قيامته . فيروي الإنجيل ماحدث قائلا : " وبعد ثمانية أيام كان تلاميذه أيضا داخلا وتوما معهم . فجاء يسوع والأبواب مغلقة ووقف في الوسط وقال : سلام لكم . ثم قال لتوما هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدي وهات يدك وضعها في جنبي ولا تكن غير مؤمن بل مؤمنا . أجاب توما وقال له : " ربي وإلهي . قال له يسوع لأنك رأيتني ياتوما آمنت . طوبى للذين آمنوا ولم يروا " (يوحنا : 26 – 29 20) وتوقفت هنا عند وصف توما له " ربي وإلهي " فربما كانت المرة الوحيدة في الإنجيل التي يصفه فيها أحد بإلهي .. فكلمة الرب لم تكن تستخدم وقتها بمعنى الإله وإنما بمعنى المعلم والسيد . لكن كلمة إلهي بالتأكيد واضحة . فلماذا لم يعترض السيد المسيح على وصف توما له بإلاله ؟ ولماذا لم يعترض عند سجود الأعمى الذي أبصر له والتلاميذ بعد صعوده ؟ وفي سفر الرؤيا يقول الرب يسوع بنفسه ليوحنا : " أنا هو الألف والياء الأول والآخر " (سفر رؤيا يوحنا 1:11) " أنا الألف والياء البداية والنهاية . أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجانا " (سفر رؤيا يوحنا 21:6) . المشكلة التي اكتشفتها أن مايمنعنا بالأخص كمسلمين من قبول ألوهية المسيح أو ربوبيته أننا ننظر إليه كإنسان وكبشر فكيف يمكننا رفع بشر مثلنا إلى مصاف الألوهية ؟ ألا يعد ذلك شركا بالله ؟ وبالطبع إذا قمنا بتأليه إنسان أيا كان فإن هذا هو الشرك بعينه .. لكن يسوع المسيح لم يكن إنسانا منذ البدء لكنه كان كلمة الله الذي تجسد في وقت ما من الزمن واتخذ صورة بشرية ليستطيع أن يتمم عمله الخلاصي على الصليب , وهذا مايؤكده إنجيل يوحنا في بدايته : " في البدء كان الكلمة . والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله . هذا كان في البدء عند الله . كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان . فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس , والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه . كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا هذا جاء للشهادة ليشهد للنور . لم يكن هو النور بل ليشهد للنور . كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتيا إلى العالم . كان في العالم وكون العالم به ولم يعرفه العالم . "

ربما يبدو الإسلوب فلسفيًا ويصعب قليلاً على الفهم لكن ماهو واضح من الآيات أن يسوع هو كلمة الله وأن لفظ إبن الله هو لفظ مجازي . فليس المقصود أبدا أن الله قد تزوج وأنجب - حاشاه - وإنما المقصود بإبنه أنه "منه . " ويقول بولس الرسول : " فإنه فيه خلق الكل ما في السموات وما على

الأرض مايُرى وما لا يُرى سواء كان عروشا أم رياسات أم سلاطين . الكل به وله قد خلق " (كولوسي 1 : 16).

وماكنت أسمعه عن بولس الرسول من بعض المسلمين هو أنه من قام بتحريف المسيحية وأنه من أدخل فكرة ألوهية المسيح لهدم الديانة وتحريفها ! لكنني عندما قرأت الإنجيل وقرأت قصة إيمان بولس والرسائل التي كتبها وجدت أنه كان في البداية من أشد كارهي المسيحية وكان يضطهد المسيحيين ويحرض على قتلهم , فما الذي حدث ليحوّله لأعظم وأهم مبشر مسيحي ولتصبح رسائله جزءا من الكتاب المقدس ؟ ماحدث أنه ذات يوم بينما كان مسافرا إلى دمشق ليبلغ عن بعض المؤمنين المسيحيين ظهر له الرب يسوع في الطريق وقال له لماذا تضطهدني ؟ فسأله من أنت ياسيد ؟ فأجاب : أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده . وفي الحال أصيب بالعمي وطلب منه الرب أن يذهب إلى دمشق وهناك ظهر الرب لرجل مؤمن اسمه حنانيا وطلب منه أن يذهب لشاول - وهذا كان اسمه قبل أن يغيره الرب لبولس - ويضع يده عليه ليعود له البصر . وعندما سمع حنانيا اسم شاول تعجب لأنه كان يعرف ما يفعله هذا الشخص بالمسيحيين من اضطهاد وتعذيب . لكن الرب أخبره أن عليه أن يذهب لأنه اختار بولس ليكون إناء مختارا ليحمل اسمه أمام أمم وملوك وبني إسرائيل , وأنه سيتألم من أجل اسم المسيح . وبالفعل بعدما ذهب إليه ووضع يديه على عينيه أبصر فقرر أن يتعمد . ومنذ تلك اللحظة وهب بولس حياته لخدمة الرب يسوع والتبشير به في آسيا الصغرى وفي أوروبا .. وتحمل في سبيل ذلك كافة أنواع الإضطهادات من سجن وجلد وتعذيب واستهزاء حتى قتل في عهد نيرون ويقال أنه تم قطع رأسه . فهل يمكن لشخص تحمل كل ذلك أن يكون قد تسلل للمسيحية فقط من أجل هدمها من الداخل ؟ فيخسر حياته ويتحمل هذا الكم من الاضطهادات ويترك خلفه كل هذه الرسائل التي وضعت حجر الأساس للتعاليم المسيحية بعد تعاليم السيد المسيح ؟ !

ويروي بولس عن نفسه بشكل غير مباشر : " أعرف إنسانا في المسيح قبل أربع عشرة سنة . أفي الجسد لست أعلم أم خارج الجسد لست أعلم الله يعلم . اختطف هذا إلى السماء الثالثة . وأعرف هذا الإنسان أفي الجسد أم خارج الجسد لست أعلم الله يعلم أنه اختطف إلى الفردوس وسمع كلمات لا يُنطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها " (كورنثوس 2 : 9) . ويتحدث بولس أيضا عن لاهوت المسيح قائلاً : " فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا " (كورنثوس 2 : 12) وفي موضع آخر يقول : " وأنير الجميع في ماهو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح " (أفسس 3: 9) فمن الواضح أن الله ميّز بولس بمعرفة خاصة عن جوهر السيد المسيح وبحقيقة لاهوته التي أشار إليها السيد المسيح بشكل غير مباشر لأكثر من مرة . فالإنسان العادي يتكون من جسد وروح , أما الرب يسوع فيتكون من جسد وروح ولاهوت وهذا المقصود بالناسوت واللاهوت . لهذا يقال أن السيد المسيح إله لأن له اللاهوت الالهي نفسه الموجود في الآب وأيضا في الروح القدس . لذلك فهم ليسوا ثلاثة آلهة بل ثلاثة أقانيم يشتركون في نفس الجوهر الإلهي خالق هذا الكون والمتحكم به. ولكل منهم دور مختلف لكنهم يكملون بعضهم البعض . فالآب هو ضابط الكل وهو صاحب خطة الخلق وخطة الخلاص , والإبن هو مهندس الخلق ومخلص البشر والديان , والروح القدس هو معطي الحياة وهو الذي سيبعث الناس يوم الدينونة . تماما كما نتكون نحن كبشر - ولله المثل الأعلى - من عقل وجسد وروح يلعب كل منهم دورا مختلفا في تكوين الشخص الواحد وإن اختلفت أجزائهم إلا أنهم يكملون بعضهم البعض .

وهنا علي أن أؤكد أن أكبر عقبة وقفت أمامي لسنوات بل وحتى بعدما قبلت إتباع المسيح كمخلص وكإبن لله كانت الإعتراف بألوهيته وقبول عقيدة الثالوث , وأن عقيدة الإسلام البسيطة التي تتطلب الإيمان بالله الواحد الفرد الصمد وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر كانت أسهل كثيرا بالنسبة ليَّ . فلم أكن أود المغامرة بقبول عقيدة ربما تكون سببا في دخولي جهنم إلى الأبد . ولم أرغب حتى في سؤال الله عن مدى صحتها فقد تربينا في الإسلام على كفر من يؤمنون بالتثليث وبألوهية المسيح فكيف لي أن أتساءل حتى مجرد السؤال عن مدى صحة ذلك ؟

لكنني وكلما تعمقت في بحثي وجدت أن كل ماسبق يقودني لطريق واحد هو الإيمان بالسيد المسيح مخلصا .. لكن حتى قبولي لذلك في البداية لم يمكنني من الإيمان بالثالوث وبألوهية السيد المسيح . فعندما ركعت أمام الله لأعلن له تركي الإسلام وإيماني بأن يسوع هو ابنه الوحيد وأنه هو وحده الطريق والحق والحياة .. كنت لا أزال متحفظة على الإيمان بالعقيدة الأساسية وهو مادفعني في البداية لرفض الانتماء للطوائف المسيحية , وشعرت بأنني أريد أن أؤمن فقط بالمسيح وليس بأية طائفة لأنني ظننت أنهم ربما يكونون على خطأ أو مغالاة في عقيدتهم . لكنني وقفت لأسأل نفسي .. إذا كنت أؤمن بالفعل أن الله قد قادني للمسيحية وأكد لي أنها طريقه الوحيد ، وأن الرب يسوع هو المخلص .. فهل يعقل أن يترك الله المسيحيون على ضلال لأكثر من ألفي عام ؟ وأين الروح القدس الذي يقود المؤمنين والذي وعد الرب يسوع بأنه سيرشدهم لكل الحق ؟ " وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ماقلته لكم " (يوحنا 14 : 26)

وكنت أتساءل .. ماذا لو اخترع المسيحيون هذه العقيدة التي لم تكن موجودة بشكل واضح قبل مجمع نيقية الذي أقر قانون الإيمان وعقيدة التثليث ؟ ولماذا لم يعلن السيد المسيح هذه العقيدة بشكل واضح لتلاميذه عندما كان معهم ؟ ووجدت نفسي أتوقف أمام الآية التي يقول فيها السيد المسيح : " إن لي أمورا كثيرة أيضا لأخبركم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن . وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل مايسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية . ذلك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم . كل ماللآب هو لي . لهذا قلت إنه يأخذ مما لي ويخبركم (يوحنا 16 : 12 – 14)

وهنا وجدتني أتساءل .. ماذا لو كان ماتوصلت إليه الكنيسة من قانون للإيمان وعقيدة التثليث واختيار الأناجيل الأربعة من بين مئات الأناجيل التي تمت كتابتها وتجميع الكتاب المقدس على هذا الشكل الموجود به حتى اليوم قد تم بالفعل بإرشاد الروح القدس ؟ .. والدليل أنه حتى الآن ورغم انقسام المسيحيين لثلاثة طوائف رئيسية ، إلا أنها جميعها تشترك في عقيدة التثليث وفي الإيمان بنفس الكتاب المقدس وصلب وقيامة السيد المسيح كأساس لا يمكن لأي شخص يدعى مسيحيا أن يرفض الإيمان به . ولذلك فالطوائف المبتدعة التي رفضت الإيمان بأي من تلك العقائد الأساسية تعتبر خارجة عن الإيمان المسيحي ومنهم الطوائف التي ظهرت مؤخرا كالمورمون وشهود يهوه والكنيسة الموحدة الذين قرأت بشكل موسع في عقائدهم ونشأتهم ووصلت ليقين بأنهم لا يمثلون المسيحية الحقيقية لأن الله لا يمكن أن يترك كل المسيحيين على ضلال لقرون طوال حتى يرشدهم في الأيام الأخيرة لخطأ من سبقوهم !

ومسألة المجامع الكنسية التي أثارت الكثير من الجدل والإتهامات للمسيحية بأنه تم تحريفها على أيدي الكهنة وأن الإمبراطور قسطنطين الذي دعا لمجمع نيقية الذي أقرت فيه عقيدة الثالوث هو الذي أفسد العقيدة وأدخل إليها عقائد وثنية .. وجدت عندما قرأت بشكل موسع في تلك المسألة أن الهدف من

هذه المجامع كان تنقية العقيدة والاتفاق على الأسس والثوابت المسيحية ، لأن المشكلة الكبرى كانت في ظهور الكثير من البدع والهرطقات والعقائد الغريبة كآريوس ونسطور والغنوصية والدنوسية .. وهو ماأدى لانشقاقات وتخبط , فكان لابد من اجتماع الأساقفة من كافة أنحاء العالم للتصدي لهذه الأفكار والإتفاق على ثوابت واحدة . ولاحظت أن تاريخ المسيحية مليء بالخلافات والإنقسامات وحتى الحروب الطائفية بين المذاهب المختلفة لكن رغم كل ذلك ورغم انقسامهم حتى الآن بسبب أمور فرعية لا تمس صُلب العقيدة إلا أن ثوابت المسيحية بقيت واحدة , والكتاب المقدس هو نفسه الذي تؤمن به كافة الطوائف .. وهذا أيضا كان أحد أسباب عقد المجامع الكنسية . فقد انتشرت العديد من الأناجيل في القرون الأولى للمسيحية حتى وصلوا ربما لأكثر من ثلاثمائة إنجيل .. وكان الكثير منهم غير معروف نسبه .. فكان لابد من التأكد من الكتبة الثقاة الذين يُشهد لهم بالأمانة والمصداقية . فتم وضع هذه الأناجيل الأربعة بالإضافة لسفر أعمال الرسل والرسائل ورؤيا يوحنا اللاهوتي لتكون كتب العهد الجديد بالإضافة لكتب العهد القديم وهي نفسها الموجودة لدى اليهود أيضا .

وتؤمن الكنيسة أن الاتفاق على تلك الكتب بالتحديد قد تم بإرشاد الروح القدس . وعندما تساءلت .. فلماذا لم يخبرهم السيد المسيح صراحة عن ألوهيته ؟ وجدتني أجيب على نفسي بأنه لو كان قد فعل ذلك فلم يكن سيؤمن به أحد في ذلك الوقت , لكنه أرسل إشارات واضحة من خلال معجزاته وأمره للبحر والرياح بالتوقف وسيره على الماء . وأمره الأخير لتلاميذه بعد قيامته : " فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس " (متى 28:19) . لكن الأهم من كل ذلك ومالم أكن قد توقفت عنده من قبل وأثق بأن المسلمين لا يعلمون به هو السبب الذي دفع اليهود للمطالبة بصلب المسيح . فالقرآن يزعم أن اليهود قالوا أنهم قتلوا المسيح , وينفي ذلك قائلاً " : وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم . بل رفعه الله إليه " (النساء 157)إذا فهو يعترف على الأقل بأنه كانت هناك محاولة لقتله لكنه لا يذكر السبب الذي دفع اليهود لذلك وأثار غضبهم . فهل كان السبب أنه ادعى النبوة من وجهة نظرهم ؟ وماذا قال الإنجيل حول هذا الأمر ؟

وجدت في الإنجيل أن ماأثار حفيظة اليهود ضد السيد المسيح هو وصفه لنفسه بابن الله وماحدث ذات يوم أنه قال لهم :

- " أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح . فقال له اليهود : ليس لك خمسون سنة بعد أفرأيت إبراهيم ؟ قال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن . فرفعوا حجارة ليرجموه , أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازا في وسطهم ومضى هكذا " (يوحنا 8 : 59-56) فما أغضب اليهود وأوصلهم ليحاولوا رجمه أنهم فهموا من كلامه أنه يتحدث عن كونه أزلي .
- ويقول الإنجيل " : فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضا أن الله أبوه معادلا نفسه بالله " (يوحنا 5:18)
- " فتناول اليهود أيضا حجارة ليرجموه . أجابهم يسوع : أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي بسبب أي عمل منها ترجمونني . أجابه اليهود قائلين : لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف , فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلها " (يوحنا10 : 33-30)
- "فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء . لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم . فقالوا له

ياسيد أعطنا في كل حين هذا الخبز . فقال لهم يسوع : أنا هو خبز الحياة من يقبل إلي فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبدا " (يوحنا 6 : 32 -35) . فهل علمت الآن لماذا طلب اليهود أن يقتلوا السيد المسيح ؟ وهل رأيت كيف أوضح السيد المسيح أكثر من مرة بأنه أتى من السماء وأنه أزلي وأنه ليس كباقي البشر؟

أعلم تماما مدى صعوبة قبول مثل هذه الحقيقة على أي مسلم تربى على التوحيد , ويعتقد بأن الثالوث يناقض الإيمان بأن الله واحد .. رغم أن قانون الإيمان المسيحي يبدأ ب " بالحقيقة نؤمن بإله واحد . " لكن الإنجيل يقول أيضا " ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس " (كورنثوس الأولى 12: 3) فالله وحده هو القادر أن يرشد البشر لهذه الحقيقة خاصة إذا لمس إيمانا صادقا بالوصول إليها . ورغم كل ماتوصلت إليه فقد استمريت في الدعاء لله بأن يرشدني لحقيقة الثالوث وما إذا كان الله يريدني بالفعل أن أؤمن به . وتساءلت ما إذا كانت هناك أية رسائل إلهية على مدار الألفي عام تثبت حقيقة هذا المعتقد .. خاصة أنني اكتشفت أن الرب يسوع لم ينقطع عن التواصل مع أتباعه بل ومع الكثير من غير المؤمنين من خلال المعجزات والأحلام والظهورات والرسائل المباشرة .. وأعلم بالطبع أن الكثيرون لا يؤمنون بمثل هذه الأمور لكن هناك العديد من المعجزات الثابتة ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

واستجاب الله لدعائي المستمر بشأن هذا الأمر الذي كان يؤرقني بعد أن ظللت لفترة أشعر أنني مسيحية لكن ينقصني الإيمان بالمعتقد الرئيسي ورفضت أن أتبع باقي المسيحيين بغير قناعة حتى يؤكد الله لي هذه الحقيقة الفاصلة .. ولم يخيب الله ظني ووجدته يرشدني لأمور أخرى .. وجدت الكثير من القديسين يروون لقاءاتهم مع الرب يسوع ويتحدثون عن مجده وألوهيته .. ووجدت أشخاصا غير مسيحيين وليسوا فقط من المسلمين يتحدثون عن ظهور الرب يسوع لهم وتأكيد ألوهيته وبنوته للآب .. إلى جانب الكثير من تجارب الاقتراب من الموت لمسيحيين وغير مسيحيين ومن بينهم ملحدين لم يكونوا يفكرون في المسيحية لكنهم مروا بتجارب روحية ورأوا السيد المسيح على العرش الإلهي وكثير منهم تغيرت حياته تماما بعد هذه التجربة وآمن بكل ماجاء في الإنجيل عن الرب يسوع .

فالقديس أوغسطينس أحد أهم أعمدة الفكر الغربي والمسيحي والذي كان وثنيا لفترة طويلة من حياته , لكنه وبعد إيمانه المسيحي عن اقتناع ظل مشغولاً بمحاولة فهم وتفسير حقيقة الثالوث . وذات يوم وبينما كان جالسا على شاطيء البحر ليتفكر في هذا السر الإلهي رأى صبيا صغيرا يركض إيابا وذهابا بين البحر وحفرة صغيرة فى الأرض . فاتجه نحوه وسأله : ماذا تفعل ؟ أجاب الصبي وهو يحمل صدفة ينقل فيها الماء ويشير لحفرة في الرمال : أحاول أن أضع المحيط في هذه الحفرة الصغيرة . ابتسم القديس أوغسطينس من براءة الطفل وقال له : لن تستطيع أبدا احتواء هذا المحيط الرائع العظيم في هذه الحفرة الصغيرة . وتخيل بماذا أجابه الصبي .. أجابه بسرعة : ولن تستطيع أنت أبدا فهم سر الثالوث الأقدس . وفي الحال اختفى الصبي والذي كان على الأغلب ملاكا من الله أتى ليوصل رسالة إليه بعدم المحاولة كثيرا لإدراك واستيعاب هذا السر وإنما علينا فقط الإيمان . حتى أن هذا القديس العظيم عمل لأكثر من ثلاثين عاما على كتابه " الثالوث " ولم يستطع أن ينتهي منه فتركه كبحث غير مكتمل .

ومن أجمل ماقرأت في وصف الثالوث القدوس والذي أبهرني وشعرت بالفعل بأنه وحي إلهي ماقرأته عن امرأة إيطالية تدعى ماريا فالتورتا .. هذه المرأة بقيت لأكثر من ثلاثين عاما طريحة للفراش ,

لكن الله أنعم عليها بنعم ورؤى روحية مذهلة . كانت تتلقى رسائل متتابعة من الرب يسوع حتى أنه أراها حياته كاملة بتفاصيل أكثر من الموجودة في الإنجيل الأصلي وكان يلقبها ب " يوحناي الصغير " فكتبت " الإنجيل كما أوحي به إلي " وكشف لها الرب يسوع أسرارا لاهوتية أهمها عن الثالوث القدوس . وجدت كلاما لم أقرأه لكبار اللاهوتيين أو القديسين وشعرت بأنه لا يمكن إلا أن يكون بوحي إلهي حقيقي . فرغم أن الرب يسوع يؤكد لها أن فهم الجوهر الإلهي هو أمر يستحيل على أي عقل بشري لمحدوديته ولعدم جواز مقارنة وتشبيه الله مع أي كائن آخر .. إلا أنه قال لها أنها من القلة القليلة التي سيحاول أن يشرح لها جوهر هذا السر العميق . واصفا الله بأنه نور وهو الأمر الأكثر وضوحا بالنسبة للبشر .. ويشرح لها كيف يولد الإبن من الآب وكيف ينبثق الروح القدس وكيف يتحدون ببعضهم البعض .وكيف ينبثق من هذا الجوهر الإلهي كل الموجودات بالكون .

أعلم بالطبع أن هناك من سيهزأ مما أكتب ويعتبر أنها مجرد خرافات مسيحية الهدف منها تضليل غير المسيحيين . والحقيقة أنني عادة ما أميل لافتراض حسن النية لكنني في الوقت ذاته تعلمت أن أحكم عقلي وأيضا مشاعري لكن قراري النهائي للحكم على أي أمر أتركه لتوجيه الله وإرشاده خاصة فيما يخص العقيدة .. فليس لدي أي استعداد لأن أخسر أبديتي أو أن أغضب الله الذي أثق تماما في محبته لي قبل محبتي له .

الفصل التاسع

المسيحية والمعجزات

توقفت خلال بحثي عند مسألة قيام السيد المسيح بالمعجزات بسلطان من الله وليس بقوته الإلهية كما يقول القرآن .. فوجدت أن العديد من المواقف تنفي ذلك لأنه إذا كان يستخدم سلطانًا إلهيا فعليه أن يذكر اسم الله لكنه كان يأمر مباشرة فيطاع . مثل أمره للريح والبحر بالسكوت وإقامته للموتى وغفرانه للخطايا وهو الأمر الذي أثار غضب اليهود ضده .

والأهم أنه أعطى لتلاميذه وأتباعه سلطانا ليفعلوا مثلما كان يفعل بل وأكثر فقال لهم :

- **" الحق الحق أقول لكم : من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضا ويعمل أعظم منها لأني ماضٍ إلى أبي " (يوحنا 14 : 12)**
- **"الحق أقول لكم : كل ماتربطونه على الأرض يكون مربوطا في السماء وكل ماتحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء " (متى 18: 18)**
- **" وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي , ويتكلمون بألسنة جديدة . يحملون حيات وإن شربوا شيئا مميتا لا يضرهم . ويضعون أيديهم على المرضى فيبرؤون " (مرقس 16 : 17)**
- **" فيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين : إنه قد اقترب ملكوت السماوات . اشفوا مرضى , طهروا برصا, أقيموا موتى , أخرجوا شياطين " (متى 10 : 7)**

فهل تعلم كيف انتشرت المسيحية ؟

رغم أن الجمال الحقيقي للمسيحية من وجهة نظري يكمن في تعاليمها الراقية وفي تقديم مؤسسها الرب يسوع المسيح لذاته فداء عن البشر وقبوله بالإهانة والجلد والصلب والطعن فقط محبة لهم وغفرانا لخطاياهم وهو مالم يحدث في أي دين آخر .. إلا أن هناك عاملاً شديد الأهمية قد أسهم بشكل كبير في نشر المسيحية في العالم وهو المعجزات المتعددة التي اشتهرت بها منذ بدايتها ومازالت تحدث حتى الآن فقط بإسم الرب يسوع المسيح .

فنرى في سفر أعمال الرسل في الإصحاح التاسع : " وحدث أن بطرس وهو يجتاز بالجميع نزل أيضا إلى القديسين الساكنين في لدة , فوجد إنسانا اسمه إينياس مضطجعا على سرير منذ ثماني سنين وكان مفلوجا . فقال له بطرس : ياإينياس يشفيك يسوع المسيح . قم وافرش لنفسك . فقام للوقت ! " فلو كان الرب يسوع يصنع المعجزات بسلطان خاص أعطاه له الآب ليؤكد نبوته أمام بني إسرائيل حسب زعم المسلمين , فكيف يقوم هو نفسه بإعطاء تلاميذه وأتباعه سلطانا خاصا لشفاء المرضى وحتى إقامة الموتى؟ حتى أنه قال :

- **" الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضا ويعمل أعظم منها لأني ماضٍ إلى أبي " (يوحنا 14 : 12)**

- **وقيل عن بولس الرسول : " ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون " (أعمال 19 : 6)**
- **" وكان الله يصنع على يدي بولس قوات غير المعتادة حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى فتزول عنهم الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة منهم " (أعمال 19 : 11 , 12)**

إذا فالمعجزات لم تكن علامة من الله ليؤيد بها السيد المسيح بل إن المسيح نفسه أعطى سلطانا لتلاميذه وأتباعه للقيام بالمعجزات , وأيدهم بالروح القدس ليكونوا رسلاً له وليشهدوا على مجده وعلى قيامته من الأموات . ولم يرسل السيد المسيح لقومه فقط ، وإنما كان عليه أن يبدأ دعوته بقومه اليهود , لكن عندما رفضه غالبيتهم كان عليه استكمال رسالته , كما جاء في سفر إشعياء كنبوءة عن المسيح " قد أقمتك نورا للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض ".

ومااكتشفته من بحثي وقراءاتي ثم بعد ذلك اختلاطي ببعض المسيحيين أنفسهم أن المعجزات لا تزال تحدث حتى يومنا هذا ليس فقط مع المسيحيين وإنما مع كافة الأمم بل ومع الملحدين أيضا . فكم من مريض شفي شفاءا إعجازيا بإسم يسوع المسيح , وكم من الأشخاص حول العالم حتى في هذه الأيام يظهر لهم الرب يسوع في مجد ويقيم لهم معجزات , وكم من كهنة اشتهروا بمواهب الشفاء . وأعرف شخصيا كاهن يقيم الله على يديه بسبب إيمانه الكثير من المعجزات خاصة بين المسلمين من شفاء للمرضى وحتى للمشلولين , وإخراج شياطين بل وقيامة موتى بصلاته وقوة إيمانه ! ويزخر الإنترنت بالعديد من المعجزات من كافة أنحاء العالم ومن كل الخلفيات , وهناك ماتم تصويره بالفعل . بالإضافة لظهورات ورسائل من الرب يسوع للقديسين الذين يمرون بالكثير من التجارب الروحية .

ومن بين الأمور التي قادتني للإيمان بالسيد المسيح تجارب الاقتراب من الموت . فكم من شخص غير مسيحي مر بتجربة اقتراب من الموت وتوقف قلبه ورأى عندها السيد المسيح على العرش السماوي وفي مجد إلهي . وقد التقيت بشخص مر بتلك التجربة .

وكم من أشخاص تغيرت حياتهم تماما بعد معجزات من السيد المسيح أو السيدة مريم والتي تظهر للكثيرين لتقودهم للإيمان المسيحي . وهناك ظهورات مثبتة لها وأشهرها ظهورها في قرية فاتيما في البرتغال عام 1917حيث ظهرت لأكثر من مرة لثلاثة أطفال صغار وأخبرتهم بثلاثة أسرار ستحدث وتحققت جميعها بالفعل فيما بعد وكانت عن نهاية الحرب العالمية الأولى وعن حدوث حرب عالمية ثانية بعد سنوات ستكون أشد بسبب خطايا البشر وعن عودة روسيا للمسيحية وهو ماحدث بعد سقوط الشيوعية في أواخر الثمانينيات . وهناك سر ثالث طلبت عدم نشره قبل عام 1960 لكن الكنيسة الكاثوليكية لا تزال محتفظة بهذا السر وترفض الإعلان عنه . كما طلبت منهم الحفاظ يوميا على صلاة مسيحية تدعى المسبحة الوردية وأخذتهم في رحلة انخطاف روحي إلى جهنم وطلبت منهم أن يصلوا من أجل غير المؤمنين لكي لا يذهبوا إلى هذا المكان , وأخبرتهم بأنها ستأخذ الطفلان الأصغران جاسينتا وفرانشيسكو معها إلى السماء قريبا , أما لوسيا الكبرى فستعيش طويلاً لكي يعرف العالم أكثرعن السيدة مريم ومحبتها للبشر وهو ماحدث بالفعل .. فقد توفي الصغيران بعدها بفترة قصيرة , وعاشت لوسيا لأكثر من تسعين سنة حيث ترهبنت وعاشت لنشر رسائل السيدة العذراء في فاتيما والتي لم ينشر السر الثالث منها حتى الآن.

وعندما واجه هؤلاء الأطفال اتهامات لهم باختلاق الظهورات أخبرتهم السيدة العذراء بأن الله سيجري معجزة كبرى يوم 13 أكتوبر عام 1917 وسيراها الجميع ليتأكدوا من حقيقة هذه الظهورات. وانتشرت هذه الأنباء ليس فقط في البرتغال بل ووصلت إلى عدة دول مجاورة , فقرر البعض ومنهم صحفيين وكتاب أن يذهبوا لاستطلاع الأمر رغم تشكك الغالبية في عدم حدوث أي شيء . وتجمع المؤمنين والملحدين الذين وصل عددهم لما يقرب من السبعين ألف شخص , ووضعت كاميرات سينمائية لتسجل ماقد يحدث , وبقيت هذه المواد الفيلمية والصور رغم قدمها باقية حتى الآن لتشهد بما حدث في هذا اليوم . فقد فوجيء الجميع بهطول أمطار شديدة الغزارة قامت بإغراق كل شيء ثم توقف المطر فجأة وبدت الشمس وكأنها تتحرك بسرعة نحو الأرض التي جفت سريعا , وصرخ الجميع اعتقادا بأنها نهاية العالم . ثم توقفت الشمس وأخذت في الرقص في وسط السماء أمام أعين الكل .. وآمن الملحدون ممن حضروا . وأصبحت فاتيما حتى اليوم قبلة للحجاج المسيحيين من كافة أنحاء العالم يزورها الملايين لتصبح واحدة من أشهر الظهورات . وليس هذا هو الظهور الوحيد فقد سبقه ظهورات في فرنسا في لورد ولاساليت وفي جوادالوبي في المكسيك التي رفض أهلها اعتناق المسيحية على مدار قرون حتى ظهرت السيدة العذراء في القرن السادس عشر لرجل بسيط اسمه خوان دييغو وأعطته قطعة من القماش عليها صورتها مطبوعة وملونة . ولازالت هذه القطعة موجودة حتى الآن وقام بعض العلماء بتحليل هذا القماش وهذه الطباعة فلم يتمكنوا من تحديد نوعها أو مصدرها وتحولت المكسيك للمسيحية بفضل هذا الظهور أيضا .

وفي البوسنة في قرية صغيرة تسمى مديوجورييه لازالت السيدة العذراء تظهر لستة أشخاص منذ كانوا مراهقين على مدار أكثر من أربعين عاما وتعطيهم رسائل من الله للبشر . وتقول أن الله من محبته يرسلها في هذه الأيام ليتوب الناس وليتوقفوا عن الخطايا وعن اتباع الشيطان . وتدعو للكثير من الأعمال الحسنة من صلاة وصوم ومحبة للآخرين وترك المتع والشهوات الدنيوية والصلاة من أجل غير المؤمنين . وهناك أيضا الكثير من الظهورات المثبتة كنسيًا والغير مثبته حتى الآن وأشهرها ظهور لورد في فرنسا , ولاساليت في فرنسا أيضا وفي أكيتا باليابان وفي سوريا في الصوفانية, وفي الأرجنتين وفنزويلا وأمريكا وكندا وإيطاليا وكوريا الجنوبية ,

وفي كنيسة السيدة العذراء في الزيتون بمصر على مدار عامين منذ عام 1968 , حيث رآها الكثيرون فوق قباب كنيستها هناك وتصدرت مانشيتات الصحف المصرية والعالمية لفترة وكتبت عنها العديد من الكتب وهناك صور حتى الآن لهذا الظهور وشهادات عن معجزات حدثت خلالها . وقد يشكك الكثيرون في حقيقة مثل تلك الظهورات لكن من يقرأ الرسائل التي ترسلها السيدة العذراء سفيرة السماء في هذه الأزمنة الأخيرة , ويرى الثمار الحقيقية لرسائلها من توبة الملايين ومعجزات الشفاء الموثقة بالتقارير الطبية ومن إيمان بالله للملحدين ومن تجارب روحية للكثيرين .. فربما إذا فتح المشككون قلوبهم وسألوا الله أن يرشدهم للحقيقة فإني أثق من إجابة الله لهم . وأحمد الله على نعمة الإنترنت التي أتاحت للجميع الإطلاع على تجارب متنوعة من كافة أنحاء العالم وبكل اللغات .

وهناك أيضا ظاهرة هامة أعتقد أن بعض المسلمين قد سمع عنها وإن كان لا يؤمن بها اكتشفتها قبل إيماني بسنوات ولم أجد لها تفسيرا .. وهي ظاهرة خروج النورالمقدس كل عام من قبر السيد المسيح الفارغ في ذكرى سبت النور في عيد القيامة بالقدس , وتنقلها القنوات التليفزيونية على الهواء مباشرة كل عام ويتوافد عشرات الآلاف من الحجاج المسيحيين من كافة أنحاء العالم لحضور هذا الحدث العجائبي

الذي يشهد على قيامة السيد المسيح من قبره الفارغ . ومايؤكد صحة تلك المعجزة أن السلطات الإسرائيلية عادة ماتقوم باستلام تأمين الكنيسة وإغلاقها قبل هذا اليوم لمنع حدوث أي تلاعب أو تزييف لخروج النور . ثم يقوم الأسقف بالدخول إلى داخل القبر بعد تفتيشه مجددا من قبل الشرطة الإسرائيلية التي تقف على مدخل القبر . ويحمل شعلة كبيرة مطفأة قبل دخوله , وبعدها يقوم بأداء الصلوات طلبا لفيض النور المقدس الذي يخرج بعد وقت قليل ليضيء شعلة الأسقف الذي يخرج ليريها للجميع فيتهافتون لإنارة شموعهم منها . والمعجزة هنا لا تقف فقط عند حد خروج هذا النور من القبر الفارغ وإنما في كونه يبقى نورا يضيء ولا يحرق لمدة ثلاث وثلاثين دقيقة , ويقوم المؤمنون الحاضرون بالإمساك به بإيديهم وتمريره على وجوههم وملابسهم دون أن يمسهم أي ضرر . ثم بعد الثلاثة والثلاثين دقيقة يتحول النور إلى نار يمكن لها أن تحرق . ويمكن البحث عن الكثير من الفيديوهات الخاصة بهذا الحدث المتكرر سنويا والذي يقال بأن صلاح الدين الأيوبي قد شاهده بنفسه وأيضا إبراهيم باشا إبن محمد علي .

والغريب أن المرة الوحيدة التي لم يخرج فيها هذا النور المقدس كانت عام 1549 عندما منع الأغنياء الأرمن الفقراء من دخول الكنيسة معهم لينفردوا وحدهم بمشاهدة المعجزة .. فقام الله بمنع ظهور النور داخل الكنيسة وجعله يتدفق على الأعمدة الخارجية التي كان المؤمنون يلتفون حولها ليفرح الله قلوبهم . و لازالت آثار هذا النور باقية حتى الآن والذي تحول لما يشبه آثار حريق بالأعمدة التي تشققت من قوته لتشهد على محبة الله للفقراء وللمستضعفين بالأخص . كما قرأت أيضا عن ظاهرة حدثت ولازالت تحدث لبعض المؤمنين المسيحيين وتسمى " الإستيجماتا " وتعني ظهور نفس جراحات السيد المسيح التي حدثت له على أجسادهم . حيث يصلون لدرجة روحية معينة ويرغبون في مشاركة الرب يسوع في آلامه وجروحاته . وتتفتح على الأغلب هذه الجروحات في ذكرى يوم الجمعة العظيمة التي صلب فيها الرب يسوع .. وقد حاول الكثير من الأطباء تفسير حدوثها الفجائي أو عالجها فلم يستطيعوا , كما تختفي فجأة بأمر الله كما حدثت فجأة . وكان أول من ظهرت عليه هذه الجروحات هو القديس الإيطالي فرنسيس الأسيزي أحد أهم القديسين والذي أنشأ الرهبنة الفرنسيسكانية المعروفة بأعمالها الخيرية المتعددة . وأيضا القديس الإيطالي المعاصر بادري بيو الذي ظلت جراحات السيد المسيح مفتوحة على يديه لسنوات طوال . وفي سوريا هناك امرأة تدعى ميرنا كانت تظهر لها السيدة العذراء وتعطيها رسائل ثم حدثت معها ظاهرة الإستيجماتا على مدار سنوات في ذكرى الصلب منذ عام 1983 وكان يلتف الكثيرون حول سريرها لمشاهدة مايحدث معها من جروحات في يديها وقدميها وجنبها .. تماما كما حدث مع السيد المسيح . وهناك أطباء كانوا يحضرون لفحصها ولم يستطيعوا تفسير سببها ولاكيفية اختفائها الفجائي . وقد يتعجب البعض من سبب حدوث مثل هذه الجروحات والآلام ويظن أن من يحدث معه ذلك سيشعر بالضيق والآلام لكن الغريب أن كل من قرأت عنهم ورغم شعورهم بآلام جسدية حقيقية إلا أنهم كانوا يمرون بتجارب روحية عميقة تشعرهم بمتعة مشاركة فاديهم آلامه .

أعلم تماما أن ماأقوله قد يستعصي كثيرًا على الفهم وعلى التصديق وكنت مثلك تماما قبل سنوات لكن فقط بنعمة الله أصبحت قادرة على الإيمان بمالم أتخيل أن أؤمن به يوما ما .. ولم أتخيل أن أصل لهذا الكم الهائل من المعلومات عن الظهورات والأحداث والمعجزات .. لكننا نحيا في العصر المعلوماتي الذي يقدم للجميع كل شيء .. المهم ألا نغلق قلوبنا وعقولنا وألا ننحاز لدين لمجرد أننا ننتمي له بحكم الأسرة . فلن يقف معنا أحد يوم القيامة ليدافع عنا أمام المسيح الديان .

الفصل العاشر

لماذا سيعود المسيح فى آخر الزمان ؟

عندما كنت صغيرة كنت أعتقد أننا وحدنا كمسلمين من نؤمن بعودة السيد المسيح لأنه كما قيل لنا سيأتي ليظهر الحق فيكسر الصليب ويقتل الخنزير- ولا أدري ماذنب الخنزير - ويصلي وراء الإمام المهدي ويقتل المسيح الدجال ويعيش لأربعين عاما يملأ السلام فيها العالم ويتزوج فتاة من نسل محمد ثم يموت ! وتساءلت .. فهل رفع إلى السماء منذ ألفي عام ليبقى حيا حتى ينزل ثانية في آخر الزمان ثم يتزوج ويموت بشكل طبيعي ؟ ومالهدف ؟ ولماذا السيد المسيح بالتحديد هو من سيعود ؟ لماذا لا يعود محمد لينتصر على المسيح الدجال ؟ أم أن الهدف هو إثبات تأييد المسيح للمسلمين بكسر الصليب وقتل الخنزير والصلاة خلف الإمام المهدي ؟ وهل يليق أن يصلي نبي خلف شخص عادي مهما بلغت مكانته ؟ أليس في هذا تقليلاً من شأن السيد المسيح ؟ وعندما قرأت الإنجيل ووجدت السيد المسيح يتحدث عن عودته اكتشفت تناقضات هائلة بين روايتي العودة الإسلامية والمسيحية .. لكن الرواية المسيحية جاءت على لسان السيد المسيح نفسه الذي وصف تفصيليا أسباب عودته وماسوف يفعله وأوصى تلاميذه بالبقاء على الإيمان به حتى يعود .. فإذا كان يعلم أنه سيكون هناك نبي من بعده فلماذا يطلب من أتباعه الثبات على الإيمان به حتى يجيء ؟ ولماذا يخبرهم بأحداث نهاية الزمان إذا كان من المفترض أنه ستكون هناك أمة غيرهم هي من ستنتصر عليهم وعلى اليهود بحسب الرواية الإسلامية لأحداث نهاية الزمان ؟

ولنقرأ ماقاله السيد المسيح عن مجيئه الثاني :

- **"وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا متى يكون هذا وماهي علامة مجيئك وانقضاء الدهر فأجاب يسوع وقال لهم : انظروا لا يضلكم أحد . فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين : أنا هو المسيح ويضلون كثيرين . وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب . انظروا لا ترتاعوا لأنه لابد أن تكون هذه كلها ولكن ليس المنتهى بعد . لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة , وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع . حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي . وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم البعض . ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين . ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين . ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص (متى 14 : 1 – 13)**
- **"وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السموات تتزعزع . وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء . وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير . فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها " (متى 24 : 29)**
- **"ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب " (متى25 : 31)**

إذا فالهدف الرئيسي من مجيئه هو حساب البشر يوم القيامة وإظهار مجده أمام البشرية جمعاء حيث يأتي محاطًا بالملائكة .

- **"إن الرب يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقا إلى السماء " (أعمال 1 : 10)**
- **" لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق إلى المغارب هكذا يكون مجيء ابن الإنسان "(متى 24 : 27)**
- **"ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير (متى 24 : 30)**
- **" وكما كانت أيام نوح كذلك يكون مجيء ابن الإنسان . لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع . كذلك يكون أيضا مجيء ابن الإنسان " (متى 24 : 3937–)**
- **ويتحدث القديس بولس الرسول عن الأيام الأخيرة التي تسبق نزول السيد المسيح : " لا يخدعنكم أحد على طريقة ما , لأنه لا يأتي إن لم يأت الارتداد أولاً ويستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك المقاوم والمرتفع على كل مايدعى إلها أو معبودا حتى إنه يجلس في هيكل الله كإله مظهرا نفسه أنه إله .. وحينئذ سيستعلن الأثيم الذي الرب يبيده بنفخة فمه , ويبطله بظهور مجيئه " (تسالونيكي الثانية 2: 3 – 8)**
- **ويقول القديس بطرس في رسالته الثانية : " عالمين هذا أولاً : أنه سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئون , سالكين بحسب شهوات أنفسهم وقائلين : أين هو موعد مجيئه ؟ لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باق هكذا منذ بدء الخليقة .... ولكن لا يخف عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء إن يوما واحدا عند الرب كألف سنة وألف سنة كيوم واحد . لا يتباطأ الرب عن وعده لكنه يتأنى علينا وهو لا يشاء أن يُهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة . ولكن سيأتي كلص في الليل يوم الرب " .**

وبعد قراءة كل تلك الآيات وجدت أن الرواية المسيحية والتفاصيل التي ذكرت على لسان السيد المسيح نفسه تبدو منطقية بشكل كبير , وأنه من الواضح أن الرواية الإسلامية عن المسيح المنتظر تندرج تحت بند الأمنيات .. فمحمد وبعد رفض اليهود والنصارى للإيمان به تمنى أن يأخذ السيد المسيح نفسه صفه وأن ينصره على أتباعه ويعلن إسلامه ليشفي غليله من هؤلاء الذين رفضوا الإيمان به.

الفصل الحادي عشر

الروح القدس .. هل هو محمد أم الرب المحيي ؟

لطالما سمعنا كمسلمين عن أن السيد المسيح بشر بنبي سيأتي من بعده اسمه أحمد , وأنه أوصى أتباعه بأن يؤمنوا به ويتبعوه .. وعندما كنا نسأل عن الموضع الذي ورد فيه هذا الحديث كان يقال لنا تارة أن هذه الآيات قد حذفت أو تم تحريفها .. وتارة أخرى يستشهدون ببعض الآيات من العهد الجديد على لسان السيد المسيح ومنها :

- **" لكنني أقول لكم الحق : إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي ولكن إن ذهبت أرسله إليكم " (يوحنا 16 : 7)**
- **" ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي " (يوحنا15 : 26)**
- **"وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ماقلته لكم " (يوحنا14 : 26)**
- **"متى جاءكم روح الحق يرشدكم إلى الحق لأنه لا يتكلم بشيء من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بما سيحدث . ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم " (يوحنا 16 : 13)**

وكلمة المعزي في اليونانية " البارقليط " ترجمها العرب المسلمون على أنها تشير لمحمد !! وعلى فرض أن روح الحق يمكن أن تشير لنبي قادم مثلا , ولكن أليس علينا أن ننظر إلى السياق وإلى كافة الآيات التي ذكر بها "روح الحق "أو المعزي ؟ فعندما قرأت تلك الآيات السابقة أدركت على الفور أنه من غير الممكن أن يكون المقصود بها محمد لأن الحديث هو عن روح , وأن السيد المسيح هو الذي سيرسله بنفسه من عند الآب .. فهل يرى المسلمون أن محمدا مُرسل من قِبَل السيد المسيح ؟ وهل يمجد محمد السيد المسيح أم العكس ؟ فهو ينفي صلبه ولاهوته ويؤكد بشريته ولا يذكر تعاليمه بل يناقضها .

وماينفي قطعيا أن يكون روح الحق هو محمد هذه الآية من الإنجيل : " روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه , وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم " (يوحنا 14 : 17) فهل كان محمد غير مرئي للناس ؟ وهل يمكث بداخل التلاميذ ؟ !

إذا فالمعزي ليس محمد وإنما هو الروح القدس روح الله أو الرب المحيي الأقنوم الإلهي الثالث واهب الحياة وباعث الناس يوم الدينونة .

- **ويذكر سفر أعمال الرسل في بدايته على لسان القديس لوقا : " الكلام الأول أنشأته ياثوفيلس عن جميع ماابتدأ يسوع يفعله ويعلم به , إلى اليوم الذي ارتفع فيه بعد ما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم " (أعمال 1 : 1)**
- **"وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني . لأن يوحنا عمد بالماء وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير " (أعمال 1 : 4 ، 5)**

- **" لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم " (أعمال 1 :8)**

وموعد الآب هو حلول الروح القدس عليهم والذي حدث في يوم الخمسين فنالوا قوة ومواهب الروح القدس " . ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معا بنفس واحدة فصار بغتة من السماء صوت ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم . وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا " (أعمال 2 : 1 -4)

والمقصود بالألسنة الأخرى هي اللغات المختلفة وهي إحدى مواهب الروح القدس التي تعطى للمؤمنين ليتمكنوا من التواصل مع غيرهم وكانت من أوائل الأسباب التي أدخلت الكثيرين في الإيمان المسيحي . فعندما سمعهم اليهود ذوي الأصول المختلفة يتكلمون بلغات متعددة تعجبوا لأن كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته, وعندما أخبرهم بطرس بأن الله كان قد وعد في الأيام الأخيرة بأن يسكب روحه على كل البشر وأن يعطي عجائب في السماء من فوق وآيات على الأرض . وكلمهم عن الرب يسوع وأنه هو من وعدهم بإرسال الروح القدس لهم قبل الكثيرون الإيمان المسيحي في ذلك اليوم وتعمد حوالي ثلاثة آلآف شخص . وهناك سبعة مواهب يعطيها الروح القدس للمؤمنين وهي الحكمة والفهم والمشورة والقوة والعلم والتقوى ومخافة الله . ولا يمتلك أحد كل المواهب مجتمعة لكن تعطى لكل شخص موهبة مختلفة ليكمل كل منهم الآخر .

وليست العبرة بالمعجزات والمواهب الروحية فقط فكما يقول القديس بولس الرسول : " إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لي محبة فقد صرت نحاسا يطن أو صنجا يرن . وإن كانت لي نبوة . وأعلم جميع الأسرار وكل علم . وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لي محبة فلست شيئا . وإن أطعمت كل أموالي , وإن سلمت جسدي حتى احترق ولكن ليس لي محبة فلا أنتفع شيئا " (كورنثوس الأولى 13 : 1 – 3)

وقد اختبرت بنفسي إلهامات الروح القدس منذ قررت الوصول للحق وكانت المرة الأولى عندما سمعت بداخلي " نقي قلبك أولاً لكي يستطيع النور أن يدخل إليه " ووقتها لم أدرك بالطبع أن هذا إلهام من الروح القدس . وتكرر الأمر بعد إيماني حتى صرت أستطيع التمييز بين صوت أفكاري الداخلية وإلهام الروح القدس .. فأحيانا يكون على هيئة تحذير من أشخاص معينين أو اتخاذ خطوة معينة وكانت تثبت بالفعل صحة هذه الإلهامات . وقبل إيماني كنت أسمع أو أقرأ عن قصص لأناس يعيشون الإيمان الحي والتواصل المباشر والمستمر مع الله . لكن بعد الإيمان أكرمني الله بلقاء أشخاص يروون تجاربهم الحقيقية التي تثبت صحة مايقال .. فالمعجزات ليست أكاذيب وخرافات مسيحية وإنما هي واقع معاش . وفي المعمودية لا نتعمد فقط بالماء لكننا ننال معمودية الروح القدس ويصبح روح الله ساكنا فينا . فهل هناك علاقة تواصل أجمل من هذه ؟ أن تشعر بأن الله يتواصل معك في كل وقت ويقود خطواتك ويمدك بالمواهب اللازمة لنموك الروحي .. فهي ليست علاقة من طرف واحد كما في الإسلام تخاطب الله فقط دون أن تسمع منه . والوحي لم يقف عند محمد كما ادعى , لكن الله يتواصل مع أبناءه في كل زمان ومكان بالكثير من الطرق .

الفصل الثانى عشر

وماذا بعد؟

كنت أتمنى أن يتسع المجال لأروي الكثير من المواقف التي يتواصل الله فيها معي ومع غيري بشكل مباشر سواء بإلهام داخلي أو من خلال أشخاص يرسلهم في الوقت المناسب للمساعدة أو لإعطاء رسائل معينة . وهذا مايجعلني كل يوم ازداد إيمانا بالمسيحية وبالله الحق الذي عرفته وسمعته وأشعر به في حياتي اليومية لأن هذا هو الإيمان الذي نحتاجه جميعنا وليس علاقة من طرف واحد . وهذه أمنيتي .. أن يعيش الجميع الإيمان الحي الحقيقي .. أن تصبح المعجزة بالنسبة لك هي الأصل وليست الإستثناء .. أن تشعر بأنك طفل الله المدلل ولست العبد المذلل المطلوب منه فقط أن يؤمر فيطاع ليتجنب العذاب في نار جهنم . فعلاقتنا بالله في المسيحية يمكن اختصارها في تلك الآية : " نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً " وجوهر المسيحية يكمن في أن : " كل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله , ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة " (يوحنا الأولى 4 : 7 -8) فمن المسيحية تعلمت أن أعظم الوصايا كما قال السيد المسيح هي أن تحب الله من كل قلبك ومن كل فكرك ومن كل نفسك وأن تحب قريبك كنفسك . تعلمت أن أحب أعدائي وأن أصلي لهم كل يوم صلاة الرحمة الإلهية :

[أيها الآب الأزلي إني أقدم لك جسد ابنك الحبيب ونفسه ودمه ولاهوته تعويضا عن خطايانا وخطايا العالم أجميع .. بحق آلام الرب يسوع الموجعة أرحمنا وارحم العالم أجمع] .

والصلاة التي علمها الملاك للأطفال في فاتيما قبل ظهور السيدة مريم لهم وطلب منهم أن يداوموا عليها وأن يعلموها للناس ليصلوا بها كل يوم وهم ساجدون:

[أيها الإله الأزلي، إني أؤمن بك وأعبدك وآمل فيك وأحبك .. أطلب منك السماح عن الذين لا يؤمنون بك ولا يعبدونك ولا يأملون فيك ولا يحبونك]

فمن الإسلام تعلمت أن أدعو على غير المسلمين وإن طلبت الشفاء فلمرضى المسلمين , وإن طلبت الرحمة فلموتى المسلمين فقط , وإن ظلمني أحد فلا بأس أن أدعو عليه لأن دعوة المظلوم مجابة أو على الأقل أقول " حسبي الله ونعم الوكيل " لكي يأخذ الله بحقي . لم أتعلم المحبة ولا التسامح إلا مع المسلمين وفقط إن كانوا غير ظالمين .. لكن في المسيحية تعلمت معاني الرحمة والإنسانية بحق ولا أدعي أنني أصبحت أتعامل بمنتهى التسامح والمحبة طوال الوقت .. فلا زال أمامي الكثير لأنقي قلبي تماما من أية شائبة تجاه أي شخص . وأعلم أن علي أن أجاهد نفسي لأ تخلص من فكرة الكبرياء أمام من يهينني أو يؤذيني .. لا زلت أسعى لأتخلص من أي محبة للعالم وليكون همي هو إرضاء الله فقط وتحقيق مشيئته في كامل حياتي .. وأعلم تماما أن ليس بقدراتي الضعيفة سأتمكن من التغلب على ضعفاتي ونقائصي البشرية لكن وحدها قوة الله هي من تعيننا لنصبح كما يريدنا الله أن نكون . المهم أنني أصبحت أكثر سلامًا .. أكثر محبة لله وللبشر ولكل كائناته وأتمنى فقط أن أعكس محبة الله لجميع من أقابلهم .. وأصلي أن يجعلني الله أداة للسلام وللخير .. أن يعرف الكثيرون من خلالي محبة الله لهم وعمل السيد المسيح المخلص الذي احتمل الإهانات والجلد والصلب والطعن فقط لينجينا من العذاب الأبدي الذي نستحقه جميعنا .. وهو قريب يسمع ويجيب إن طلبت أن تعرفه أو تطلب منه الحقيقة فسيرشدك إليها بكل

تأكيد كما فعل ويفعل حول العالم مع كل من يسعى لمعرفة الحق .. ووحده يسوع هو الطريق والحق والحياة .. من آمن به ولو مات فسيحيا . وأملي الوحيد هو أن أكون عند حسن ظنه لأكون معه في الحياة الأبدية لأنه وعدنا فقال : " أنا أذهب لأعد لكم مكانا , وإن مضيت وأعددت لكم مكانا آتي أيضا وآخذكم إلي حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضا " (يوحنا 14 : 2 ، 3)

وقد يعتقد البعض ومن بينهم مسيحيون للأسف أن المسيحية تؤمن بأن مجرد الإيمان والمعمودية هي الضمانة فقط للخلاص من جهنم ودخول الملكوت الأبدي مباشرة رغم أن هذا يخالف ماأكده السيد المسيح نفسه: " كثيرون سيقولون لي يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ عندها أصرح لهم إني لم أعرفكم قط إذهبوا عني يافاعلي الإثم " (متى 7 : 22 – 23) " ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السموات ولكن من يفعل إرادة أبي الذي في السماء " (متى 7 : 21) فما هي إرادة الآب ؟ وماذا على المؤمن المسيحي أن يفعل بعد إيمانه بالرب يسوع مخلصا وبعد أن ينال نعمة المعمودية ؟

" الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني , والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي " (يوحنا 14: 21) " وإذا جاء ابن الإنسان في مجده تواكبه جميع الملائكة يجلس على عرش مجده وتحشر لديه كل الأمم فيفصل بعضهم عن بعض كما يفصل الراعي الخراف عن الجداء , فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن شماله ثم يقول الملك للذين عن يمينه : تعالوا يامن باركهم أبي فرثوا الملكوت المعد لكم منذ إنشاء العالم لأني جعت فأطعمتموني , وعطشت فسقيتموني ,كنت غريبا فآويتموني , عريانا فكسوتموني , مريضا فزرتموني , سجينا فأتيتم إلي . فيجيبه الأبرار : يارب متى رأيناك جائعا فأطعمناك أو عطشانا فسقيناك ؟ ومتى رأيناك غريبا فآويناك أو عريانا فكسوناك ؟ ومتى رأيناك مريضا أو سجينا فأتينا إليك ؟ فيجيبهم الملك : الحق أقول لكم كلما صنعتم شيئا من ذلك لواحد من إخوتي هؤلاء الصغار فبي قد صنعتموه . ثم يقول للذين عن الشمال : إليكم عني أيها الملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته . لأني جعت فلم تطعموني , عطشت فلم تسقوني , وكنت غريبا فلم تأووني , وعريانا فلم تكسوني , ومريضا ومسجونا فما زرتموني . فيجيبه هؤلاء أيضا : يارب متى رأيناك جائعا أو عطشانا , غريبا أو عريانا , مريضا أو مسجونا وما أسعفناك ؟ فيجيبهم : الحق أقول لكم أيما مرة لم تصنعوا ذلك لواحد من هؤلاء الصغار فلي لم تفعلوه . فيذهب هؤلاء إلى العذاب الأبدي والأبرار إلى الحياة الأبدية " (متى 25 : 31 – 46)

وهذا النص هو ما أخذه محمد في أحد الأحاديث القدسية الواردة في صحيح مسلم .. فعن أبي هريرة قال : قال محمد : " إن الله تعالى يقول يوم القيامة : ياابن آدم مرضت فلم تعدني . قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ ياابن آدم استطعمتك ولم تطعمني . قال يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه . أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي " !

هذه هي المسيحية الحقة والتي اكتشفت أنها أصعب كثيرا من الإسلام لأنها تتطلب جهادا مستمر للنفس والجسد من نقاء للقلب و تخلي عن السعي للملذات الدنيوية , وتخلص من الكبرياء وتقديم كل شيء في سبيل إرضاء الله , وخدمة الغير حتى لو كانوا من الأعداء . وكما يقول القديس بولس الرسول : " إن جاع عدوك فأطعمه وإن عطش فاسقه " .. فهل يوجد دين بمثل هذا الرقي والتسامح والمحبة ؟ وفي

الختام أتمنى أن يقرأ كل شخص غير مسيحي الإنجيل وسير القديسين وكتب التعاليم المسيحية وأن يصلي لله الواحد أن يرشده .. فالحياة الأبدية تستحق بذل كل شيء للوصول إليها فلن يحتمل أحد عذاب جهنم . ومن يخسر الملكوت الأبدي فهذا هو الخسران المبين .. ومعرفة الرب يسوع المخلص تفوق كل ملذات الدنيا حلاوة وفرح .

أما رسالتي لإخوتي المسيحيين فهي الوحدة والتسامح مع بعضهم البعض ونبذ كل الخلافات ومحاولات التفريق لأننا واحد في المسيح .. فوصية الرب يسوع الأخيرة أن يتوحد أتباعه " وصية جديدة أنا أعطيكم : أن تحبوا بعضكم بعضا . كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضا بعضكم بعضا . بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعضكم لبعض " (يوحنا 13: 34 ، 35)

وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع . آمين

فيرونيكا إبنة الرب